
في الحلال
رقيـــة طـه
عصير الكتب



الكتـــاب : في الحلال

المـــؤلـــف : رقية طه

تـدقيـق لغـوي: نورهان عاطف

تنسيـق داخلي : سمر محمد

الطبعة الأولى: أغسطس 2019

رقـم الإيـداع : 2019/10415

I.S.B.N : 978-977-992-035-1

المدير العام:محمد شوقي

مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس

00201150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار



رقية طه





﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّٰه ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

(سورة البقرة)



إهداء

إلى من وضع قدمي على أول الطريق،

إلى من علمني معنى الحياء وغض البصر،

إلى من نقش على جدار قلبي مبادئًا

ما زلت أعيش بها حتى اليوم،

إلى من أرسله الله إليّ خصيصًا

ليتبدل حالي من حالٍ إلى حال

إلى فريقي الغالي

فريق العفة

نهاية... وبداية!

راح يرتقي دَرجاتِ السلم بخطى وئيدة مُتوقفًا للاستراحة عدة مرات، وفي كل مرة يضع يده على قلبه، يُغمض عينيه بقوة ويضغط على أسنانه، يتأوّه بخفوتٍ كي لا يسمعه أحد، ثم يستند على الحائط بيدٍ مرتعشةٍ ويواصل الصعود إلى منزله.

في الخمسين من عمره هو، يتميز وجهه بقسمات جميلة وإن كانت لا تخلو من صرامة واضحة، فبرغم ضعفه ومرضه الذي أدّى إلى انخفاض وزنه إلى النصف تقريبًا، إلا أن عينيه دائمًا ما تَرى بها نظراتٍ قوية تجعلك تختبئ منه حياءً.

وصل إلى منزله بالطابق الرابع، أخرج المفاتيح من جيبه بيدٍ مرتعشة، سار بخطوات واهنة نحو الباب وهو يتأوه بقوة، سقطت المفاتيح من يده قبل أن يُدخلها في الرِتاج، حاول أن ينثني ليلتقطها فسقط هو الآخر بجوارها، سمعت زوجته صوت ارتطام خفيف بالخارج فلم تعبأ بذلك وواصلت تحضير الطعام كي تنتهي منه سريعًا قبل أن يعود أفراد عائلتها من الخارج، بعد ربع ساعة تقريبًا عاد ولده الأكبر من مدرسته الثانوية، صعد درجات السلم بقفزات متتالية تتسم بالمرح، وما إن وصل إلى الطابق الرابع حتى شهق بخوف وجلس بجوار والده المُلقى أرضًا، ظل يُحرّك رأسه يمينًا ويسارًا في محاولة منه لإفاقته، ونظرًا لعدم معرفته بمبادئ الإسعافات الأولية فلم يستطع فعل أي شيء، نهض على الفور

وأخذ يطرق باب منزلهم طرقات متتالية فزعة، ارتدت والدته حجابها وقامت بفتح الباب بقلق، ولما رأت زوجها على هذا الحال صرخت وأمرت ولدها أن يستغيث بجارهم الذي يعمل في الصيدلية المجاورة لمنزلهم.

بسرعة البرق عاد الفتى ومعه جارهم، قاما بحمل الرجل وإدخاله في إحدى السيارات ثم هرولا به إلى المشفى القريب، قام الأطباء بعدة محاولات لإفاقته وبعدها بدأ يفتح عينيه شيئًا فشيئًا، زفرة قوية من الجميع تَلحقها ابتسامة كبيرة وعبارات الحمد والشكر إلى الله تملأ الأجواء، نظر الرجل في عَيني ابنه وظل يُملي وصاياه الأخيرة عليه بعدما شعر أنه قد آن أوان الفراق، ثم صعِدت روحه إلى بارئها، ومن هنا وجد الفتى نفسه أمام مسئولية كبيرة أُلقيت على عاتقه بغتةً ومن دون سابق إنذار.



-١-

منذ عدة أشهر وهو يحمل ذلك السر بداخله، لم يستطع أن يُخبر أحدًا به، هل الأمر خطير إلى هذا الحد؟ أم أنه لا أهمية له من الأساس كي يكون مجالًا للحوار في أي وقت مضى؟! ولكن مهلًا، فمن غير عادته أن يُخفي أي شيء عن صديقه المقرّب محمد مهما كان صغيرًا، لا شك أن الأمر سيغضبه، ولكن لا بد أن يُخبره بكل ما يجول بصدره حتى يشعر بالراحة.

جلس ذلك الشاب طويل القامة ذو البشرة القمحية والوجه غير الممتلئ والعينين السوداوين على مقعده المفضل بكافيتريا كلية الهندسة بانتظار وصول صديقه محمد، والذي يستغرق أكثر من نصف ساعة داخل الأتوبيس حتى يصل إلى الجامعة، بدأ يُعيد ترتيب كلماته وأفكاره قبل أن يلقيها على مسامع صديقه، ظل في حالة من التشتت لدقائق إضافية حتى زفر ضائقًا وهو يخبر نفسه بأن الأمر لا يستحق كل هذا العناء، فهو لم يفعل شيئًا خاطئًا لأن نيته لم تكن سيئة، وأن غضب محمد سيكون فقط لأنه لم يخبره بالأمر من البداية ليس إلا.

لا يعلم لماذا في هذا التوقيت بالتحديد تذكر والده المُتوفّى فظهر شبح ابتسامة حزينة على شفتيه، فعندما مات والده كان في الصف الثاني الثانوي فتلقّى مجرى حياته الهادئ الدائم الخضرة دَفقة هواء عنيفة كادت تعصف به، وجد نفسه بغتة أمام مسئولية ضخمة لم يُدرّب على

التعامل معها، كانت أخته هند حينها في الصف الثالث الإعدادي، فأصبح هو المسئول عنها بالإضافة إلى مسئولياته نحو والدته ونحو متطلبات منزلهم، تذكر وصية والده الأخيرة قبل موته فخفق قلبه بقوة.

«خد بالك من أختك يا إسلام، حافظ عليها وحطها في عينيك يا ابني».

ومن بعيد، ظهر شاب أبيض البشرة، متوسط الطول، تظهر على ملامحه الطيبة والوَداعة، يرتدي نظارة طبية وله ابتسامة عذبة تريح القلب بمجرد رؤيتها، تحرك باتجاه صديقه الذي يعرف مكانه جيدًا، وبمجرد أن رآه ابتسم، فانعكست ابتسامته على وجه إسلام، نهض الأخير من مكانه وحيّا صديقه ثم جلس صامتًا، قطع صمته محمد عندما قال متعجبًا:

– خير يا إسلام! قولتلي آجي بدري النهارده ليه؟

سارت الشمس على استحياء واختفت وراء إحدى البنايات وكأنها لا تريد سماع السر الذي يخبّئه إسلام عن محمد كل هذه المدة، خَفَت الضوء شيئًا فشيئًا، نسمة هواء خفيفة داعبت وجه إسلام فما كان منه غير أنه تنهد بقوة وألقى بحمله العالق بصدره منذ مدة طويلة، نظر إلى محمد وابتسم قليلًا وهو يقول:

– فيه بنت أنا معجب بيها، وقررت أتقدم لها.

سُرّ محمد بذلك الخبر سرورًا فاق كل تصور، وصاح بحماس شديد:

– أيوة كده هي دي الأخبار الحلوة اللي نبدأ بيها يومنا.

ثم أردف متسائلًا:

– ويا ترى مين المحظوظة اللي وقع عليها اختيارك؟ حد معانا في الدفعة هنا؟

أومأ إسلام برأسه نافيًا، ثم أجاب بهدوء:

- دي بنت عرفتها من على النت.

اكفهرّ وجهه فجأة وردد متسائلًا بعدم تصديق:

- عرفتها من على النت!

ولمّا لم يجد ردًا سوى إيماءة مؤكده من رأس إسلام ارتفع حاجباه حتى جاوزا نظارته، وقال بضيق:

- بس ده مش طريقنا يا إسلام، مش احنا اللي نلعب ببنات الناس!

- وهو حد قالك إني بلعب بيها؟! عيب يا محمد أخوك راجل بردو، كل الحكاية إني حبيت أتعرف عليها الأول كويس، ولما لقيت أنها مناسبة لي قررت أتقدم لها.

نظر في عينيه نظرة يعرفها جيدًا وصمت، شعر إسلام بأن كرامته قد جُرحت، وأن صديقه قد أهانه بل وربما ظنّ به ظن السوء، فقال مدافعًا عن نفسه:

- البنت اللي هتجوزها يا محمد لازم أكون عارف دماغها وتفكيرها كويس، علشان كده قولت أتعرف عليها الأول على النت وأفهم دماغها وبعدين أروح أتقدملها إن شاء الله.

- طيب وأنت عرفت ازاي إن دي ممكن تكون مناسبة ليك؟

- كانت معايا في جروب وشوفت أراءها وفهمت دماغها، باين عليها متفتحة ومحترمة.

رغمًا عنه صدرت منه ضحكة ساخرة، أَتبَعها بنظرات تعجُّبية ذاهلة وهو يسأل في شك:

- باين عليها! طيب وهي لو كانت محترمة كانت هترضى تتكلم معاك كده!

كيف له أن يسخر منها بهذه الطريقة ويتهمها بالباطل! بل كيف له أن يتحدث عنها هكذا في وجودي! أأصابه الجنون؟ أم لم يدرك بعد أن من يتحدث عنها بهذا الأسلوب ربما تكون زوجتي في المستقبل؟ كل هذه الخواطر طافت بذهنه في لحظة واحدة، خرجت من عينيه نظرات غاضبة أتبعها بكلمات حازمة:

- محمد أنا مسمحلكش، يا تتكلم عنها عِدل يا إما تسكت.

زفر محمد وقال هامسًا:

- خلاص يا إسلام براحتك، يلا علشان المحاضرة قربت تبدأ.

واقفة هي أمامه تنظر له بإعجاب شديد، فمنذ شاهدته لأول مرة بالأمس وهو لا يغيب عن مخيلتها، تدور في دوامات الحياة وتتفاعل مع عائلتها وزميلاتها ومن ثَمّ تُعاود التفكير فيه مرة أخرى، تذهب إلى ذلك المبنى الرئيسي لكلية التربية لتحضر محاضرتها وتعود إلى المبنى الصغير المجاور لتحضر المحاضرة الأخرى ولا تنسى أن تنظر إليه ولو قليلًا كلما سنحت لها الفرصة، كم كان مميزًا عن كل ما حوله، لم تُشاهد له مثيلًا من قبل، كلماته، ألوانه، والإحساس الذي تشعر به عندما تقف قِبالته، كل هذا يجذبها إليه بطريقة ما ويجعلها تجزم على ضرورة الحضور بالغد لتكون أول الموجودين.

لم تشعر بأشعة الشمس الساخنة وهي تلفح وجهها إلا بعد مُضي عدة دقائق إضافية، تحسست وجنتيها فضحكت بتلقائية وكأنما شعرت

أخيرًا بنداءات الاستغاثة المستمرة الآتية من وجهها الأبيض ذي العينين العسليّتين، تنحّت جانبًا ووقفت بجوار شجرة صغيرة مُنتصبة أمام البناية التي خرجت منها قبل قليل، ولقِصَر قامتها وقلة وزنها استطاعت الاحتماء بالكامل من أشعة الشمس، نظرت في ساعتها وكأنها أدركت أخيرًا تأخر صديقتيها اللتين ذهبتا قبل قليل لإحضار الطعام، حانت منها التفاتة سريعة إليه وابتسامة صغيرة ترتسم على ثغرها، أتبعتها بنظرة خاطفة لباب الجامعة فوجدت هند و فاطمة قد عادتا أخيرًا، فأشارت لهما وتبسّمت ببراءة، حضرت تلك التي رزقها اللّه بجمال خلاب، حيث ميّزها ببشرة بيضاء وعينين زرقاوين وقوامٍ ممشوق، ونظرت لها وقد اتسعت عيناها بشدة وقالت ضاحكة:

- أنتِ لسه واقفة قدامه يا سلمى؟
- عاجبني أوي يا فاطمة، لازم نكون موجودين بُكرة بإذن اللّه.
- ماشي يا ستي وماله، يلا بقى علشان ناكل قبل ما المحاضرة الجاية تبدأ.

أومأت برأسها مبتسمة ثم تناولت طعامها وبدأت بالتهامه بتلذذ.

بعد انتهاء يومها الدراسي وصلت لمنزلها وصعدت درجات السلم ببطء، وما إن وصلت إلى باب شقتها حتى أدارت المفتاح بخفة داخل القفل، قامت بفتح الباب وولجت، فور دخولها سمعت صرخات حماسية آتية من آخر الصالة، فتبينت أنها من أختها الصغرى ولاء تقول فيها:

- سلمى تعالي بسرعة المسلسل لسه بادئ أهو، كويس لحقتي نفسك.

سُرّت لذلك كثيرًا، وأخبرتها بأنها ستذهب لتضع حقيبتها داخل غرفتها وتعود على الفور، أثناء عودتها تمتمت بهدوء وقد انتابها شعور تأنيبي:

- يااه لو الواحد يبطل مسلسلات، ويا سلام لو يبطل الأغاني كمان، أكيد وقتها هكون مرتاحة جدًا، على الأقل مش هحس كل شوية بتأنيب الضمير ده.

سمعتها ولاء فنظرت لها بضيق وقد ارتفع حاجبها الأيسر للأعلى وقالت بحنق:

- أنتِ هتعملي فيها ست الشيخة؟ يا تتفرجي يا تمشي يا سلمى علشان متبوظيش الحلقة عليَّ.

تنهدت سلمى بقوة ثم ابتسمت مستسلمة وقالت:

- خلاص هتفرج، يلا قوليلي حصل إيه من الأول.



يبدو أنه شَعَر ببعض التأنيب في ضميره خلال الساعتين الماضيتين، ويبدو أنه أيضًا لم يستطع التركيز بالكامل في الكلمات التي ألقاها المُحاضِر في تلك المحاضرة، أخذ يُحدّث نفسه بأنه ما كان يجب عليه أن ينطق بتلك الكلمات في حق هذه الفتاة المجهولة، فربما الأمر بين إسلام وبينها على شكل آخر عكس ما يتوقعه، وربما أخطأت هي وأخطأ صديقه بالفعل، ولكنه ما زال لا يَحقّ له أن يتحدث عنها بأي سوء أو يظن بها غير الخير، عزم على الاعتذار عمّا بدر منه بمجرد انتهاء تلك المحاضرة، وبالفعل فور خروج الطلاب من القاعة وقف أمام إسلام ونظر له بعينين تشِعُّ منهما نظرةٌ وانية متوددة تتحلى بالطيبة والسلام، وتمتم معتذرًا:

- إسلام معلش أنا آسف، مكنش قصدي أتكلم عن البنت دي كده، وفعلًا مكنش يحق لي إني أظلمها أو أقول عليها حاجة وحشة من وراها، بس أنا بصراحة مش مقتنع بجواز النت ده،

وشايف إني لما أحب أخطب واحدة لازم أخدها من بيت أهلها وأتعرف عليها عندهم علشان كل حاجة تبقى في النور، بس عمومًا دي أراء بردو، معلش متزعلش مني.

بدأت التقطيبة تخف، وارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيه وهو يقول:

- أنت عارف إني مش بعرف أزعل منك يا محمد لأنك أغلى صديق عندي، بس مكنتش أتمنى أسمع منك أنت بالذات كلام زي ده، وعلى العموم يا سيدي على مدار الأيام الجاية هتعرف بنفسك إن وجهة نظرك دي غلط، تمام؟

أومأ برأسه إيجابًا وابتسم. سارا معًا في هدوء تام باتجاه الكافيتريا كما تعوّدا، أوقفهما نداءٌ من جار وصديق محمد والذي يُدعى فاروق، فتوقف كلٌ منهما ونظرا إليه. زفرةٌ مُختنقة أطلقها فم إسلام تلقائيًا بمجرد رؤية فاروق، فهو لم يتقبله يومًا، بينما ظهرت ابتسامة واسعة على وجه محمد ورحب بجاره بحماس شديد، نظر فاروق لكل منهما وقد تبادل معهما نظرات الترحيب، ثم قال بلباقة:

- ازيكم يا شباب؟ كويس أني شوفتكم واللّه، كنت بس جاي أقولكم على الندوة اللي هتتعمل بكره في الجامعة يمكن تحبوا تيجوا.

شرد إسلام عنهما قليلًا وأخذ يحدث نفسه بضيق:

- هو كل ما يشوفنا هيقولنا على ندوة دينية! وأكيد ندواته كلها هتكون شيوخ كبار وهيقعدوا يتكلموا كالعادة واحنا مش فاهمين حاجة وفي الآخر ننام زي كل مرة!

حانت منه التفاتة سريعة إلى فاروق بعدما التقطت أذنيه جملةً لم يستطع استيعابها، فقال بدهشة:

- بتقول الندوة اسمها إيه؟!

- أحبك ولكن لن أصارحك.

ضحك ساخرًا ثم قال في تهكم:

- ندوة دينية واسمها كده ازاي يعني؟ احنا هنهزر!

- لا مش بهزر، بُكرة بإذن اللّه ممكن تشرفنا وتشوف بنفسك.

ثم دار على عَقبيه لينصرف بعدما أخبرهما بالمكان والموعد المخصص للندوة، نظر إسلام إلى محمد وأخبره بأن فاروق بالتأكيد يكذب عليهما ويستخدم بعض الحيل ليشجعهما على الحضور كما تفعل الإعلانات التليفزيونية الكاذبة لجذب المشاهدين لشراء منتج ما، ضايق هذا القول محمد بشدة وحاول الدفاع عن صديقه بكل ما أوتي من قوة، وأخبر إسلام بأنه لو كذب رجال العالم أجمع فلن يكذب فاروق تحت أي ظرف، نظر له إسلام بتحدٍ ووافق على الذهاب للندوة لكي يُثبت له فقط كذب من يدافع عنه، بادلهً محمد نفس نظرة التحدي وهو يُومِئ برأسه موافقًا ليُثبت له عكس ذلك.

وبالفعل عاد كل منهما إلى منزله بانتظار الغد للذهاب إلى تلك الندوة المجهولة، ظل إسلام حائرًا طوال اليوم، هل يمكن أن تكون هناك ندوة دينية بهذا الاسم؟ أم أن ظنه تِجاه فاروق صحيح! أخذ يفكر لبعض الوقت ثم تذكر فجأة أن هند أخته الصغرى معه في نفس الجامعة ومن الممكن أن تكون قد سمعت بهذه الندوة من قبل، ذهب لغرفتها وطرق الباب بخفة، فقامت باستقباله بمرح كعادتها، سألها عمّا إذا كانت سمعت عن هذه الندوة، فأجابت مؤكدة:

- أيوة عارفة أنها بُكرة.
- مين اللي قالكم عليها؟
- حاطين إعلان كبير عندنا في تربية عنها، وسلمى صاحبتي طول اليوم واقفالنا قدامه ومبهورة بيه أوي، بس بصراحة باين عليها حلوة لأن الكلام اللي مكتوب عنها مختلف ومميز عن أي ندوة تانية.

شعر بالحرج الشديد من نفسه، فعلى ما يبدو أنه قد خسر هذه المنافسة من قبل أن تبدأ، عاد ليكرر السؤال على أخته مرة أخرى كمحاولة أخيرة منه لإنقاذ الموقف، فأجابت بتعجب:

- أنت مستغرب ليه كده؟
- أصل فيه واحد ممل كده اسمه فاروق قالنا عليها، وبصراحة أنا مش مصدق، لأن أكيد أي حاجة هتيجي من ناحيته هتبقى مملة زيه.
- معرفش يا إسلام، أنا قولتلك على اللي أعرفه وخلاص، عمومًا ممكن تحضرها بُكره وتتأكد بنفسك.

وبما أن هذا هو الحل الوحيد، استسلم في النهاية وقرر الانتظار للغد ليعرف الحقيقة كاملة.



مدت أشعة الشمس الساطعة خيوطها الذهبية عبر نافذة غرفتها لتُداعب وجهها بخفة، استيقظت من نومها نَشِطة وقد غمرتها السعادة، تناولت هاتفها مستندة إلى طرف الفراش ونظرت في ساعته فإذا هي السابعة والنصف صباحًا، نهضت على الفور وقامت بفتح خزانتها، اختارت بِنطالًا كحليًا من الجينز وفستانًا قصيرًا بالكاد يصل إلى ركبتيها والقتهما على الفراش بإهمال، ثم أحضرت مِنشفتها وذهبت

لتتوضأ لتؤدي صلاة الصبح بعدما فاتها الفجر ككل يوم، أنهت صلاتها وارتدت ثيابها على عجل، خرجت من منزلها لتلحق محاضرتها الأولى والتي ستذهب بعدها إلى الندوة التي احتلّت جُلّ تفكيرها في اليومين الماضيين، انتهت المحاضرة فانطلقت بحماس مع صديقتيها إلى المكان المحدد للندوة، ومن حسن حظهن أنهن وجدن بعض المقاعد الفارغة في الصفوف الأمامية فجلسن بانتظار بدء الندوة.

بعد عشر دقائق تقريبًا بدأت الندوة، تحدث الداعية الشاب عن الحب في ديننا الإسلامي، ذلك الحب الفطري الذي يحدث عادة بين الرجل والمرأة، الحب الذي من الممكن أن يكون مصدرًا للثواب، وربما أيضًا مصدرًا للعقاب، ولكن كيف لنا أن نفرق بين النوعين؟ الأمر في غاية البساطة، فالنوع الأول من الحب وهو الحب العفوي غير المقصود، والذي لا يكون للإنسان كَسبٌ فيه ولا يسعى إليه، كأن يسمع شابٌ عن فتاة أو يراها فجأة فيتعلق قلبه بها، فإذا اتقى الله فيها ولم يدفعه هذا التعلق إلى فعل أي شيء محرم من نظرة أو خُلوة بل ودفعه إلى السعي للارتباط بها في الحلال كان مأجورًا مُثَابًا على صبره وعِفّته وتقواه، بينما النوع الثاني من الحب وهو الحب الذي يكون واقعًا باختيار الإنسان وسعيه وكسبه، كمن يتساهل في النظر إلى النساء ومحادثتهن والاختلاء بهن، فلا مِريَة في أن هذا الحب لا يُبيحه الإسلام وإن كان في النية إتمام هذا الحب بالزواج.

تحدث الداعية أيضًا عن طرق المحافظة على القلب من الوقوع في الحرام، فأخذ يُشجع الشباب على غض البصر وتجنب الاختلاط لكي يحافظوا على قلوبهم حتى يرزقهم الله لذة الحب الذي يُرضيه، أخبرهم عن تجربته الشخصية في الحب، أخبرهم كيف حافظ على قلبه طوال سنواته السابقة وظل يدعو الله كثيرًا أن يُجنّبه شر هذه الفتنة حتى رزقه

الله قبل عامين بمن وهبها كل الحب، بمن عاش معها حياةً أروع بكثير من التي يرونها في التلفاز أو يسمعونها في الحكايات، بمن دخلت معه في منافسةٍ شريفة، الفائز فيها من يستطيع إسعاد الثاني أكثر، أخذ يَحُثُّهم على الانتظار وعدم التسرع، أخذ يُخبرهم عن روعة الإحساس الذي عاشه هو بنفسه، والذي يتمنى أن يشعر به كلٌ منهم، وأخيرًا ختم كلامه بأنه يجب على الجميع أن يكون على يقين بأن الله قادر على أن يرزقه أكثر بكثير مما يتمنى، فقط يجب أن يصبر ويُجاهد وحتمًا سيجزيه الله خيرًا على صبره.

انتهت الندوة وخرج كل من في القاعة وابتسامته على شفتيه وفي قلبه إحساس بالراحة والانشراح لا يُمكن أن يُوصف، فكم لامست تلك الكلمات جِدار قلوبهم، وكم شعرت أرواحهم بالسعادة بعدما سمعت آيات الله وأحاديث نبيه عليه الصلاة والسلام، خرج محمد تكاد أعضاؤه تهتز سرورًا، وقف أمام المبنى ونظر لصديقه بانتصار، ضحك ضحكة تملؤها الثقة وقال ببهجة شديدة:

- إيه رأيك بقى يا عم؟ طلع مش كذاب أهو.

أومأ إسلام برأسه مؤيدًا وقال بإعجاب:

- لأ بصراحة الله ينور، عجبتني الفكرة وعجبني الأسلوب بتاع الداعية، حاجة جديدة كده عكس ما كنت أتوقع تمامًا، أي نعم أنا مش هقدر أنفذ حاجة من اللي اتقال بس بردو حلوة.

- بس أنا بقى عجبني الكلام وقررت أنفذه.

سأله متعجبًا:

- هتعمل إيه يعني؟

فإذا بإشراقة كبيرة تكسو وجهه، وإذا بنبضاته تتسارع وهو يجيب بنبرة فطرية جميلة:

- حبيت فكرة إن زوجتي تبقى أول حب في حياتي، علشان كده بإذن الله هفضل محافظ على قلبي لحد ما أقابلها، لأن المشاعر وقتها هتكون طازة ومش مستهلكة، مش حابب أنا إني أتعرف على دي ودي وفي الآخر أروح أتجوز واحدة تانية خالص، خليني كده بعفتي علشان أرضي ربنا، وأنا متأكد إنه هيرزقني بواحدة عفيفة زيي.
- ماشي يا باشا ربنا معاك، ويا ريت بجد كل الناس زي الداعية ده كان الواحد حضر علطول، المشكلة إني مش برتاح للناس الملتزمين دول، بحس أنهم مش عايشين ومش بيضحكوا وكلهم مملين زي فاروق كده.

رمقه بنظرة جانبية وحادة، ثم قال باستياء:

- بردو يا إسلام! على فكرة لو عرفت فاروق عن قرب هتحبه جدًا.

وقبل أن يُجيب التقطت عيناه فاروق الذي يسير نحوهما، حاول كظم غيظه حتى لا يشعر صديقه بالضيق، وتَصنّع الابتسامة وهو يُحيّي فاروق ببرود. سألهما الأخير عن رأيهما في الندوة فأشادا بروعتها، هم لينصرف بعدما اطمأن قلبه، ولكن إسلام استوقفه وسأل ساخرًا:

- هو أنتوا بجد بتعرفوا تحبوا زينا كده؟ يعني مش أنتوا بتقولوا إن الحب ده حرام؟

رغمًا عنه صدرت منه ضحكةٌ عالية، اتّبَعَها بابتسامة واسعة وهو يجيب مُوضّحًا:

- لا طبعًا مين قال كده! لو الحب حرام مكنش ربنا خلقلنا قلب، صح ولا إيه؟

- صح، بس أنتوا اللي بتقولوا كده.

- يا إسلام افهم، الحب نفسه عمره ما كان حرام، اللي بيحصل باسم الحب من نظرات وكلمات ومقابلات هو ده اللي حرام، الناس اللي بيقولوا احنا مرتبطين وبنحب بعض وبيسمحوا لنفسهم يعملوا حاجات كتير تغضب ربنا باسم الحب هو ده اللي حرام، يعني همَ اللي شوهوا المعنى الجميل ده مش احنا.

- جايز...

- عمومًا يا سيدي لو فيه أي حاجة تاني في الندوة مش واضحة وحابب تسأل عليها ابقى قولّي، معلش مضطر أمشي دلوقتي علشان عندي محاضرة، سلام عليكم.

تركهما وغادر ذاهبًا إلى محاضرته، نظر محمد إلى إسلام وسأله عمّا إذا كان قد اقتنع بكلمات فاروق اليسيرة فأجابه بالنفي، وأخبره أن شخصية فاروق تتسم بالتعقيد والملل، وبأنه يُعطي الأمور أكثر من حقها ويُضيّق على نفسه كثيرًا، وأنه يحاول فقط أن يجعل نفسه طبيعيًا أمامهما، ثم نظر لصديقه بثقة تامة وأخبره أن الطبيعي هو ما هما عليه الآن فلا داعٍ لكل هذا العناء والتشدد.



كانت ليلةً هادئة من ليالي الشتاء البارد، أطلّ القمر على استحياء مُحاطًا بهالته الباهتة ليبدد قِسمًا ضئيلًا من ظلمة السماء دون أن يطغى على رِدائها الأسود، دخلت غرفتها بعدما أنهت عملها اليومي في المنزل من تنظيف وخِلافِه، قامت بغلق النافذة بإحكام حتى لا تتسلل منها بعض

النسمات الباردة فتُثلج جسدها الضئيل، أحضرت الحاسوب الخاص بها ووضعته على فراشها وقامت بفتح موقع الفيس بوك، تنقّلت سريعًا بين الصفحات ونظرت نظرةً سريعة على الإشعارات الواردة فتَبسّمت ضاحكة من تلك الفتاة المجهولة وما تفعله معها بشكل مستمر، فبرغم أنها لم تتحدث مُسبقًا مع هذه التي تُدعى حفصة إلا أنها دائمًا تجد نفسها مُضافة إلى مجموعات جديدة على ذات الموقع بواسطة حفصة، كانت المجموعة الأخيرة التي أضافتها إليها تحمل اسمًا مختلفًا، همست بتعجب: فريق العفة! انتابها الفضول لتعرف نشاط هذا الفريق فقررت الدخول إلى المجموعة لتُلقي نظرة سريعة وتستكشف الأمر بنفسها، ولكن يبدو أن النظرة السريعة طالت... طالت كثيرًا.

بعد ساعة ونصف تقريبًا طرقت ولاء باب الغرفة فلم تجد جوابًا، ازدادت حِدة طرقاتها فنهضت سلمى بفزع وقامت بفتح الباب على الفور، نظرت لها ولاء والغضب يملؤها وسألتها عن سبب غلق الباب كل هذه المدة، فأجابت متعجبة:

- هاه! مش عارفة، معلش مأخدتش بالي إنه كان مقفول.

أحضرت ولاء الشيء الذي أتت لتأخذه من الغرفة وهمّت بالخروج، ولكن نداءات سلمى استوقفتها، اقتربت من أختها ونظرت لها بترقب، فقالت سلمى وقد نقشت على ثغرها ابتسامة جميلة:

- بصي كده واحدة معرفهاش دخلتني جروب جديد بس بجد روعة أوي.

- روعة ازاي يعني؟

لم تستطع أن تمحو بعض الكلمات التي حُفِرت في ذاكرتها منذ أن قرأتها، لم تستطع أيضًا أن تُعبر بدقة عما تَجيش به نفسها، فكونُها

شخصيةً حساسة للغاية يجعلها تتأثر كثيرًا بمجرد قراءة أو سَماع كلمة صغيرة، وهذا ما حدث معها عندما قرأت بعض المنشورات في تلك المجموعة، وشعرت أن تلك الكلمات قد لامست جدار قلبها برقة، نظرت لأختها بسعادة وقالت:

- ناس كده يا بنتي تحسي إن عقلهم نضيف ما شاء الله، تحسي أنهم عايشين لهدف معين وبيساعدوا بعض يقربوا من ربنا، عجبني الجو أوي بصراحة، رغم أني بعد اللي قريته ده حاسه أن حياتي كلها غلط، يا إما بقى همَ اللي مزودينها شوية.

انتابها الفضول فأدارت الحاسوب تجاهها ودققت النظر فيه لدقيقة ونصف تقريبًا، ثم زفرت بملل وأعادته لأختها مرة أخرى وهي تقول بعدم اهتمام:

- بلاش تقعدي معاهم كتير يا سلمى بدل ما يأثروا عليكِ.

وبلا مبالاة غادرت الغرفة لتُكمل ما كانت تفعله، نظرت سلمى لحاسوبها بشرود لثوانٍ قليلة، هاجمت رأسها فكرةٌ وما أسرع أن عزمت على تنفيذها، قامت بفتح الصفحة الشخصية الخاصة بحفصة ووقفت تتأملها لدقائق وهي تُرتب أفكارها داخل عقلها، ثم قامت بالضغط على أيقونة الرسائل وكتبت:

- السلام عليكم، أولًا كنت عاوزة أشكرك على الجروب اللي دخلتيهوني من شوية ومعلش حابة أسالك على حاجة، هم الناس اللي في الجروب دول حقيقيين زينا؟ مش عارفة حاسة إني مستغرباهم شوية، يعني بلاقي بوستاتهم أسلوبها حلو جدًا وبتشد، وفي نفس الوقت بحس إنهم معقدين الدنيا، ساعات أحس أنهم صح وساعات أحس أنهم مكبرين المواضيع زيادة عن اللزوم...

توقفت قليلًا لالتقاط أنفاسها وتجميع أفكارها من جديد ثم استأنفت:

- بصي بيني وبينك كده، أنا بنت عادية يعني زي كل البنات، مش عارفة إذا كانت حياتي كده صح ولا غلط لأن كل اللي حواليا زيي كده، يمكن كتير بحس إن ليا دور في الحياة، بس مش عارفة إيه هو! عاوزاكِ تقوليلي بقى هل أنا ليا دور في الحياة حاليًا غير دراستي؟ مع العلم إني في ثانية تربية إنجليزي ومش بعمل أي حاجة غير المذاكرة، فهل ده كافي ولا في حاجات تانية المفروض تتعمل؟ معلش أنا آسفة جدًا لو طولت عليكِ، بس من ساعة ما دخلت الجروب وأنا حاسة إنكم ناس مختلفين عننا، وحسيت براحة كبيرة لما قرأت الكلام اللي بتكتبوه، آخر حاجة بقى، لو كلامكم وبوستاتكم دي صح! معنى كده إن حياتي كلها غلط وإن هدف الدراسة لوحده بردو غلط؟! بصي مش عارفة أنا محتارة وكان لازم أكلمك، وعارفة إننا متكلمناش قبل كده بس سامحيني ملقيتش حد غيرك أسأله، مستنية جوابك.

قرأت الرسالة عدة مرات قبل أن تغلق حاسوبها وتَستنِد برأسها على ظهر السرير وتترك العَنان لذاكرتها أن تسترجع صورًا كثيرة من حياتها الماضية والتي جعلتها تتساءل بحيرة أهذه حقًا هي الحياة التي من المفترض أن تعيشها؟ أم أن هناك هدفًا آخر مجهول!



ذات صباح بينما كان جالسًا يتناول إفطاره في كافيتريا الجامعة مع صديقه المقرب وهالة من السكون التام تُحيط بهما، تذكر فجأة ما حدث بالأمس أثناء حديثه مع صديقته سارة فشعر بالضيق، حانت منه التفاتة

سريعة إلى محمد فوجده منهمكًا في تناول طعامه ولم يشعر بنظراته، تنحنح قليلًا وقال بحرج بالغ:

- محمد أنا كلمت سارة امبارح.

اعتدل في جلسته واستقام ظهره، نظر له بعدم فهم وتمتم:

- طيب وإيه الجديد؟

أجابه بنبرة يشوبها التأنيب والخجل:

- بُص بصراحة كده أنا طلبت منها صورتها وهي وافقت، طلعت أحلى بكتير مما كنت أتخيل ولاقيتني غصب عني بقولها كلام مكنش ينفع يتقال.

لاحظ الوجوم الذي كسا وجه صديقه، حاول أن يمتص ضيقه وقال مبررًا:

- يا محمد ما هو مكنش ينفع أبقى بكلمها بقالي ست شهور ولحد دلوقتي معرفش شكلها!
- وكمان بتكلمها من ست شهور!
- بُص هي من ساعة ما دخلت حياتي وأنا عاوز أقولك لأني مش متعود أخبي عليك حاجة، بس كنت عارف إنك هتتضايق لو عرفت...

قاطعه قائلًا بابتسامة خافتة مؤنّبة:

- بس لما لقيت إنك بدأت تتجرجر في الغلط قولت تقولي علشان أشوفلك حل، والله فيك الخير.

نهض من مكانه ببطء وجلس بالمقعد المجاور لصديقه، نظر له وقال بصدق ظهر جليًا في كلماته:

- اللي حصل حصل، المهم دلوقتي أنا مش عاوز أعمل معاها أي حاجة غلط لحد ما أتجوزها.

- وهتتجوزها امتى بقى؟

قالها مستائلًا. فأجابه إسلام وقد اتسعت ابتسامته كثيرًا عندما تذكر أمر زواجه منها وقال:

- بعد ما أتخرج وأشتغل إن شاء اللّه.

- يعني على الأقل بعد سنتين؟ ده لو لقيت شغل أصلًا بعد ما تتخرج.

-.......

- وطبعًا هتفضل تتكلم معاها لحد ما تيجي تتقدم لها!

أجابه بسرعة فُجائية لم تكن مُتوقعة منه:

- أكيد طبعًا يا بني.

همس بأسلوبه الهادئ بعدما تقمّص دور الأخ الأكبر لإسلام كما كان يفعل دائمًا، الأخ الأكبر الناصح الأمين، والذي يتحمل مسئولية أخوته الصغار بعد رحيل والدهم:

- عاوز تكلمها أكثر من سنتين وما يحصلش تجاوزات؟ تبقى بتضحك على نفسك يا إسلام، لما شوف من ست شهور حصل إيه، أمال بعد كده بقى!

- يووه يا محمد، خلاص يا عم أنا غلطان إني اتكلمت معاك، أنا هتصرف لوحدي في الموضوع ده.

قالها مُتأففًا بعدما نهض من مكانه مستعدًا للرحيل. نهض صديقه هو الآخر ووقف أمامه مباشرة، ارتسمت على وجهه نظرة بشوشة وهو يقول بطيبته المعتادة:

- مش عاوزك تتضايق من كلامي يا إسلام، أنت عارف إني مش بقول كده إلا من خوفي عليك، وقبل ما تتريق وتقول أي حاجة أنا عارف إني مليان ذنوب، بس يمكن ييجي عليَّ يوم وأقرب من ربنا وأتوب وربنا يغفر لي، لكن موضوع البنات ده يا عم عامل زي الدوامة اللي مش بتنتهي، واحنا عندنا أخوات بنات ولازم نخاف عليهم.
- عندك حل للموضوع من غير مواعظ؟
- اللي أنا شايفه إنك لازم تنسحب من الموضوع ده بهدوء وتبعد عنها خالص، وتأكد إن لو ليك نصيب فيها هتتجوزها حتى لو حصل إيه، ولو ملكش نصيب فيها يبقى مش هتتجوزها حتى لو قعدت تكلمها لحد ما تتخرج زي ما بتقول.
- إيه يا بني اللي أنت بتقوله ده! عاوزها تقول عليَّ بكذب عليها بعد ده كله؟ خلاص بقى أنا هحاول أخد بالي من كلامي معاها وخلاص.
- تمام، بس حاول تقلل كلامك معاها بردو، ولو حسيت في أي وقت إنك ممكن تقول حاجة حرام يبقى اقفل الكمبيوتر بسرعة كأن النت فصل، رغم إني حاسس إن تقريبًا كلامكم كله حرام.
- يا رااجل! كلامنا كله حرام! حتى لو كلام عادي! هنفتي بقى.
- يا عم معرفش أنا بقول تقريبًا، ابقى اسأل شيخ واتأكد.

وقبل أن يُجيب إسلام سَمِعا معًا أذان الظهر، شعر محمد بالارتياح وابتسم لصديقه بخفة وقال:

- تيجي نصلي الظهر؟ وادعي ربنا يعدي الموضوع ده على خير.

- ماشي بس يلا بسرعة نجيب أي حاجة ناكلها لأني ميت من الجوع وبعدها نروح نصلي.

أومأ برأسه موافقًا وسارا معًا باتجاه باب الجامعة للخروج منه لشراء بعض الشطائر من الخارج، وذلك بسبب ارتفاع أسعار المأكولات في كافيتريا كلية الهندسة، كان المكان مزدحمًا بشدة من جائعي الجامعة فاضطرا للتوقف بعض الوقت حتى الانتهاء من طلبهما، وما إن أزِفت ساعة الرحيل حتى نظر إسلام في ساعته فوجدها قد دقت الثانية عشر قبل خمسة دقائق فأسرع بخطاه نحو قاعة المحاضرات ودخل على الفور قبل أن يحضر المحاضر ويرفض دخولهما من بعده، وبالطبع نسيا صلاتهما ككل يوم!



في غرفتها ذات اللون الوردي الفاتح، وعلى سريرها الصغير ذي اللون البني القاتم، ترقد مُستلقية على ظهرها واضعةً كفّيها خلف رأسها سابحةً في فكر عميق، ما زالت عيناها مُعلّقة بسقف الغرفة ناصع البياض وهي تسترجع كل ما حدث اليوم، مرت المشاهد بومضاتها السريعة على ذاكرتها فجعلت ابتسامتها تتسع أكثر وأكثر، تذكرت حديثها الصباحي مع صديقتيها عندما سألتهما ذلك السؤال الذي سيتوقف عليه اتخاذ العديد من القرارات المرتبطة بحياتها:

- إيه رأيكم في الحياة اللي احنا عايشينها دي؟

أجابتاها على الفور بأن هذه الحياة مملة جدًا، وأن معظم اليوم يتم قضاؤه في الجامعة بين المحاضرات، والمتبقي منه يتم أمام شاشات الحاسوب، إذًا لا جديد في الأمر، سألتهما هل تشعران بالسعادة في تلك الحياة لكونكما تفعلان كل ما تريدان؟ فأجابتاها بالنفي، فكل شيء في

هذه الحياة أصبح روتيني للغاية، صاحت بحماس شديد وسألتهما هل لديكما النية للتغيير وكسر حاجز ذلك الروتين؟ فسألتاها بالحماس نفسه عن كونها لديها أية أفكار لتحقيق ذلك، فأجابت بالنفي، ولكنها وعدتهما بأنها ستخبرهما بالخطوة القادمة في خلال يومين أو ثلاثة على أقصى تقدير، ثم بعدها شكرتهما بشدة على ذلك التشجيع، فحقًا هكذا تكون الصديقات.

تذكرت أيضًا الخواطر التي مرت على رأسها أثناء عودتها من الجامعة في المواصلات العامة، تذكرت تعجبها الشديد من ذلك الحماس الذي طغى على عقلها وزلزل كيانها بمجرد قراءة بعض المنشورات على الشبكة العنكبوتية، تذكرت أيضًا رد عقلها عليها بأن تلك المنشورات تتسم بالعقلانية الشديدة وبها بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تقشعر لها الأبدان، تذكرت حينها همساتها لنفسها:

- طيب وفيها إيه لما أغير من نفسي وأكون أحسن من كده؟ مش أنا دايمًا بقول إني لازم أكون مميزة عن كل البنات؟ ودايمًا بردو برفض فكرة إني أكون عايشة الحياة الروتينية اللي كل الناس عايشاها دي وخلاص؟ أكيد أنا مش مخلوقة علشان كده ومش هسمح لنفسي أكون كده.

تذكرت هرولتها بمجرد دخول منزلها واتجاهها نحو حاسوبها لتبحث عن رد حفصة على رسالتها التي أرسلتها لها قبل عدة أيام ولم تلق جوابًا إلى الآن، وأكّدت لنفسها أنه عن طريق كلماتها ستعلم هل حقًا هم على حق أم أن ما تسمعه عنهم من اتسامهم بالتعقيد صحيح، قامت بالدخول إلى حسابها على موقع الفيس بوك وبالفعل وجدت رسالة من حفصة، قامت بفتحها على الفور وبدأت تقرأ فيها وابتسامتها تتسع وتتسع حتى كادت تصل إلى أذنيها، انتهت منها وبدأت تقرأها مرة أخرى بهدوء:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أولًا بعتذر جدًا على التأخير بس مدخلتش نت اليومين اللي فاتوا، ثانيًا بقى مش عارفة أوصفلك قد إيه أنا مبسوطة من رسالتك دي، وبما إنك بدأتي تسألي فده معناه إنك حاسة إن فيه حاجة غلط في حياتك، بس في نفس الوقت خايفة تواجهي الغلط ده علشان اتعودتي تعيشي كده وكل اللي حواليك كده، نبدأ واحدة واحدة، الدراسة يا سلمى هدف مهم جدًا في الحياة، بس مينفعش يكون هو هدفنا الوحيد، مينفعش أكون عايشة علشان أذاكر وأنجح وأتخرج وأشتغل وبس، لازم يكون فيه حاجات تانية! لازم أطور نفسي وأطور شخصيتي وتفكيري، لازم أعرف أنا عايشة ليه ومهمتي إيه في الأرض، علشان يوم القيامة يكون ربنا راضي عني والرسول صلى الله عليه وسلم يكون فخور بيا، وهو ده بالظبط اللي احنا بنحاول نعمله في الجروب، بنحاول نعرف ديننا كويس ونعيش بمبادئه وفي نفس الوقت نضحك ونهزر ونفرفش ونعمل كل حاجة بس من غير ما نغضب ربنا. حاجة كمان، كون إنك مستغربة الجو أو خايفة منه شوية فده طبيعي لأن الموضوع جديد عليكِ، كمان ممكن تكوني قابلتي في حياتك نماذج لناس فاهمين الدين غلط وعلى طول مكشرين وبينصحوا الناس بطريقة فظة علشان كده قلقتي، لكن صدقيني اللي هيعرف دينه صح وينفذه هيبقى أروع مثال للشخص المسلم وكل الناس هتحبه وعمرهم ما هيخافوا منه، أنا عارفه إنك ممكن متكونيش مستوعبة إنه ينفع نبقى الاتنين مع بعض، بس لو حابة تقربي من ربنا أكثر وتعرفي عن دينك أنا عينيا لك وممكن أمشي معاكِ واحدة واحدة لحد ما توصلي للي أنتِ عايزاه، إيه رأيك؟

تذكرت بعدها شعور الراحة الذي غمرها، وردّها على حفصة بأن هذا الكلام أسعدها كثيرًا وبالتأكيد ستتحدث معها في وقت لاحق بعدما تفكر في حياتها من جديد وتعيد ترتيبها، وأخيرًا بدأت عيناها في الخفوت شيئًا فشيئًا، استسلمتا بعد عناء لطلائع نوم آخذة في الزحف نحو معسكرها، قبل أن ترضخا لسبات عميق ينتظر مجهول الأحلام.



تُرى أين هي؟ يعتقد أنها كانت هنا قبل قليل، ظل يبحث عنها فوق المنضدة، على سطح الكومودينو، بين ثنايا غطائه الأزرق، وربما أيضًا تحت السجادة المُفترِشة منتصف الغرفة، بحث عنها في كل مكان ولكن بلا جدوى، فقد اختفت كسراب حلّق بعيدًا وهو على غير نية للرجوع، أخيرًا قام مستسلمًا وذهب إلى هاتفه ليُحدث منقذه الوحيد والمعتاد في تلك المواقف، زفر يائسًا ثم قال:

- ازيك يا كابتن؟ بقولك إيه معاك المذكرة بتاعت دكتور عبد الرحمن؟ أصلي مش لاقيها خالص ومحتاجها ضروري الأسبوع ده.

- معايا يا إسلام، خلاص هجيبهالك بكره بإذن الله.

شقّت الابتسامة الخفيفة أخيرًا طريقها بين شفتيه اليائستين وقال بأريحية:

- ماشي شكرًا يا محمد. معلش لو قلقتك من النوم ولا حاجة.

- لا ولا يهمك، أنا قاعد بتفرج على برنامج، لما يخلص هبقى أنام إن شاء الله.

همهم متسائلًا:

- برنامج إيه ده؟ يمكن أجي أتفرج معاك.

قال المقطع الأخير ضاحكًا، فأجاب صديقه بتلقائية:

- برنامج ديني كده.
- ما شاء الله ما شاء الله، ربنا يهديك يا بني.
- يا عم ما تسيبني في حالي بقى يمكن ربنا يهديني ويقربني منه.
- خلاص يا شيخ محمد كمل يا أخويا كمل، أنا بس مستغرب اشمعنى النهارده يعني!

قالها متسائلًا بجدية ممزوجة بالتعجب، فما كان من صديقه غير أنه نظر لوهلة إلى التلفاز ثم تبسم قائلًا:

- عادي كنت بقلب ولقيته والكلام شدني، المهم روح أنت دلوقتي وهجيبلك المذكرة بكره حاضر.

وقبل أن يجيب إسلام قال محمد بشيء من الحزم:

- وماا تكلمش سارة تاني، مفهوم؟

نظر إسلام إلى مرآته بشيء من الذهول ثم تمتم وهو على نفس الحالة:

- زي ما تكون بتقرأ أفكاري، خلاص مش هكلمها النهارده علشان خاطرك، يلا سلام.

أغلق كل منهما هاتفه بعدها مباشرة، جلس إسلام ليستكمل ما بدأه من مذاكرة وتحضير لمحاضرات الغد، بينما أنهى محمد ذلك البرنامج المفاجئ وسار بخطوات بطيئة نحو سريره، الذي ألقى بجسده عليه بقوة وذهب في سبات عميق.

صبيحة اليوم التالي استقبل إسلام صديقه وعلى وجهه ضحكات متتالية، وكأنه يتعجب من مشاهدة ذلك المسلم لبرنامج ذي سمات إسلامية، يبدو أنه لم يعتد على مثل هذه المواقف ولهذا أدهشه ما حدث، وقف بجوار صديقه وسأله مازحًا عن محتوى ذلك البرنامج الذي جذب انتباه الشيخ الصغير، فأجاب محمد باسمًا وقد لمعت عيناه ببريق لم يرَ له مثيل من قبل:

- كان يا سيدي بيحكي مواقف حصلت في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة رضي الله عنهم، كان بيشرحلنا قد إيه الرسول تعب عقبال ما نشر الدين الإسلامي بالشكل ده، وإن الشباب دلوقتي سايبين الدين ده وكل تفاصيل الحياة اللي بيشملها وماشيين ورا شوية موضات متخلفة بنستوردها من الغرب، لا والأغرب أنهم عاجبهم أوي الحال ده، ولو شافوا حد متمسك بدينه بتلاقيهم بيضحكوا عليه ويقولوا إنه قديم ورجعي ومعقد!

صمت قليلًا ثم تنهد تنهيدة حزينة وأردف:

- الكلام كان حلو أوي، رغم إني حسيت ساعتها إني مقصر جامد وإني مش هينفع أعيش كده كتير، نفسي تساعدني يا إسلام ونشجع بعض ونبدأ نفهم ديننا شوية.
- يا بني ما احنا كويسين أهو الحمد لله، يعني لا سجاير ولا مخدرات ولا معاكسة بنات ولا أماكن مشبوهة ولا حاجة، احنا أحسن من شباب كتير بس أنت اللي شكلك متأثر لسه بالكلمتين اللي سمعتهم.

أخذ يحك ذقنه بأطراف أنامله بعدم اقتناع ثم قال بمرارة:

- بس ده مش كفاية يا إسلام، معتقدش أبدًا إن دي الحياة اللي المفروض نعيشها، بجد نفسي تشجعني حتى لو لمرة واحدة يا عم، ما أنا طول عمري معاك على الحلوة والمرة.
- ما هي المشكلة إني مش مقتنع أصلًا، بحب حياتي كده وراضي بيها، وبعدين يا عم ربنا يطول عمرنا ونبقى أحسن مع الوقت.
- أكيد في يوم هقدر أقنعك يا إسلام وهنتغير سوا، عمومًا البرنامج اللي بكلمك عنه ده هييجي الأربعاء الجاي، هبقى أكلمك ساعتها وأخليك تتفرج عليه وبعدها أشوف قرارك إيه.

وقبل أن ينطق إسلام ببنت شفة قال محمد بمنتهى الحسم:

- والموضوع كده منتهي بالنسبالي.



لا يزال ذلك الهدوء الفَجْري مسيطرًا بكامل قوته على الحي كله. على غير عادتها في تلك الساعة المتأخرة من الليل استفاقت من نومها ونهضت من فراشها لترتوي بكوبٍ من الماء، ثم عادت من جديد وتدثرت تحت الغطاء، وكأنها قد شعرت بتلك الروح التي تنتظرها في مكان ما تجهله، وجدت نفسها فجأة تنهض من جديد وتقوم بفتح جهاز الحاسوب الخاص بها لتُلقي نظرة سريعة على موقع الفيس بوك وبعدها تعاود النوم مرة أخرى، أقل من خمس دقائق ووجدت رسالة جديدة من تلك الفتاة المجهولة محتواها:

- كنت مستنياكِ على فكرة.

عقدت ما بين حاجبيها في دهشة، ثم كتبت بفضول:

- بجد؟ اشمعنى؟

- مش عارفة، كنتِ على بالي طول اليوم وحسيت إني ممكن أكلمك النهارده.
- حبيبتي شكرًا بجد، بصي أنا فكرت كتير في الكلام اللي أنتِ بعتيهولي وبردو محتارة، هو أنا فعلًا حياتي كلها غلط؟
- مش بالظبط، محتاجين نظبط بس شوية حاجات وهتكوني ١٠٠٪ بإذن الله.

ارتسمت على وجهها علامات الحيرة بصورة أكبر، تراجعت بظهرها للخلف لاصقةً إياه بظهر كرسيها وتنهدت بتعب، صمتت لثوانٍ ثم كتبت:

- طيب المفروض أبدأ منين؟ بصراحة لسه خايفة وبردو مسيطرة عليَّ فكرة إن الالتزام ده يعني تعقيد، وإني لو بقيت زيكم حياتي هتبقى كئيبة، أنا آسفة إني بقول كده بس ده اللي جوايا.

ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجهها وهي تجيب:

- طبيعي تحسي بكده لأن الموضوع جديد عليكِ، أهم حاجة بلاش تضغطي على نفسك، امشي معاها واحدة واحدة وابدئي غيري حاجة حاجة، لأنكِ لو حاولتي تغيري كل حاجة في نفس الوقت ممكن تنجحي أولَ كام يوم، لكن بعدها هتحسي إن الموضوع صعب ومعقد زي ما بتقولي ومش هتقدري تكملي طريقك.
- طيب بردو أبدأ ازاي؟
- أنا شخصيًا بداية تغييري كانت من بوستات الجروب، كنت بقرأ البوست من دول وأقول لنفسي: طيب وأنا معملش الحاجة الفلانية دي ليه؟ طيب وهمَ اللي بيعملوها أحسن مني في ايه؟ جات عليَّ فترة كنت بقعد مع نفسي وأفكر كتير ووصلت لأني

لازم أتغير، ومن ساعتها بدأت أخد الحاجات السهلة وأظبطها في أسلوب حياتي وتفكيري، ومرة في مرة بدأت آخد حاجات أصعب وأصعب والحمد لله ربنا قدرني واتغيرت كتير عن زمان ولسه بردو مكملة في طريقي أهو بإذن الله، ممكن تجربي الطريقة دي ولو منفعتش نفكر في حاجة غيرها.

- اممم حاضر هحاول.
- ممكن طلب بقى؟ ابقى طمنيني على أخبارك دايمًا، حقيقي هبقى مبسوطة جدًا لما أتابع خطوات التزامك وقربك من ربنا خطوة بخطوة، وأنا واثقة إنك قدها بإذن الله.
- حاضر يا حفصة، بجد شكرًا لكِ أوي.

وبالفعل، بعدما تحمست لتلك الفكرة قامت بالدخول إلى المجموعة المزعومة وأخذت تقرأ بعض المنشورات تارة وتفكر في محتواها وما يجذبها منها تارة أخرى، بينما أغلقت حفصة هاتفها ونهضت من مكانها لتستعد لصلاة الفجر، مضت الدقائق أمام شاشة الحاسوب تتبعها الدقائق حتى أتم أصغر العقربين دورة وبعض دورة في ميدان ساعته، انتبهت سلمى فجأة لبعض خيوط الضوء الخافت التي تسللت عبر نافذتها لتضيء غرفتها ذات اللون الوردي، فنهضت على الفور لأداء صلاتها قبل شروق الشمس، وقد شعرت ببعض الخجل الممزوج بالتعجب من فعلتها تلك، فقد كادت تُضيّع صلاتها التي بها ترضي الله لتبحث عن أي شيء تفعله لتنال به رضا الله!

انتهت من صلاتها وجلست مرة أخرى على حاسوبها. بعد أقل من نصف الساعة عزمت على إرسال رسالة جديدة لحفصة بها أول قرار اتخذته لتعديل خطأ ما كانت تفعله سابقًا.

- حفصة باركيلي، الحمد للّه أخدت أول قرار في طريقي للتغيير، قررت إني هبطل أنشر أي صور لبنات بشعرها أو لبسها ضيق على النت مهما حصل، عارفة إنه قرار صغير أوي وأنتِ ممكن تضحكي عليَّ، بس حسيت إنه سهل عليَّ وفي نفس الوقت ممكن يمنع ذنوب كتير كانت هتجيلي كل ما ولد يشوف الصور دي أو بنت تقرر تقلدها، وأنا بصراحة في غِنى عن الذنوب دي، وكمان أنتِ اللي قولتيلي أبدأ بالحاجات السهلة دي وواحدة واحدة أكبَر أهدافي، دعواتك بقى يا حفصتي.

قرأت الرسالة مرة أخرى، تنهدت بأريحية، ثم أغلقت حاسوبها ونهضت لتُكمل نومها حتى موعد محاضرتها الأولى.



في السماء زُرقة صافية تُزينها بعض السحابات الصغيرة التي تداعب بعضها البعض بمرح طفولي، وأسراب من الطيور الجميلة تُحلق في الهواء لتشاركهما في رسم تلك اللوحة الرائعة التي تعكس ذلك الجمال الرباني الباهر، في ظل ذلك الجو المفعم بالحياة جلس إسلام بصحبة صديقه محمد في كافيتيريا الجامعة، بدأ الأخير بتناول إفطاره بسكون كعادته، بينما أخذ إسلام يفكر في ذلك السؤال الذي لطالما طرأ على رأسه عدة مرات منذ ما حدث أمس:

- محمد مش هو عادي لما الراجل يقول لمراته كل اللي بيحس بيه؟

قالها ذلك المتردد فاركًا ذقنه. فأتاه رد صديقه بشيء من التعجب:

- سؤال غريب! أكيد طبعًا عادي، اشمعنى؟

- أصلي لما خلصت كلام مع سارة امبارح وجيت أقرأ المحادثة تاني حسيت بشوية تأنيب ضمير، رغم أننا متفقين على الجواز وهي دلوقتي تعتبر مراتي، علشان كده بسألك لأني مستغرب من إحساسي ده.

وبشيء من الدهشة سأل:

- مراتك منين يا إسلام فهمني؟ وكمان طالما حسيت بتأنيب ضمير يبقى أكيد قولت حاجات مكنش ينفع تتقال.

أجاب مدافعًا عن فعلته بكل ثقة:

- احنا الاتنين بنحب بعض ومستحيل نتخلى عن أحلامنا اللي حلمناها سوا، ومستحيل بردو حد يقدر يفرقنا عن بعض، يعني خلاص مفيش مشكلة لما أتعامل معاها على إنها مراتي لحد بس ما أتخرج وأتقدم لها رسمي، وبالنسبة للكلام فعادي يعني كنت بعبرلها عن حبي ليها وبأكد لها إنها بتاعتي ومستحيل تكون لحد غيري.

وبكل موضوعية وعقلانية قال:

- ما فيش حاجة اسمها (تُعتبر مراتي)، ما هي يا إما مراتك يا إما لأ، وهي حاليًا مش مراتك، علشان كده المفروض تتعامل معاها زي أي بنت غريبة عنك، حبك ليها مش مبرر أبدًا إنك تقولها كلام زي ده. حقيقي أنا أتمنى إنك تتجوز البنت اللي بتحبها، لكن في نفس الوقت احنا منعرفش علم الغيب، جايز يكون ربنا كاتب واحدة تانية من نصيبك، ساعتها بقى هيكون إيه موقفك لما تقولها كلام قولته لواحدة قبلها في الحرام؟ ما تحافظ على قلبك يا عم لحد ما تتجوزها وبعدين ابقى اعمل اللي أنت عاوزه!

- عاجبني أوي العقل اللي نزل عليك فجأة ده!

قالها ضاحكًا، فأجابه صديقه بابتسامة خفيفة:

- من ساعة ما حضرت الندوة الأخيرة دي وأنا تفكيري اتغير تمامًا بالنسبة لموضوع الحب ده، استفدت منها حاجات كتير، ربنا يبارك لفاروق علشان قالنا عليها.

- ماشي يا عم، يلا نقوم بقى علشان المحاضرة قربت تبدأ.

وبالفعل قام كل منهما من مكانه متجهًا إلى قاعة المحاضرات، وفي رأس كل منهما فكرة غير قابلة للتغيير، فأحدهما يظن أنه أخيرًا وجد فتاة أحلامه ومن حقه أن يفعل معها ما يشاء، بينما الآخر يسعى بكل ما أوتي من قوة للمحافظة على قلبه لكي يهديه نقيًا لمن تستحق.



على عجلٍ هبطت من سيارة الأجرة ودخلت من باب كليتها مُهرولة لتستطيع اللحاق بمحاضرتها الأولى بعدما فاتها على الأقل ربعها، كانت تُدرك جيدًا أن المحاضر لن يسمح لها بالدخول، ولكنها قررت المحاولة وذلك لأهمية تلك المحاضرة، سارت باتجاه المبنى الرئيسي لكلية التربية فوجدت كل من هند و فاطمة تجلسان على مقعد ما هناك، شعرت براحة كبيرة تغمرها بعدما أيقنت أن المحاضر لم يأتِ بعد أو أن المحاضرة قد تم إلغاؤها تمامًا، مَثُلت أمامهما وقامت بالتقاطِ أنفاسها التي هربت قبل قليل، نظرت لها هند وقد رفعت حاجبها الأيمن، وسألت باهتمام:

- اتأخرتي ليه يا أستاذة؟ مش من عادتك يعني!

- معلش أصلي كنت سهرانة شوية على النت وراحت عليَّ نومة. هي المحاضرة اتلغت؟

- أيوه، بس قولّنا بقى إيه اللي كان مسهرك يا جميل؟

قالتها فاطمة ضاحكة وقد غمزت بعينها اليسرى، فأجابت سلمى بحماس:

- كنت بقرأ شوية حاجات كده وخلاص قررت أعمل ثورة على نفسي وأتغير.
- وهتعملي إيه بقى؟ هتطيري ولا هتمشي على المايه؟
- قررت أحاول أظبط حياتي وأركز في كل تصرفاتي وأشوف هي ترضي ربنا ولا لأ.

ابتسمت هند وقالت بتساؤل:

- جميل، بس إيه سبب قرارك ده؟
- فاكرين البنت اللي دخلتني الجروب اللي قولتلكم عليه؟ اتكلمت معاها وبصراحة ارتحت جدًا، حسيت إني بطير وأنا بقرأ كلامها، حسيت براحة كبيرة كمان لما قعدت أفكر مع نفسي ولقيت إني لازم أبدأ أعدل من تصرفاتي، ادعولي بقى أقدر أنفذ اللي بتمناه.

قالتها ثم نظرت لكلتيهما واستطردت:

- على فكرة أنتوا وعدتوني أنكم هتمشوا في الطريق ده معايا، النهارده أول ما أروح البيت بإذن الله هدخلكم الجروب وأشوف رأيكم فيه، وعمومًا أنا أول قرار أخدته للتغيير هو إني مش هحط أبدًا صورة بنت بشعرها على البروفايل أو النت عامة.

نظرة تعجبية بعمر الثواني من فاطمة، أتبعتها بضحكات متتالية حتى كادت تُرديها قتيلة، حاولت السيطرة على انفعالاتها بصعوبة وقالت ساخرة:

- يا سلام! هو ده التغيير من وجهة نظرك؟ ده اسمه تعقيد وهيافة حضرتك، سايبين كل الحاجات المهمة في الحياة وماسكين في قشور وتقوليلي تغيير ولا التزام؟ يا شيخة وأنا اللي افتكرتك هتتغيري بجد!

امتقع وجهها وقد ظهرت به ملامح خيبة الأمل، وقالت هامسة:

- أنا عارفة إنها حاجة صغيرة جدًا، بس إيه المشكلة لما أبدأ واحدة واحدة؟ مش أحسن من لما أبدأ بالصعب وآجي بعد يومين وأقول مش قادرة أكمل؟ المهم أنتوا معايا ولا لأ؟

وكما يُقال في المثل الشعبي «السكوت علامة الرضا» كان رد كلتيهما سكوتًا أيضًا، ولكن من نوع آخر، سكوت يحمل بين طياته اللا مبالاة والسخرية، نظرت لهما وقد زادها صمتهما إصرارًا، وقالت بكل ثقة:

- طيب تمام، أنا هكمل طريقي لوحدي بإذن الله، وهنشوف سلمى دي في يوم من الأيام هتكون عاملة ازاي، هنشوف هل القشور دي بداية كويسة لواحدة زيي ولا لازم أبدأ من الصعب علشان مقدرش أكمل!

جلست بجوراهما بتعب، وقالت لنفسها بيقين تام:

- حتى لو محدش ساعدني، فأنا متأكدة إن ربنا معايا وهيعينّي دايمًا أني أمشي في طريقه، وبإذن الله هكمل حتى لو الكل اتريق لأن أنا اللي صح. قويني يارب!



- ٢ -

مساء الأربعاء، الحادية عشرة قبل منتصف الليل تحديدًا.

كان السكون يُخيّم على البيت في تلك الساعة المتأخرة من ذلك الليل الشاتي، إسلام قد غَطّ في سبات عميق قبل قليل، بينما جلست هند بصالة المنزل تشاهد فيلمًا أجنبيًا على الحاسوب الخاص بها وقد وضعت السماعات بكلتا أذنيها، وعلى الجانب الآخر جلست والدتها تقرأ في كتاب الله، دقائق من الصمت مرت قبل أن تسمع الأم صيحات متتالية آتية من غرفة إسلام تنادي باسم هند، اقتربت من ابنتها وطرقت على كتفها بخفة، وقالت بابتسامة خفيفة:

- معلش يا بنتي قومي شوفي أخوكِ عاوز إيه.

انتبهت لها هند فقامت بنزع السماعات الصغيرة وقالت بتساؤل:

- بتقولي حاجة يا ماما؟

وقبل أن تجيب الأم سمعت هند نداءات إسلام المتكررة، فنهضت على الفور ودلفت من باب غرفته، وقالت بتعجب:

- إيه يا إسلام مالك؟

أشار إلى هاتفه المحمول، وقال بضيق مصحوب ببقايا نعاسه:

- سكتي البتاع ده مش عارف أنام منه.

أمسكت هند بالهاتف ونظرت في شاشته فوجدت المتصل محمد، أخبرت إسلام بذلك فلم يعبأ ولم يُجِبها حتى، فهمست بهدوء:

- طيب خد رد يمكن يكون عاوزك في حاجة مهمة.
- مش قادر يا هند، عينيا بتقفل لوحدها.
- طيب أكنسل؟
- اعملي أي حاجة المهم خليه يسكت.

وبالفعل قامت هند بغلق الاتصال ووضعت الهاتف مكانه وسارت باتجاه باب الغرفة، وقبل أن تخرج منه سمعت رنين الهاتف من جديد، فعادت على الفور ونظرت لأخيها وقالت:

- يا إسلام دي خامس مرة يتصل، أكيد فيه حاجة ضروري.
- لأ يا هند مش حاجة ضروري.
- يعني أنت عمال تكلمني ده كله ومش عارف ترد على صاحبك يا إسلام؟!

أجابها ضائقًا بعدما نفد صبره:

- بيتصل علشان يقولي على برنامج كان متفق معايا الصبح إننا هنشوفه سوا، ارتحتي؟ وطبعًا لو رديت هيفضل يحاول معايا إني أقوم وأنا مش قادر أتحرك من مكاني أساسًا، يلا بقى اتصرفي وامشي من هنا أنتِ والبتاع ده بدل ما أقوم وأنتِ عارفة اللي هيحصل.

وكعادة إسلام عندما يغضب، لن يستطيع أحد التفاهم معه، باستسلام حملت هند الهاتف وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها في هدوء، زفرة قوية زفرتها فور خروجها أتبعتها بإلقاء الهاتف بضيق

على المنضدة المجاورة لها، ثم عادت من جديد لتستأنف مشاهدة فيلمها الأجنبي.



وعلى بُعد أمتار حيث منزل السيد طارق كانت تجلس ابنته الكبرى سلمى على حاسوبها أخيرًا بعد انقطاع الإنترنت ليومين كاملين وهي في أشد الحاجة إليه، قامت بالدخول إلى موقع الفيس بوك ووجدت صديقتها حفصة موجودة بالفعل فسُرّت لذلك كثيرًا، أرسلت لها رسالة قصيرة، وكان محتواها:

- حفصة ممكن أتكلم معاكِ شوية؟ حصلت شوية حاجات ضايقتني اليومين اللي فاتواَ بس النت كان فاصل فمعرفتش أكلمك.

مرت دقيقة تلو الأخرى حتى أتم العقرب الصغير ربع دورة في ميدان ساعته ولم يأتها أي رد، بعثت برسالة أخرى محتواها: «حفصة محتاجاكِ ضروري بجد». وانتظرت قليلًا حتى أجابت الأخيرة بشيء من الخجل:

- سلمى أنا آسفة سيبت الموبايل وقمت أعمل حاجة، خير يا حبيبتي مالك؟

- عندي إحباط داخل جواه تحدي!

أعجبها التعبير ولكنها لم تفهم المغزى منه، فكتبت:

- بمعنى؟

- فاكرة لما قولتلك إني كلمت صاحباتي على فكرة التغيير وهما شجعوني؟ كلمتهم تاني واتريقوا عليَّ ومش ناويين يمشوا معايا في طريقي.

- توقعت كده بردو، عمومًا مش مشكلة أنا معاكِ أهو وبإذن الله مش هسيبك، ابدئي أنتِ لوحدك وبعد كده حاولي معاهم واحدة واحدة.

- مكنتش عاوزة كده، بجد اتضايقت جدًا لما اتريقوا عليَّ وحسوا إني كده بهرج معاهم وإني مش جادة في الموضوع، أنا متأكدة إني صح، ومتأكدة إن بإذن الله الحاجات الصغيرة دي هتكبر مع الوقت، صح ولا إيه؟

ابتسمت حفصة وكتبت مؤكدة:

- صح طبعًا، أي إنسان يا سلمى بيفكر إنه يتغير طبيعي جدًا هيلاقي شوية صعوبات قدامه، طبيعي هيلاقي ناس بتستخف بيه وبأفكاره، بس عارفة؟ لما يبدأ التغيير ده يبان عليكِ هتلاقي الناس في عيلتك وكليتك بيتخذوكِ قدوة ليهم، ساعتها بس هتحسي أن أنتِ كنتِ صح، وإن الحاجات الصغيرة دي كبرت وكبرت لحد ما بقتِ سلمى المخلوقة المختلفة بجد، وهمَ كلهم هتلاقيهم لسه واقفين مكانهم.

- يااه يا حفصة، متعرفيش كلامك بيريحني قد إيه، حاضر هكمل بإذن الله ومش هتستلم لكلام أي حد، كمان أنا من النوع اللي دماغي ناشفة أوي في الحق، ربنا يقويني.

- ربنا يريح قلبك يا حبيبتي، يلا بقى هتقوليلي قرار رقم اتنين امتى؟

- أول ما أخده هقولك إن شاء الله.

تركتها وذهبت إلى تلك المجموعة التي كانت - بفضل الله- لها دورٌ كبيرٌ في تغيير نظرتها لحياتها بهذه الطريقة، ظلت تبحث هنا وهناك عن

الخطوة القادمة في التغيير، كانت تشعر براحة شديدة في كونها واحدة من أفراد ذلك المجتمع الصغير، مجتمع نقي، راقٍ وبه روحانيات عالية، رغم شعورها بالدهشة من هذه السرعة في اتخاذ ذلك القرار بالتحديد، إلا أنها كانت تشعر دائمًا بأن الله قد يسر لها كل السبل وبعث لها حفصة لتدلها على هذه المجموعة لتكون سببًا في التقرب منه أكثر وأكثر، حقًا لا تعلم أي شيء سوى أنها تريد أن ترتقي بنفسها وفقط، تريد أن تصبح مسلمة بحق وتتحول من مجرد إنسانة عادية إلى إنسانة قدوة.



صبيحة اليوم التالي بعد انتهاء محاضرة الثامنة صباحًا ظل إسلام يتفرس في الوجوه في ترقب باحثًا عن توأمه، فمن غير عادة محمد أن يتأخر عن أي محاضرة مهما كانت، ومن غير عادته أيضًا أن يُغلق هاتفه بهذا الشكل، أخذ يدور حول البناية عدة دورات باحثًا عنه فلم يجدِ ذلك، مر به زميلهما شادي فسأله إسلام عمّا إذا كان قد شاهد محمد في المحاضرة السابقة أو في أي مكان، فأجاب بالنفي وأخذ يمرح معه بعض الوقت ثم غادر على الفور، وقف إسلام مُتأففًا للحظات ثم نوى الذهاب إلى الكافيتيريا لانتظاره هناك، أعاد الاتصال به من جديد أثناء سيره فوجد أن الهاتف ما زال مغلقًا، ضحك متعجبًا ثم قال:

- ما تفتح موبايلك يا عم محمد، ما هو مش معقولة موقف صغير زي ده يزعلك أوي كده، خلاص يا عم أنا هتنازل وهصالحك زي كل مرة بس رد علينا.

انتبه إلى أنه يحدث نفسه على الملأ وقد علا صوته قليلًا فأكمل سيره صامتًا باتجاه المكان المراد، وقبل أن يصل إلى الكافيتيريا وجد فاروق يعترض طريقه وينظر له بضيق شديد، توقف إسلام وتبادل معه النظرات، ثم سأل مضطرًا:

- مشوفتش محمد يا فاروق؟

أجاب متسائلًا بلهجة جريحة وقد ظهر الغضب على عينيه:

- محمد؟ هو أنت جاي تفتكر محمد دلوقتي!

نظر له إسلام بتعجب وقد ارتفع حاجبه الأيمن قليلًا وقال:

- يعني إيه!

حضرت في ذهن فاروق لحظات من مشاهد سابقة فامتلأت عيناه بالعبرات، وأجاب بخفوت:

- دور عليه يا إسلام، بس معتقدش إنك هتلاقيه...

نظر له إسلام بعدم فهم، فألقى عليه فاروق نظرة أخيرة يملؤها القهر ثم سار أمامه لا يدري إلى أين يذهب، بل أنه لا يدري أيضًا ما الذي جاء به إلى الجامعة بعد ما حدث أمس، أحقًا لم يستطع المكوث في منزلهم في هذا التوقيت بالتحديد؟ أم لم يستطع رؤية الشارع بما فيه من وجوه حزينة فقرر الهرب إلى أي مكان وقادته قدماه إلى حيث يقف الآن؟ ظل يمشي على غير هدى حتى وجد نفسه يقف أمام أحد المقاعد، جلس عليه وظلت صور من الماضي تتحرك أمام عينيه وهو يتألم وفقط، بينما وقف إسلام للحظات وقد ملأته الدهشة قبل أن يتمتم بحنق:

- هو الواد ده غريب كده ليه! أنا أصلًا طول عمري مش مرتاحله!

زفر زفرة قوية ثم عاود السير مرة أخرى باتجاه كافيتريا الجامعة.



تحت مظلة ليل يقسو ببرده حينًا ويتعطف بنسماته أحيانًا جلست كعادتها أمام حاسوبها بعدما أحكمت غلق النافذة كي لا تتسرب منها تلك النسمات الباردة من الهواء، قامت بفتح موقع الفيس بوك لتخبر

صديقتها حفصة بما وصلت إليه من قرارات، بدأت بكتابة رسالتها بأحرف من أمل، وعلى ثغرها ابتسامة جميلة تتسع شيئًا فشيئًا.

- حفصة أنا حاسة إني مبسوطة ومرتاحة أوي من ساعة ما دخلت الجروب ده، بجد مش عارفة أشكرك ازاي، هدعيلك أكيد، متهيألي دي أفضل هدية ممكن أقدمهالك.

قامت بإرسالها، ثم استطردت:

- ودلوقتي بقى يا ستي هقولك على قراراتي الجديدة.

أولًا: مفيش كلام مع شباب في الجامعة نهائي إلا للضرورة، أنا أصلًا كنت بعمل كده تلقائي، بس دلوقتي بدأت أعدد النوايا علشان أخد ثواب أكثر، خليتها بنية إني أعف قلبي، وإني أحافظ على قلوب الشباب اللي حواليا، ولو افتكرت نية كمان هحطها عليهم.

ثانيًا: هحاول أبطل أغاني، بدأت أحمل أناشيد للناس اللي قولتيلي عليهم وبإذن الله أسمعهم بدل الأغاني.

ثالثًا وأخيرًا: خلاص بإذن الله هبطل مسلسلات خالص، هشوف بس آخر حلقتين من المسلسل اللي شغال دلوقتي وبعد ما يخلص أوعدك بإذن الله مش هعلق نفسي بواحد غيره تاني.

هاه إيه رأيك بقى؟ أنفع أبقى تلميذة شطورة ولا لأ؟ وهل المعدل اللي ماشية بيه ده حلو ولا إيه؟ ومعلش بجد إني مقدرتش أبطل كل الحاجات في نفس الوقت، بس أختك قوية بردو وبإذن الله قريب جدًا هاجي أقولك إني بطلتهم نهائي، يلا هستنى ردك، مع السلامة.

استلمت حفصة الرسالة وقرأتها وأجابت بكل حماس:

- حبيبتي يا سلمى ربنا يبارك فيكِ، أيوة كده هو ده الكلام ولا بلاش، وعلى فكرة طالما حطيتي رجلك على أول الطريق هتلاقيكِ مع مرور الوقت بتسيبي حاجات كتير تغضب ربنا علشان تَنولي رضاه، أنا واثقة فيكِ وعارفة إنك قدها بإذن اللّه.



فتح عينيه في فزع واستوى جالسًا في فراشه وهو يلهث بشدة، ظل يُحدّق أمامه بخوف وهو يضع كفه على صدره محاولًا السيطرة على انفعاله، لقد كان كابوسًا مرعبًا، رؤيته لمحمد وهو يغرق في هذا النهر العميق، نظرته اللا مبالية له وعدم اهتمامه بمساعدته على النجاة، كلمة صديقه التي قالها قبل اختفاؤه تحت الماء: شكرًا يا صاحبي، والتي كانت مُصاحبة لنظرة لم يرَ لها مثيلًا من قبل، كل هذا كان سببًا في إصابته بالهلع بهذا الشكل، استطاع السيطرة على انفعاله بصعوبة، أمسك بهاتفه ونظر في ساعته فإذا هي السابعة والنصف مساءً، أخذ يبحث عن أي اتصال قادم من محمد فلم يجد، فقد كان آخر اتصال بينهما قبل يومين اثنين، متثاقلًا قام يستند على مرفقيه، قبل أن ينتهي به الأمر واقفًا على الأرض بشيء من الإعياء، تحرك ببطء نحو الحمام، نظر في مرآته الدائرية فوجد شحوبًا يظهر جليًا على وجهه، قام بغسل وجهه وتنشيفه بخفة، ثم انتقل إلى خزانة ملابسه وقام بارتداء أول ما رآه أمامه وهبط من منزله مُقررًا الذهاب لمنزل محمد.

في الطريق وأثناء جلوسه بجوار إحدى نوافذ الأتوبيس الذي سيُقلّه إلى منزل صديقه بدأت بعض الطمأنينة تتسلل إلى قلبه، أخذ يُحدث

نفسه بأن ما رآه ليس إلا حلمًا مفزعًا فحسب، وأنه بالتأكيد ليس له أي علاقة بالواقع، ها هو قد وصل إلى مراده، ترجل من الأتوبيس واتجه سيرًا إلى الشارع الذي يقطن به صديقه، سار بضع خطوات فتبين له أن الشارع مزدحم بشدة، يبدو أن هناك مناسبة ما، فآثر الرجوع للخلف قليلًا واستدار ليتجه إلى الشارع المجاور ومنه إلى الجهة المقابلة من شارع محمد، ولكن مهلًا، فهناك يقطن فاروق ومن الممكن أن يراه مرة أخرى، يا لحظه السيئ، زفر بضيق قبل أن يُحدث نفسه قائلًا:

- وهو إيه اللي هيوقفه في الشارع دلوقتي يعني!

سار خطوة تلو الأخرى حتى اقترب من منزل محمد، شعر براحة شديدة تغمره بعدما تجاوز منزل فاروق ولم يره، ولكن هيهات، فراحته التي لم يتجاوز عمرها الثواني لم تكتمل، ها هو قد ظهر أمامه من جديد قائلًا باستنكار:

- أنت جيت أخيرًا! والله فيك الخير.

نظر إليه بإشفاق، ثم قال ساخرًا:

- فاروق يا حبيبي مالك؟ أنت مريض!

- أستغفرك ربي وأتوب إليك.

قالها متمتمًا وهو يحاول التحكم في عصبيته حتى لا ينطق لسانه بما لا يُحمَد عقباه، نظر له إسلام نظرة أخيرة ثم قال مُنهِيًا هذا الحوار الثقيل:

- أنا طالع لمحمد دلوقتي لأني مش فاضي للكلام العجيب بتاعك ده.

- ما أنا قولتلك مش هتلاقيه!

قالها بابتسامة متألمة، فأجاب إسلام بملل:

- أُمال راح فين يعني؟!

- يعني أنت مش عارف؟

- مش عارف إيه؟! ما تبطل الألغاز اللي بتتكلم بيها دي..



مساء الأربعاء الحادية عشرة قبل منتصف الليل.

كان محمد جالسًا يتناول طعام العشاء حين شعر بألم خفيف في صدره، وكعادته لم يعبأ بذلك واستأنف تناول طعامه، بدأت الآلام تشتد عليه شيئًا فشيئًا، ترك قطعة الخبز التي كان يحملها في يده وضغط على صدره بقوة، طرقت نهى -أخته التي تصغره بثلاثة أعوام- باب الغرفة وهي تحمل طبقًا في يدها، وقالت بحنان:

- وآدي الزيتون يا سيدي، هاه عاوز حاجة تاني قبل ما أنام؟

لم يستطع لسانه نطق أي شيء، غير أنه جاهده قائلًا بصعوبة:

- شكرًا يا نهى.

قامت بوضع الطبق أمامه، وقبل أن تستدير على أعقابها لتنصرف لاحظت على وجهه بعض التعبيرات الغريبة، والتي أحالت فرحتها فزعًا، فملامحه المنكمشة بما فيها عينيه المغمضتين بقوة شديدة حتى كادتا أن تعتصرا مقلتيهما، وأسنانه التي تضغط بقوة على شفتيه، ويده التي كادت أن تقتلع قلبه من مكانه، وتلك الآهة المكتومة التي شعرت أنه ينتزعها من أعماقه انتزاعًا، كل هذا كان سببًا في إصابتها بالهلع، فما كان منها غير أنها اقتربت منه بشدة، ربّتت على كتفه بخوف وهي تقول:

- محمد مالك؟

- مفيش يا نهى، مفيش.

نظرت له بحدة، وصاحت قائلة:

- مفيش ازاي؟ قولّي مالك ولا حاسس بإيه؟

شعر بضيق في تنفسه، مع ازدياد آلام صدره أكثر وأكثر لم يعد يحتمل ذلك حقًا، قال بصوت قارب على الرحيل:

- اتصليلي بإسلام بسرعة يا نهى، خليه ييجي.

وبالفعل أمسكت بهاتفه النقال وبحثت عن اسم إسلام وقامت بالاتصال على الفور، اتصلت مرة أتبعتها بالثانية، والثالثة، حتى أتمت الخمس ولم تجد أي إجابة، زفرت بعصبية ونظرت له بعينين تملأهما اللهفة، فاتسعت عيناها برعب حينما وجدت رأسه مُنكّبًا على الطاولة، هرولت باتجاهه بفزع وحاولت تحريك رأسه قليلًا فوجدته ما زال يتأوه تلك الآهة المكتومة، قررت الاتصال بوالدها ولكنها تذكرت أنه لن يستطيع الحضور قبل ساعتين على الأقل، شعرت أن عقلها شُل عن التفكير وأنها ما عادت تدري ماذا يجب أن تفعل، فأسرعت الخطى نحو غرفة والدتها وأيقظتها من نومها بفزع، هرولت الأم إلى غرفة ابنها وأمرت نهى أن تتصل بفاروق جارهم وتطلب منه التصرف في الأمر، وذلك لأنهم يعيشون في تلك البناية وحدهم ولن تستطيع الفتاة الهبوط للشارع لنداء أحد الجيران في تلك الساعة المتأخرة من الليل، تناولت نهى الهاتف من جديد وقامت بالبحث عن اسم فاروق وضغطت على زر الاتصال، فتح الأخير عينيه وأخذ يفركهما قليلًا ليطرد منهما بقايا نعاسه، ثم أمسك بهاتفه وأجاب بهدوء:

- السلام عليكم، ازيك يا محمد؟

أجابت بسرعة بالغة:

- وعليكم السلام، أنا أخت محمد، بعد إذن حضرتك تعالى حالًا.

خفق قلبه بشدة بعدما سمع صوتها، حاول السيطرة على رد فعله وأجاب باتزان:

- خير فيه حاجة حصلت؟

- محمد تعبان أوي ولازم يروح المستشفى، بعد إذنك تعالى بسرعة لأننا مش عارفين نتصرف.

- حاضر أنا جاي حالًا بإذن اللّٰه.

قالها ذلك الذي أزاح غطاءه ناهضًا في حركة فُجائية، ارتدى حذاءه وهرول باتجاه منزل محمد، حين وصل إلى المنزل طرق الباب بقوة، فقامت الأم بفتح الباب وأشارت إلى غرفة محمد قائلة بألم:

- اتفضل يا بني هو جوه.

قام بالدخول إلى غرفته بسرعة بالغة، فَزِع عندما رآه وكأنه يحارب ليلتقط أنفاسه، وقف أمامه وقال بابتسامة قلقة وهو يربت على يديه:

- خلاص يا محمد عم مجدي جاي حالًا وهنروح المستشفى.

حاول أن يساعده ليجعله يستلقي على الفراش إلى أن يأتي جارهم بسيارته، ففوجئ بسقوطه أرضًا، فزعت والدته وأخته من ذلك واقتربتا منه سريعًا، حاول فاروق أن يرفعه مرة أخرى فأشار له محمد بأن يكف عن ذلك، يبدو أنه لم يعد يحتمل أي شيء، ظل فقط ينظر لوالدته نظرات اشتياق، أراد ألا يُدير عينيه عنها وحاول الابتسام قليلًا، بادلته والدته بابتسامة متألمة وقد امتلأت عيناها بالدموع، ثم وجدته يُمسك بيد فاروق بخفة ويقول بصوت لا يكاد يُسمع:

- خد بالك منهم يا فاروق، وخد بالك من إسلام، بالله عليك ما تسيبه إلا لما يكون قريب من ربنا، أنا كان نفسي نقرب من ربنا سوا بس يمكن ملحقش، قوله إني ضيعت عمري كله وأنا عايش غلط، مش عاوزه هو كمان يعمل كده، بالله عليك يا فاروق خليه يبقى زيك ماشي؟ دي وصيتي ليك يا فاروق، اوعى تنساها.

ربت على يده برفق، وقال بنبرة يملؤها الأسى:

- حاضر حاضر والله، بإذن الله هعمل كل اللي أنت عايزه، ارتاح بس دلوقتي لحد ما العربية تيجي.

أغمض عينيه وقال هامسًا:

- أشهد... أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

مرت الدقائق وكأنها ساعات، بل ربما سنين، أخذ الجميع ينظر إلى السماء ويدعو الله أن يأتي الرجل بأقصى سرعة، سمع فاروق صوت العربة تقترب من المنزل شيئًا فشيئًا، نظر من النافذة فتأكد من وصولها فهمس بأريحية أن الحمد لله. ثم عاد لمحمد من جديد، وقال مبتسمًا:

- خلاص يا محمد العربية وصلت أهي، معلش خمس دقائق بالظبط ونكون في المستشفى بإذن الله.

اقترب منه أكثر وأمسك بيده ليجعله ينهض معه فلم يجد أي استجابة، حاول تحريكه يمينًا ويسارًا ولكن بلا جدوى، نظر في عينيه المغلقتين بفزع، وقال صارخًا وهو يحركه بعنف:

- محمد! يا محمد! محمد يلا العربية جات، محمد رد عليَّ يا محمد! محمد رد عليَّ أرجوك!

نظر بلهفة إلى والدته التي اتسعت عيناها بشدة، ثم عاود النظر إليه من جديد وظل يُحرّكه وهو ما زال يصرخ:

- محمد خلاص هنروح المستشفى أهو، أنت مش بترد ليه هاه! محمد رد عليَّ، محمد قول أي حاجة! قول أي حاااجة أرجوووووك.

ولكن لا حياة لمن تنادي، ما عاد يسمع صوتًا عدا تلك الشهقات الآتية من خلفه، حاول التحقق من وجود أي نفس يخرج من أنفه أو بعض النبضات الآتية من قلبه فلم يجد، أمسكه مرة أخرى وأخذ يحركه من جديد محاولًا تكذيب ما يراه وظل يردد:

- يـــارب، يــــــارب.

سقطت الأم على الأرض من أثر صدمتها وانهارت باكية على ولدها الوحيد، أما عن نهى فهي إلى الآن غير مستوعبة ما يحدث وتنظر للمشهد بذهول وفقط، نهض فاروق من مكانه مهرولًا باتجاه باب المنزل، وصرخ بأعلى صوته قائلًا:

- حد يلحقني بسرعة النبض وقف.

صعد السيد مجدي وابنه وقاموا بحمل محمد وذهبوا به سريعًا إلى العربة ومعهم فاروق الذي طلب من والدة محمد أن تتصل بوالده وتخبره بالأمر ليأتي إليهم على الفور، وأكد لها بأنه سيخبرها بكل جديد -إن وُجد-.



مرت الدقائق على من داخل العربة ببطء مخيف، فأحدهم قلبه يكاد يقتلع صدره من كثرة نبضاته، والآخر لا يُكاد يُسمع لنبضاته صوتًا، بينما السائق ومن بجواره في حالة من الاضطراب الشديد، توقفت السيارة وهبط الرجال على عجل حاملين ذاك المريض إلى غرفة الطبيب، دخل محمد إلى غرفة العمليات ووقف فاروق أمام الباب المغلق وظل يتمتم

بالدعاء، بضع دقائق فقط ووجده يُفتح من جديد، خرجت منه الممرضة مسرعة باتجاه غرفة ما، ناداها فاروق ليسألها عن صاحبه فأجابت بتوتر:

- ادعيله.

وما هي إلا ثوانٍ حتى عادت بسرعة أكبر من المرة السابقة، دخلت الغرفة وأغلقت البابَ خلفها، ظل فاروق يدعو الله أن يُنجي صاحبه، حتى وجد الباب يُفتح من جديد ويخرج منه الطبيب، سأله فاروق بلهفة كبيرة عن صديقه، فأجاب بأسف:

- عملنا كل اللي نقدر عليه، بس ده قضاء ربنا، البقاء لله.

اتسعت عيناه بفزع لا مثيل له، شهق متسائلًا بذهول:

- مات؟ محمد مات!

ولما لم يجد جوابًا انكمشت ملامحه، وظل يتمتم بألم:

- إنا لله وإنا إليه راجعون، إنا لله وإنا إليه راجعون.

- يمكن لو كان جه بدري شوية كنا قدرنا نلحق قلبه قبل ما يتوقف تمامًا، ولكن ده نصيبه، شد حيلك.

قالها الطبيب وهو يُربّت على كتف فاروق، ثم سار مغادرًا الممر ليترك مجالًا لذلك الشاب لتفريغ تلك الشحنة المتألمة التي يحملها بقلبه، ظل فاروق عدة لحظات يحاول استيعاب كل ما حدث، يحاول استيعاب أن صديقه الآن لم يعد موجودًا بينهم، يحاول استيعاب أنه آن الآن وقت الحساب، فهل كنت على استعداد لتلك اللحظة يا محمد، أم ماذا سيكون مصيرك؟ شعر بألم في رأسه من فرط التفكير، فارتمى على أول كرسي بجواره ودفن وجهه بين كفيه، وظل يخبر الله بما يحمله قلبه من أحزان.

دقائق مرت لا يعلم أقليلة هي أم كثيرة قبل أن ينهض من مكانه فجأة متجهًا إلى غرفة الطبيب ليسأله عن إجراءات دفن محمد، ويطلب منه أن يُلقي عليه نظرة أخيرة قبل الرحيل.



نظر إسلام لفاروق نظرة القادمين من كوكب آخر، لم يستطع أن ينطق ببنت شفة، ضاقت عيناه وتجمعت فيهما العبرات، ظل ينظر لفاروق للحظات قبل أن يُحادثه بصوت تجسد فيه الحزن بكامل سطوته:

- أنت بتقول إيه؟ محمد مات بجد؟!

سمع السؤال فضاقت عيناه ناظرًا إلى شرفة بعيدة بائسة يستعيد من ماضيه مشهد ما، ثم أجابه صارخًا:

- بقولك محمد مات قدام عيني، عارف يعني إيه مات قدام عيني؟ عارف يعني إيه آخر حاجة يقولهالي تبقى خلي بالك من إسلام وخليه يقرب من ربنا؟ عارف يعني إيه كان نفسه يكون أحسن من كده بس بسبب تريقتك عليه فضل واقف مكانه لحد ما مات؟ طب عارف يعني إيه مات؟ يعني بيتحاسب هاه! عارف يعني إيه بيتحاسب؟ بجد أنا مش متخيل إنك لسه لك عين تيجي لحد هنا بعد كل اللي حصل ده! يعني لا ساعدته وهو عايش ولا حتى اهتميت إنك تلحقه قبل ما يموت!

لعلها أولى المرات التي يُلجّم فيها لسانه بهذا الشكل، اكتفى فقط بنظرة خاوية تحت قدميه يحاول فيها أن يدرك كل ما سمعه للتو، نظر له فاروق بقهر واضح وقال:

- أنا عمري ما هسامحك ولا هعفيك من المسئولية يا إسلام، لأنه كان ممكن يبقى أفضل من كده بكتير لولا إنه عنده صاحب زيك، عمومًا خلاص، الكلام مبقاش له لازمة، المهم دلوقتي ندعيله لأنه أكيد محتاج دعاءنا.

ألقى تلك الكلمات الثقيلة على مسامعه وغادر، بينما أخذ إسلام ينظر إلى ذلك الصوان فتبين -من دون الجميع- والد محمد، والذي جلس في المقدمة، أخذ يسأل نفسه: أحقًا مات محمد؟ أحقًا لن يراه ثانية بعد الآن؟ ألن يتخرج معه؟ ألن يبقى بجانبه إلى الأبد كما وعده؟ ألن يقف إلى جواره يوم عرسه كما اتفق معه؟ أبالفعل ذهب توأمه؟ ولكن كيف ذهب بتلك السرعة؟ وكيف سيعيش من دونه بعد الآن؟ وكيف سيتحمل مرارة الذنب الذي وضعه فاروق على عاتقه؟ كيف كل هذا، كيف! أخذت تلك الخواطر وغيرها تدور برأسه وهو يسير باتجاه ذلك المكان المظلم في عينيه باهر الضوء في عيون الآخرين، شعر فجأة بيد دافئة تلمس يده، استفاق من شروده على وجه والد محمد المنكمشة ملامحه، سأله وهو العالم بالإجابة:

- هو محمد مات فعلًا؟

احتضنه ذلك العجوز قائلًا بتمام الرضى:

- ربك واسترد هديته يا بني، الحمد لله على كل شيء.

لم يتفوه بحرف، اكتفى بإلقاء جسده على الكرسي المجاور لوالد محمد وجلس لبعض الوقت، فتارة ينظر حوله بعدم تصديق وتارة أخرى يذهب إلى عالم آخر، عالم صنعه هو لنفسه كي يهرب من تلك الحقيقة المريرة، استمر على تلك الحالة لدقائق أو ربما لساعات، حتى وجد من يُربت على كتفه قائلًا بابتسامة هادئة:

- بنستأذن حضرتك تطلع ترتاح يا أستاذ علشان هنشيل الكراسي.

نظر حوله فإذا به لا يرى أحدًا سواه، لا يعلم ماذا حدث، وأين ذهب الجميع دون أن يلحظهم، قام في هدوء واستقل الأتوبيس عائدًا إلى منزله، قام بفتح الباب فوجد أخته ووالدته بانتظاره، سألت الأخيرة بقلق:

- كنت فين لحد نص الليل يا بني؟

- كنت في مشوار.

أجابها بفتور ثم سار باتجاه غرفته وأغلق الباب خلفه بقهر، تبادلت والدته مع هند النظرات التعجبية، فقررت الأخيرة الدخول إلى غرفة أخيها لتستفسر عن سبب تأخره نظرًا لأنه غير معتاد على ذلك، فتحت الباب على عجل وسألت باهتمام:

- كنت فين ده كله يا إسلام؟ احنا خوفنا يكون لا قدر الله حصلك حاجة وخصوصًا إنك قافل موبايلك.

- امشي يا هند.

قالها ووضع غطاء السرير فوق رأسه محاولًا الهرب من العالم أجمع، أزاحت الغطاء عن رأسه وقالت بضيق:

- لأ مش همشي إلا لما تقولي إيه اللي حصل وخلاك تتأخر أوي كده.

نهض من مكانه وأجاب صارخًا وكأنه أخيرًا وجد منفذًا لتلك المشاعر المكتومة بداخله:

- عاوزة تعرفي حصل إيه؟ هاه؟ أقولك حصل إيه، محمد صاحبي مات وأنا كنت السبب في موته، فاكرة لما رن عليَّ وأنا

معبرتوش؟ ساعتها كان بيموت وأنا أول واحد اتصل بيه، أصله كان فاكرني صاحب بجد وهلحقه.

اتسعت عينا هند بفزع لا مثيل له، وقبل أن تنطق بحرف واحد وجدته يستأنف صراخه قائلًا:

- طيب عارفة إن باباه أول ما شافني أخدني بالحضن جامد؟ أصله فاكرني زي ابنه وبيقولي أنت من ريحة الغالي، مسكين الراجل ميعرفش أن ابنه كان ممكن يكون أحسن من كده بكتير لولا أنه عنده صاحب ندل زيي، ميعرفش إن محمد كان دائمًا بيقولي عاوزين نلحق نقرب من ربنا قبل ما نموت وأنا كنت بضحك عليه وأقوله يا عم احنا لسه قدامنا العمر طويل، خلينا نعيش حياتنا شوية وبعدين نبقى نقرب، مكنتش أعرف أنه قدامه يوم واحد بس ومشوفهوش تاني، مكنتش أعرف أنه بسهولة كده هيبدأ يتحاسب والله أعلم هو مرتاح دلوقتي ولا لأ.

ظل يلهث بشدة وهو يعود بظهره إلى ظهر سريره، أغلق عينيه وحاول التقاط أنفاسه، ثم استأنف قائلًا:

- عارفة آخر حاجة قالها إيه قبل ما يموت؟ قال خلوا بالكم من إسلام وخلوه يقرب من ربنا علشان مش عاوزه يموت زيي، عارفة يعني إيه يوصي عليَّ أكتر ما يوصي على أهله؟ دلوقتي بس عرفت ليه هو كان دائمًا بيقولي إني أكتر من توأمه! الله يكرمك يا هند اطلعي دلوقتي ومش عاوز حد يدخل عليَّ تاني، كفاية اللي أنا فيه.

نظرت له هند نظرة متألمة ثم غادرت الغرفة.



قُبيل الفجر بقليل، وأمام تلك النافذة المُغطاة برزاز الأمطار وقف ينظر إلى اللا شيء، أخذت صور من الماضي تنساب أمام عينيه، أخذ يتذكر الكثير من المواقف التي تربطه بمحمد، لا يعلم لماذا في هذا التوقيت بالتحديد تذكر موقف محمد عندما مات والده، كان يرى المشهد أمامه وكأنه حدث بالأمس، تذكر كيف شعر بالانكسار عندما مات والده وهو في مثل هذه السن الصغيرة، تذكر اتصاله المفاجئ بمحمد وطلبه منه الحضور على الفور، تذكر سرعة تلبية صديقه للنداء بعكس ما فعل هو عندما احتاجه، تذكر وقفته بجواره ومساعدته على استذكار دروسه لكي يستطيعا الالتحاق بكلية الهندسة كما تمنيا، تذكر تشجعيه الدائم له وحثه على حمل مسئولية ذلك المنزل الصغير ومساعدته على تحمل تلك المسئولية حتى استطاع بفضل الله الاعتياد عليها، تذكر الكلمات التي قالها محمد والتي ما زالت تطرق أذنيه إلى الآن:

- أنت راجل البيت دلوقتي يا إسلام، يلا امسح دموعك وقوم حسس أمك وأختك إن ليهم ظهر وسند، وأنا جنبك أهو وعمري ما هسيبك، متخفش يا إسلام، متخفش!

أخذ يضرب النافذة مرات متتالية بغضب كبير، ومع كل صرخة من يده المسكينة كانت هناك صرخة أقوى من قلبه المكلوم، ولما شعر بالتعب أسند رأسه على النافذة وأغمض عينيه وأخذت دموعه تنساب بصمت، عدة ثواني مرت فقط قبل أن يسمع أذان الفجر، وكغير العادة قرر الذهاب لأداء الصلاة في موعدها، قام بفتح باب غرفته وذهب إلى الحمام ليتوضأ وعاد إلى الغرفة على الفور، أدى صلاته ثم استلقى على الفراش محاولًا النوم.

ساعة وربع الساعة مرت وعينه لا يغمض لها جفن، فتلك الذكريات المؤلمة تفترس رأسه المسكين طوال الليل حتى كاد أن يُجن، سمع صوتًا

بخارج الغرفة فنهض على الفور محاولًا الهرب من ذكرياته بأي طريقة، فتح باب غرفته فوجد والدته تقرأ في كتاب الله، وما أن رأته حتى هرولت باتجاهه، مسحت على شعره بحنان وقالت:

- البقاء لله يا إسلام، عامل إيه دلوقتي يا بني؟

- الحمد لله يا أمي.

بهدوء أجاب، فابتسمت قائلة بحماس شديد:

- عارف كنت بعمل إيه دلوقتي؟

نظر إلى المصحف الموضوع على الطاولة، ثم عاود النظر إليها وكأنه يستعجب من سؤالها المعلومة إجابته، ابتسمت بهدوء وأجابت:

- قراءة القرآن في وقت بعد الفجر ده بتكون حلوة أوي، بعدها بإذن الله هدعي لمحمد صاحبك كتير إن ربنا يرحمه ويجعله من أهل الجنة.

ولأول مرة منذ ليلة أمس تستطيع الابتسامة أن تشق طريقها عبر شفتيه البائستين، نظر لوالدته بامتنان شديد وقال:

- ربنا يباركلك يا أمي.

ثم قال متسائلًا:

- هو أنا ينفع أعمله حاجة تنفعه دلوقتي بعد ما مات؟

- أيوة طبعًا يا حبيبي، الرسول عليه الصلاة والسلام بيقول:

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

قالتها وهي تربت على كتفه، ثم أردفت مُفسّرة:

- يعني أنت ممكن تطلع صدقة عنه، أو لو كان بيقولك أي معلومة مفيدة نفذها وفيد بيها الناس، وكمان دائمًا خليك فاكره بدعائك.

- شكرًا يا أمي .

قالها بصدق تام، ثم دار على أعقابه لينصرف، دخل غرفته وأغلق بابها كعادته وجلس يفكر في كل كلمة قالتها أمه.



السادسة والنصف مساءً تقريبًا، أمسكت سلمى هاتفها النقال بحماس شديد، نظرت إليه بفرحة كالأطفال، ثم ذهبت وأغلقت باب غرفتها وأخذت تردد خلفه:

إحساسك لما إيديك بتمد الخير،

أول ما تشوف الفرحة في عين الغير

وكأنك في السما طاير فوق أعلى من الطير

وكفاية يكون ربنا عنك راضٍ وفرحان.

وحلمنا في قلبنا، جوانا الخير يزيد

حتى النجوم لو في السما عمرها ما تكون بعيد

خليك زي ما ربنا رايدك يلاقيك

لو تسعد غيرك، يكبر فيه الحب وفيك

وتكون فوق زي نجوم السما، آه ويعليك

خلينا نكبر أجمل شيء جوا الإنسان

وعلى غير دراية منها ارتفع صوتها، مما جعل أختها الصغرى تأتي إليها مهرولة وتصيح بها قائلة:

- إيه يا بنتي ده! صوتك واصل لآخر الشارع!

عادت سلمى أخيرًا إلى أرض الواقع وانتبهت لما فعلته للتو، فأخفضت صوت الهاتف وصمتت مستشعرة الحرج، نظرت لها ولاء متسائلة عن سبب تلك الضوضاء، فأجابت أختها باهتمام:

- أنشودة جديدة نزلتها لمنشد اسمه محمد عباس كانت حفصة قالتلي عليه، حبيتها جدًا وخصوصًا لأنها بدون موسيقى فمأخدتش بالي إن صوتي عِلِي.

وكأنها بكلمتها تلك ساعدت على ثوران البركان الخامد داخل ولاء، ازداد صياح الأخيرة وهي تقول:

- تاني هتقوليلي موسيقى! ليه يعني هي حرام؟ مش كفاية قعدتي تقولي الأغاني حرام وبقيتي بتسمعي أناشيد، دلوقتي كمان بقت الأناشيد اللي بموسيقى حرام وهتدخلنا النار! أنا بجد مش عارفة مين اللي لعب في عقلك بالشكل ده!

وبمحاولة منها للمحافظة على هدوئها قالت:

- يا بنتي أنا مقولتش هتدخلوا النار ولا الكلام ده، وكمان مش أنا اللي أقول حرام ولا حلال لأني معنديش العلم الكافي لده، كل الحكاية إني سمعت حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بيقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِر والحرير والخمر والمعازف» فبصراحة خفت أكون من الناس دول فقولت أبطل أسمع موسيقى أحسن، والحمد لله أنا مرتاحة دلوقتي جدًا ودي أهم حاجة.

تنهدت ولاء وقد بدا عليها عدم الاقتناع، وقالت:

- براحتك يا سلمى، ربنا يهديكِ ويهدينا جميعًا.

قالتها وتركت الغرفة وغادرت، فألقت سلمى هاتفها على الفراش وقامت بفتح الحاسوب الخاص بها لتقم بتنزيل مجموعة أخرى من الأناشيد، وما أن انتهت حتى قامت بفتح حسابها على موقع الفيس بوك، فوجدت رسالة آتية من حفصة وكان محتواها:

- سلمتي! بقالك ثلاث أيام مش بتقوليلي آخر أخبارك، لعله خير يا حبيبتي.

ابتسمت لرسالتها تلك وأجابت:

- خير جدًا الحمد لله، كنت بس مستنية لما أعمل شوية حاجات حلوين كده علشان أقولهوملك مرة واحدة، بصي يا ستي، مبدئيًا كده المسلسل خلص الحمد لله وبإذن الله مش هشوف غيره تاني، وكمان حملت شوية أناشيد للمنشدين اللي قولتيلي عليهم وأهي ماشية بفضل الله.

ولحسن الحظ كانت حفصة أيضًا متصلة بالإنترنت في ذلك الوقت، كتبت على الفور بسعادة بالغة:

- يااه بقى أيوة كده، هو ده الكلام ولا بلاش، أنا حاسة إني ممكن أدخل الجنة بسببك يا سلمى.

وببالغ التعجب كتبت:

- بسببي أنا؟ ازاي!

- أصل أنا دائمًا ببعت جروبات دينية للبنات اللي عندي وبنصحهم وبكتب لهم بوستات وكده، لكن مكونتش بلاقي

أي تفاعل معايا، ساعات كان بيجيلي إحباط وبقول لنفسي خلاص أبطل اللي بعمله ده طالما مفيش حد بيهتم، لكن بعدها كنت برجع أفتكر الحديثين اللي قالهم الرسول صلى اللّه عليه وسلم دول:

«لأن يهدي اللّه بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم» و «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»، وكمان كنت دائمًا بفتكر الآية دي ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾، وأقعد أقول لنفسي اوعي تيأسي، مش يمكن بنت تكون محتاجة نصيحتك وبسبب كلمة واحدة منك حياتها تتغير، مش يمكن بسبب الكلمة دي تدخلي الجنة، والحمد للّه أخيرًا لقيتك يا سلمى وحسيت إن بجد اللي بعمله له قيمة، وكل ما بشوفك قدامي بتتغيري ده بيخليني طايرة من الفرحة، يارب يا سلمى زي ما اتجمعنا في الدنيا نتجمع سوا في الفردوس الأعلى.

دمعت عيناها وهي تقرأ تلك الحروف، لا تعلم لماذا، ولكن ربما شعرت بتلك الطاقة الإيجابية التي تبثها تلك الرسالة، الطاقة الإيجابية التي تخبرها بألا تستلم مهما حدث، الطاقة الإيجابية التي تخبرها بأن تفعل الصواب وفقط دون الحاجة إلى انتظار النتيجة، فالنتيجة النهائية ستراها حتمًا عند رب العالمين، الطاقة الإيجابية التي تخبرها بأنها على الطريق الحق، الطريق الذي لا يجب أن تحيد عنه أبدًا، فبرغم ابتعاد ما تتحدث عنه حفصة تمامًا عن حياة سلمى، إلا أن هناك خيطًا رفيعًا يربط كل منهما بالآخر، خيطًا يصرخ بكلتيهما: لا تستسلمي، فحتماً أنتِ الفائزة في النهاية.

استفاقت سلمى من شرودها أخيرًا وتذكرت أنها لم تُجِب حفصة، فكتبت ببالغ الحب:

- يااااه يا حفصة أنتِ جميلة أوي، وكلامك جه في وقته المناسب، حقيقي ربنا يجازيكِ خير على كل حاجة حلوة بتعمليها.
- أنا مش بعمل حاجة، جزانا وإياكم يا غالية.

فكرت عدة لحظات ثم كتبت:

- طيب بما إنك شجعتيني، كنت عاوزة أسأل على حاجة كده، بصي هو عادة أنا مش بصلي الظهر في الكلية، بس لما بروح بصليه، هو كده عادي؟
- ومش بتصليه ليه؟

بتعجب سألت. فأجابت سلمى وقد استشعرت الحرج:

- علشان مش هينفع أصلي بالبنطلونات الضيقة دي.
- طيب أنتِ شايفة إيه؟
- يا حفصة أنا اللي بسألك!
- بس أنا مستنياكِ أنتِ اللي تجاوبي.
- يعني إيه؟
- يعني هتبصي على كلامك اللي فوق ده، وتقوليلي يا ترى لما تروحي عند ربنا هتقدري تقوليله يا رب أنا كنت بضيع الظهر علطول علشان لابسة بنطلون؟ تفتكري دي هتبقى إجابة مقنعة؟

ابتلعت ريقها بصعوبة، شعرت بالندم لكونها وضعت نفسها في هذا المأزق، أجابت بحيرة:

- مش عارفة.
- لأ عارفة!

كتبتها بعناد، فازداد حرج سلمى وسألت:

- طيب أعمل إيه؟
- عندك جيبة؟
- آه عندي اتنين مش بلبسهم، بس إيه علاقة ده بالموضوع؟
- طيب ممكن علشان نرضي ربنا تسمعي الحل اللي هقولك عليه ده؟ واعتبريه يا ستي تجربة لمدة أسبوع وبعدين قوليلي رأيك.

جميلة تلك الحفصة، وجميلة كلماتها، فمن غير عادتها أن تُعاتب صديقتها أو توبخها بسبب ذنب ما تفعله، بل على العكس تحاول دائمًا انتقاء كلماتها قبل أن تكتبها، تحاول أيضًا أن تجعل قرار التغيير ينبت من داخل سلمى، وألا تسمح لنفسها أن تفرضه عليها، فهي تعلم يقينًا أن القرار النابع من داخل الإنسان يكن له التأثير الأقوى، لذلك فهذا هو الأسلوب المُتبع لديها في نصح أي شخص، وخصوصًا سلمى، التي وقفت أمام جملة حفصة الأخيرة وقد بدأت تهدأ قليلًا، وسألت بفضول:

- حل إيه؟
- عاوزاكِ الأسبوع الجاي كله تنزلي من بيتك متوضية، وتلبسي طقم واسع وعليه جيبة من الاتنين اللي عندك، هتنزلي وأنتِ في نيتك إنك ترضي ربنا، وإنك مش عاوزة حاجة من الدنيا غير رضاه عنك، وادعي وأنتِ نازلة إنه يثبتك ويحببك في اللبس ده ومترجعيش للبنطلونات تاني، ووقت ما تسمعي الأذان روحي صلي علطول وبعدين كملي يومك براحتك.

- إيه ده يا بنتي! يعني عاوزاني أرمي كل اللبس اللي عندي وأروح الجامعة يوميًا بالجيبتين دول بس؟

كتبتها بتعجب شديد، فأجابت حفصة بهدوء كعادتها:

- لأ طبعًا مش هنرميهم، ممكن بس ننفذ الفكرة دي الأسبوع الجاي وبعدين نبقى نفكر فيما بعد ذلك؟
- ماشي يا ستي من عينيا، نجرب مش هنخسر حاجة.
- تسلم عينيكِ يا سلمتي، بارك اللّه فيكِ ووفقك لما يحبه ويرضاه.



وبالفعل، مع بداية الأسبوع الجديد بدأت سلمى في تنفيذ ما اتفقت عليه مع صديقتها، حيث قامت بارتداء إحدى التنورتين التي تمتلكهما، وأيضًا توضأت قبل أن تهبط من منزلها، وصلت إلى الجامعة وذهبت مسرعة إلى حيث تجلس كل من هند وفاطمة وسألتهما عن رأيهما فيما ترتدي، فأجابت هند بإعجاب:

- حلو الطقم ده يا سلمى ما شاء اللّه، مبروك عليكِ
- حلو يا سلمى، بس الجيبة دي مش بتشنكلك؟

قالتها فاطمة ضاحكة، فأجابت سلمى وقد بادلتها الضحك:

- لأ مش بتشنكلني الحمد للّه، وعلى فكرة ده مش طقم جديد، هو كان عندي من فترة بس مكنتش بلبسه.

جلست بجوارهما وأخذت تتبادل معهما أطراف الحديث حتى سمعت أذان الظهر، نهضت من مكانها وقالت بحماس:

- يا بنات أنا رايحة أصلي الظهر قبل ما المحاضرة تبدأ، بدل ما أضطر أأجله زي كل يوم.

وبالتأكيد لم تنتظر أن تقترح إحداهما أن تأتي معها لأنها تعرف رأيهما مسبقًا، فقد كانت منذ يوم واحد فقط تفعل مثلهما، سارت باتجاه مسجد الكلية، وما إن اختفت عن ناظريهما حتى اقتربت فاطمة من هند وسألت بقلق:

- أنتِ مش حاسة إن سلمى متغيرة شوية اليومين دول؟
- لأ عادي.

شعرت فاطمة بالانزعاج من ذلك الرد البارد، فأعادت سؤالها بطريقة أخرى ولكن أكثر حدة:

- عادي ازاي؟ يعني أنتِ مش حاسة إنها بقت غريبة جدًا اليومين دول ومش قريبة مننا زي الأول؟

التفتت هند لصديقتها وأجابت بنفاد صبر:

- لأ مش غريبة ولا حاجة، كل الحكاية إن البنت حبت تغير من نفسها شوية، وكل ما تيجي تكلمنا في اللي بتفكر فيه بناخد الموضوع بهزار وتريقة، لحد ما بقت تعمل اللي هي عاوزاه من غير ما تاخد رأينا.

صمتت قليلًا، ثم استأنفت حديثها بلهجة حازمة:

- وسواء كنا موافقين على التغيير ده أو لأ يا فاطمة، مش من حقنا أبدًا إننا نتدخل في حياتها الشخصية، هي حرة تعمل اللي هي عاوزاه طالما ده هيريحها، ومتقلقيش يا ستي سلمى عمرها ما هتتغير علينا.

- مممم جايز!

بعد عدة دقائق عادت سلمى من جديد وعلى وجهها ابتسامة بشوشة، سألتها فاطمة عن سر كل تلك السعادة، فأجابت بنبرة جميلة:

- حاسة إني مرتاحة أوي وأنا مصلية الفرض اللي عليَّ في وقته كده، دلوقتي بس هقدر أكمل يومي في الجامعة من غير تأنيب ضمير.



- ٣ -

مر أسبوع كامل وإسلام على نفس الحالة، يجلس في تلك البقعة المظلمة في زاوية غرفته مُمسكًا بهاتفه، لا يخرج من تلك الوضعية الكئيبة إلا لشراء مستلزمات المنزل ويعود لها من جديد، كان منظره متغيرًا بشكل كبير، لحيته نابتة بشكل غير مهذب، شاربه على نفس المنوال، هندامه لم يعد يُشكّل له أي أهمية مثل ذي قبل، فضّل الانعزال عن الجميع بهاتفه العامر بصور المُتوفَّى.

كانت والدته تشعر بانفطار قلبها على ولدها الوحيد، وعلى تلك الحالة التي تراه عليها، فمنذ موت محمد وهو يجلس وحده هكذا طوال اليوم ولا يتحدث مع أحد إلا للضرورة القصوى، غير أنه لم يذهب إلى الجامعة كل هذه المدة، الأمر الذي جعل قلق والدته يزداد وخصوصًا لأن الامتحانات النهائية للفصل الدراسي الأول على وشك البدء، ورغم صعوبة الموقف لعلمها بمكانة محمد في قلب ابنها إلا أنها قررت استجماع شجاعتها والدخول إليه للتحدث في الأمر .

وفي نفس تلك اللحظة بينما هي غارقة في لُجة أفكارها بالخارج كان إسلام يصارع تلك الأفكار السوداء التي تحاول أن تهاجمه لتفترسه في الداخل، فتُذكره بما حدث قبل يومين وكان له بالغ الأثر في استمرار حزنه ويأسه، فعندها كان قد قرر الذهاب إلى منزل والد محمد ليطمئن على أسرته ويسأله ما إذا كانوا يحتاجون إلى أي شيء، فهو الآن يعتبر في

مكانة ابنه المتوفي، ولكنه عندما وصل حدث ما لم يكن يتوقعه، حيث شكره والد محمد وأخبره بأن فاروق يأتي إليهم من حين لآخر ويُحضر لهم كل ما يحتاجونه، الأمر الذي جعل إسلام يشعر بالإحباط الشديد والندم على ذلك التقصير في حق رفيقه وعائلته، لم ينتهِ الأمر على ذلك فحسب، بل أنه عندما هبط درجات السلم وكاد أن يَخرج من البوابة لمح فاروق على بُعد بِضعة أمتار، وبحركة تلقائية منه أخفى جسده خلف الباب حتى لا يراه ثانية، وأخذ يسأل نفسه: هل يذهب ويحدثه أم يرحل بهدوء، وبسرعة هائلة قفزت تلك الجملة الثقيلة التي قالها فاروق إلى رأسه:

- أنا عمري ما هسامحك ولا هعفيك من المسئولية يا إسلام.

فقرر أن يُلقي عليه نظرة أخيرة ويغادر على الفور، ولكن من سوء حظه أن فاروق كان قد رآه بالفعل ولم يُعِره أي اهتمام، الأمر الذي جعل إسلام يتصبب عرقًا، وأخذ يُسرع الخطى نحو نهاية الشارع حتى يختفي تمامًا من أمامه.

- افتح يا إسلام يا بني.

انتشله النداء المسبوق بطرق خفيف على باب حجرته من براثن ذكرياته، قام في هدوء وفتح باب غرفته، فوجد والدته تبتسم له، قامت باحتضانه فتسللت بعض الطمأنينة إلى قلبه، أحاطته بذراعها وسارت به باتجاه الفراش وجلست معه، قالت متسائلة على الفور:

- هتفضل على الحال ده كتير يا إسلام؟

أجابها وفي حروفه يُومض بريق الانكسار:

- مكنتش أعرف إني بحبه أوي كده يا أمي، عمري ما تخيلت إنه ممكن يختفي من حياتي فجأة كده، محمد كان بالنسبالي كل

حاجة، كان الأب والأخ والصديق، حاسس إن حياتي فاضية أوي من غيره، مش عارف ازاي ممكن أكملها لوحدي!

وفور سماعها لتلك الكلمات المغزولة حروفها بنسيج الآلام تحركت دمعة حائرة في عينيها، وكأنها قد تذكرت مشهدًا قديمًا لمعت آثاره على عينيها الحزينتين، حاولت التماسك قليلًا وأجابت بشيء من الصمود:

- لو الحزن يا بني هيرجع اللي راح كنت هقولك احزن وعيط وكسر الدنيا كلها، بس خلاص ده قدر ربنا ولازم نرضى بيه.

تنهدت قليلًا ثم أردفت:

- فاكر يا إسلام لما أبوك مات؟ كنت أنت وقتها في تانية ثانوي وهند في تالتة إعدادي، ساعتها أنا حسيت إني اتكسرت بمعنى الكلمة، حسيت إني مستحيل أقدر أشيل مسئوليتكم لوحدي، بس لما هديت وقعدت أفكر مع نفسي لقيت إن ربنا رحيم، ومفيش حاجة هتحصلنا غير لما يكون فيها الخير لينا، مهما كنا شايفينها صعبة دلوقتي، الجنة مش أي حد يدخلها يا إسلام، لازم نصبر ونحتسب ونرضى يا بني.

مسحت على شعره وهي تبتسم بفخر وقالت:

- وأديك أهو كبرت وبقيت مهندس قد الدنيا وعرفت أربيك أنت وأختك، الحياة مبتقفش على حد يا بني، ولو الميت ده غالي عندنا فعلًا يبقى نعمل اللي يفيده في قبره، مش نزعل ونعيط وخلاص.

ألقت ذلك الحمل الثقيل الذي كانت تحمله بقلبها طوال الأيام الماضية ونهضت من مكانها في هدوء، أغلقت الباب خلفها بينما ظلت جملتها الأخيرة تتردد على عقل صغيرها

«لو الميت ده غالي عندنا فعلًا يبقى نعمل اللي يفيده في قبره، مش نزعل ونعيط وخلاص»



مر الأسبوع على سلمى أيضًا وقد قامت بتنفيذ كل ما اتفقت عليه مع حفصة، والآن حان موعد تقرير نهاية الأسبوع كما أسمته هي مسبقًا، قامت بفتح حسابها على موقع الفيس بوك وأرسلت رسالة لحفصة، كان محتواها:

- حابة أقولك بس إني نفذت كل اللي اتفقنا عليه الأسبوع اللي فات الحمد للّه، كنت بروح بالجيبة كل يوم وما فاتتنيش أي صلاة ظهر بفضل اللّه.

وبكل حفاوة وفرحة كتبت صديقتها:

- أنا حقيقي فخورة بكِ أوي يا سلمى، ربنا يثبتك ويقربك منه كمان وكمان.
- عارفة؟ من شوية جربت ألبس الطقم اللي المفروض هروح بيه الكلية يوم الأحد إن شاء اللّه، حسيت إن الموضوع صعب أوي يا حفصة، حسيت إني مش قادرة أرجع ألبس ضيق تاني، بقيت ببص على البنطلون اللي مبين كل تفاصيل رجلي ومش متخيلة إن دي أنا، يعني بعد ما كانت كل حاجة مختفية دلوقتي خلاص هخلي كل الناس تتفرج عليَّ كده!
- شعور طبيعي جدًا يا سلمى، علشان طول الفترة اللي فاتت اتعودتي على الستر، دلوقتي بقى بإيدك تستفيدي من الشعور ده... أو تقتليه!

أخذت تقرأ كلماتها الأخيرة عدة مرات، شعرت أن كل كلمة تخترق قلبها وتزلزل كيانها، أحقًا ذلك الشعور يعتبر بمثابة فرصة ذهبية يجب أن تغتنمها قبل أن ينسيها الشيطان ذلك الأمر؟ أم أن حفصة تبالغ في التعبير فحسب! شعرت بأنها بحاجة ماسة إلى الاختلاء بنفسها والتفكير بعمق، فكتبت منسحبة:

- بعد إذنك يا حفصة، هكلمك تاني بليل بإذن الله.
- رايحة فين يا بنتي؟
- معلش سيبيني دلوقتي، راجعالك تاني إن شاء الله في أقرب وقت.

أرسلتها ثم أغلقت الموقع على الفور، نهضت من مكانها وذهبت باتجاه خزانة ملابسها وقامت بفتحها، أخذت تنظر إليها مليًا ثم قامت بإخراج أحد بناطيلها وأمسكت به أمام المرآة، عدة ثواني مرت دون أن تدري قبل أن تستفيق من شرودها وتقرر أن تُغلق باب غرفتها وتعيد ارتداء ذلك البنطال من جديد، وبالفعل ارتدته فلم تتحمل تلك الحالة التي رأت نفسها عليها وسارعت بنزعه واستبداله بآخر أوسع قليلًا، وحدث معها ما حدث سابقًا فاستبدلته بثالث، وظلت هكذا حتى وصلت إلى الخامس، لم تعد تشعر بالراحة قط في تلك البناطيل الضيقة، سارعت بنزعه هو الآخر وألقت بهم جميعًا داخل الخزانة وارتمت على الفراش وقد ظهر عليها التعب.

ساعة كاملة مرت، اختتمتها سلمى بإمساكها برأسها التي ألم به الألم من فرط التفكير، ظلت كلمات حفصة تتردد على عقلها وتقرع رأسها كقرع الطبول، حاولت أن تكف عقلها عن التفكير، حاولت أن تشعر باللا مبالاة التي كانت تشعر بها قبل ذلك الأسبوع، ولكنها لم تستطع، زفرت زفرة قوية انتزعتها من أعماقها وقالت وهي تستغيث:

- يااارب ساعدني، مبقيتش فاهمة حاجة ولا عارفة أعمل حاجة، مش متخيلة إني ممكن أبطل بنطلونات ومش قادرة بردو أنزل بيهم تاني، تعبت بجد، تعبت!

بعد لحظات سمعت أذان المغرب يُرفع من أحد المساجد القريبة، فهبت واقفة وكأنها أخيرًا قد وجدت حلًا لتوقف تلك المعركة العنيفة الدائرة داخل رأسها. توضأت، أدت صلاتها وظلت تدعو الله كثيرًا أن يعينها على ما هي مقدمة عليه، ثم وقفت أمام النافذة وظلت عيناها تتابع الحركة البطيئة لتلك السُحُب الرابضة هناك في ذلك الفضاء الفسيح، استنشقت بعض النسمات الليلية الهادئة، ثم همست لنفسها متسائلة:

- بتعملي في نفسك كده ليه يا سلمى؟ فين قوتك؟ فين الشيطان اللي قررتي إنك تهزميه؟ ليه متوقعة إن القرار صعب أوي كده؟ طيب ما أنتِ جربتي تتنازلي عنهم أسبوع كامل، إيه المشكلة بقى لما تتنازلي عنهم علطول!

استدارت ونظرت إلى خزانتها وقالت بحسم:

- خلاص أنا هطلع كل اللبس الضيق دلوقتي وأخليه على جنب وأشوف إيه اللي باقي، جايز ألاقي حاجات حلوة وواسعة كنت ناسياها.

وبالفعل قامت بإخراج تلك البناطيل الضيقة ومعها بضعة قمصان وفساتين قصيرة، وأخيرًا القليل من التنانير التي لا تتعدى الركبتين فضلاً عن كونها تصف جسدها أكثر من اللازم، ثم نظرت إلى الخزانة وانتابتها حالة هستيرية من الضحك وقالت ذاهلة:

- معقولة! ده الدولاب بقى أبيض! هلبس إيه أنا بقى دلوقتي؟

أغمضت عينيها ثم زفرت وهي تقول بإصرار:

- بردو مش هلبسكم تاني، مستحيل أفرط في نعمة الستر اللي حسيت بيها اليومين اللي فاتوا، مش مهم بقى، هحاول أقضيها بأي حاجة لحد ما أجيب جديد، وبإذن الله أنا قدها، بإذن الله.

ثم قررت أن تذهب لتقص على حفصة ما حدث لتستمع إلى كلماتها التي تريح قلبها دائمًا وتعطيها الحماس لتستمر على ما هي مُقدِمة عليه، بعدما قامت بترتيب تلك الثياب الضيقة من جديد ووضعتهم في مكان خاص بهم، وذلك لأنها قررت الاحتفاظ بهم لترتديهم لزوجها... زوجها وفقط.



أسيظل جالسًا هكذا في تلك البقعة الظلماء بلا حراك حتى بعد ما قالته والدته قبل ساعات! أستظل أيامه تمر على هذا النحو من البؤس؟ أهذا الذي أوصى به محمد قبل موته؟ أهذا ما تمناه له طيلة حياته؟ بالطبع لا، ولكن ما عساه أن يفعل ذلك المسكين بعدما قارب على الجنون من فرط حبه وافتقاده لصديقه! ذلك الحب الذي لم يدرك قيمته إلا بعدما فقده.

ظل لساعات يفكر في كلمات والدته الأخيرة، ومن ثم قرر الذهاب لفاروق لعله يستطيع أن يُزيل عنه بعضًا من آلامه، ورغمٍ علمه بضيقه الشديد منه في تلك الأيام بالتحديد، إلا أنه لم يجد له بديلًا فقرر خوض التجربة وتحمل نتائجها، وبالفعل نهض من فراشه البائس، بدّل ملابسه وغادر على الفور متجهًا إلى منزل فاروق، فور وصوله وقف أمام الباب وقد بدا عليه التوتر، شيء ما بداخله أخبره أن يُغادر بلا رجعة، شيء ما

أخبره أنه في الطريق الخاطئ، ولكنه حاول أن يَنفِض غبار تلك الأفكار السوداء عن رأسه وقرر إتمام ما أتى لأجله إلى النهاية، طرق الباب عدة طرقات مرتعشة، وما إن سمع صوت تلك الأقدام المقتربة حتى زاد شعوره بالتوتر، خطوات ما بين الثلاث والخمس خطاها للخلف قبل أن يُفتح الباب بواسطة فاروق، ظل كل منهما ينظر للآخر بصمت، حتى قطعه إسلام بإلقاء التحية على فاروق، أومأ الأخير برأسه مُجيبًا بوجه خال من أي تعبير، مما جعل هالة من الندم تحيط بإسلام وتخبره بأنه أخطأ من البداية في قراره ذاك، ابتلع ريقه وقال بحرج:

- كنت عاوز منك خدمة يا فاروق.

لم يرد، بل أنه لم يبتسم حتى، كانت قسماته يظهر عليها القليل من العطف، ولكن يبدو أن ذلك المشهد الذي رآه قبل أيام ما زال محفورًا في ذاكرته مانعًا إياه من تقبل إسلام بأي شكل من الأشكال، عندما لم يجد الأخير ردًا قال مستطردًا:

- ممكن تساعدني أكون زي ما محمد كان عاوز؟ عاوز أقرب من ربنا وأعيش صح زي ما كان دائمًا بيقولي، بس مش عارف أعمل إيه وأبدأ منين!
- يا ريت تسيبني في حالي يا إسلام، أنا تعبان ومش قادر أنسى شكل محمد وهو بيموت قدام عيني، ومش قادر أنسى إنك كنت السبب الأساسي في إنه يموت وهو بالشكل ده بسبب إحباطك الدائم له ولتصرفاته.

ورغم شعوره بقسوة كلماته إلا أنه وجدها مناسبة تمامًا ليبعد عنه كل ما يُذكّره بذلك المشهد الذي لطالما حاول نسيانه ولم يُفلح. شعر إسلام أن لسانه قد أُلجم بعدما سمع تلك الكلمات الثقيلة، فقرر إلقاء جملته الأخيرة لاستعادة ما تبقى من كرامته المهانة والمغادرة على الفور:

- ماشي يا فاروق أنا همشي، بس متنساش إني جيت في يوم وطلبت منك تاخد بإيدي للجنة وأنت رفضت تساعدني، يعني أنت عملت معايا زي ما أنا عملت مع محمد بالظبط! مع السلامة يا صاحب صاحبي.

ظهر على فاروق بعض التأثر، فليس من عادته أن يرد من يحتاجه خائبًا، ولكنه حاول ألا يستسلم لإحساسه هذه المرة ولم يتفوّه بأي حرف، مما جعل إسلام يهبط درجات السلم وقد أحاطه الندم من كل اتجاه.

فور عودته لمنزله دخل غرفته وأغلق الباب خلفه في شيء من العنف المُثقل بالتأفف، ألقى بجسده المتعب على فراشه وظل يتقلب ولم تغمض له عين، وكعادة قلوب الأمهات شعرت والدته بمعاناته رغم تلك الحائط السميكة التي تفصله عنها فهرعت إليه، جلست على حافة الفراش وقالت بعتاب:

- مرضيتش أدخل من بدري قولت يمكن تنام، وبعدها نزلت من غير ما تقولي وقلقتني عليك، دلوقتي بقى ممكن تقولي كنت فين وإيه اللي مطير النوم من عينك كده؟

- كنت...

فجأة، توقفت الكلمات في فيه الشاكي، لم يعرف بما يُخبرها، أيُخبرها بالحقيقة كاملة وتهان كرامته أمامها هي الأخرى! أم يحفظ ماء وجهه ويحاول الهرب من الإجابة! قرر اختيار الخيار الثاني وأخبرها بأنه قام بزيارة أحد أصدقاء محمد. لم تقتنع، فلمعة الحزن تلك التي تراها في عينيه لا بد أن وراءها شيئًا ما، شيئًا أرادت بقوة أن تعرفه ولكنها لن تضغط عليه أكثر من ذلك، حاولت تغيير الموضوع وقالت مازحة:

- ماشي ما علينا، قولّي بقى صحيح هو أنت مش ناوي تروح الجامعة؟ ولا عجبتك قعدتك معايا كده؟

- مش عاوز أروح في حتة يا أمي، عاوزكم بس تسيبوني في حالي وأنا هبقى كويس.

نظرت في عينيه وقالت بحزم:

- إسلام، فوق لنفسك! الامتحانات خلاص كلها ثلاثة أسابيع وتبدأ، واخد بالك يعني إيه ثلاثة أسابيع، مستقبلك يا بني بعد ما تعبت فيه السنين دي كلها هيضيع من إيدك.

ابتسم ساخرًا وقال:

- مش مشكلة، ما هو محمد كمان مستقبله ضاع.

- محمد مستقبله مضاعش ولا حاجة، ده نصيبه اللي مكتوب عند ربنا، المهم أنت تاخد بالك من مستقبلك دلوقتي وتكمل الحلم اللي حلمتوه سوا، لازم تكون المهندس اللي عنده ضمير وبيراعي ربنا في شغله وبيخدم بلده زي ما كنتوا دائمًا بتتمنوا.

- ومحمد بردو كان بيتمنى إننا نكون أحسن من كده، كان بيتمنى إننا نقرب من ربنا ونعيش صح بدل الاستهتار اللي كنا فيه ده، ومات قبل ما يلحق يعمل حاجة، أحققله حلمه ده كمان ازاي بقى!

قالها وقد انهار تمامًا بشكل أفزع والدته، ولكنها أجابت بشيء من الثبات المُصطنع:

- تحققله حلمه بإنك تكون إنسان بيتقي ربنا، تعمل بنصايحه اللي كان دائمًا بيقولهالك لعل الثواب يوصله، تدعيله، تطلع

صدقة عنه، دي أكثر حاجة ممكن تفيده دلوقتي، إنما حزنك وتفريطك في مستقبلك ده مش هيفيده بأي حاجة.

صَمَت، لم يجد ما يقوله، فاقتربت منه والدته أكثر وقالت وفي صوتها شيء من الترجي:

- إسلام يا بني، اسمع كلامي، روح كليتك بكره وتابع دراستك وامتحاناتك ومتضيعش السنة ونص اللي فاضلينلك خلينا نرتاح بقى.

نظر إليها وقد أشفق عليها ثم قال مستسلمًا:

- حاضر يا أمي، هعمل اللي أنتِ عايزاه كله، حاضر.

وبالفعل قرر مواصلة دراسته ليرضي والدته ليس إلا، فهي في رأيه ليس لها أي ذنب في كل ما حدث، أخذ يتحرك كالآلة، يذهب ويعود، يحضر هذه المحاضرة وتلك، ولكن بلا روح، فروحه - في رأيه- قد غادرت مع ذلك الراحل، ظل هكذا حتى بدأت فترة الامتحانات، والتي فيها كان يحاول التركيز قدر المستطاع ليحقق فقط ما تمناه أحباؤه، وعندما انتهى بدأ يعود من جديد لحالته السابقة، تجدد الجرح بقلبه، ليس بقوة حدوثه حينها بالتأكيد ولكن ندبته الباقية آلمته، وشعورًا قويًا بالمرارة ظل يلاحقه ولم يستطع التغلب عليه حتى بعد مرور أكثر من شهر ونصف الشهر على وفاة صديقه، ولكن ما عساه أن يفعل؟ سيظل يحاول، فقط يحاول لعله ينجح في النهاية.



وها هي الآن تقف أمام حاسوبها ولأول مرة بعد انتهاء الامتحانات، تقف وقد ملأها الحماس لمواصلة طريقها نحو الجنة، أرسلت رسالة لحفصة تخبرها فيها بأنها على أتم استعداد لأخذ الخطوة القادمة في

التغيير، وأنها ستحاول بكل طاقتها أن تستغل تلك الإجازة في كل ما يفيد، مرت ساعة تتبعها الأخرى ولكن لا مجيب، تعجبت فقامت بإرسال رسالة ثانية وثالثة ولكنها أيضًا لم تر أي رد، مر يومان كاملان وهي تنتظر، حتى أنها أصبحت لا تُغلق حاسوبها على أمل منها في استلام أي شيء يطمئنها على صديقتها، وبالفعل، في ساعة ما استلمت رسالة من حفصة تخبرها فيها بأنها موجودة الآن، جلست أمام حاسوبها وقلبها ينبض بشدة، وكتبت بتوتر ظهر جليًا في حروفها المبعثرة:

- كنتِ فين يا بنتي؟ قلقتيني عليكِ أوي!
- معلش يا سلمتي، أصل كتب كتابي كان امبارح، مش هتباركيلي ولا إيه؟

وفي لحظة واحدة تبدل حالها من حالٍ إلى حال، ما بين الفرح والتعجب والدهشة والبهجة، كتبت:

- كتب كتاب مين؟ أنتِ بتتكلمي بجد يا حفصة؟
- كتب كتابي كان امبارح، وفرحي بعد أربعة أيام، ومتسألينيش ازاي لأني أنا نفسي معرفش!
- طيب لحظة بس كده أستوعب الكلام وبعدين أباركلك حاضر.

كتبتها وقد اقترب حاجبها الأيمن بالأيسر يعكسان دهشتها، ضحكت حفصة من رد فعل صديقتها وكتبت مُفسّرة:

- مش عارفة أنا قولتلك المعلومات دي قبل كده ولا مجاتش فرصة، بس عمومًا يعني، إيهاب خطيبي مسافر والمفروض كان هينزل إجازة على آخر السنة علشان نعمل الفرح، دلوقتي حصلتله ظروف مفاجئة وقررنا نقدم الفرح وبإذن الله هسافر

معاه علطول، عاوزاكِ تدعيلي جامد لأني خايفة شوية ومش مستوعبة إني خلاص هتجوز بعد كام يوم.

بدأت سلمى تستوعب الموقف، بدأت تتسللها بعض من المشاعر الدافئة الراقية والمبهجة، شعرت للحظة أن فرحتها تفوق فرحة العروس نفسها، كتبت ببالغ الحماس:

- أنا مبسوطة أووي يا حفصة، أختي بتتجوز يا ناس، ده إيه الفرحة دي! ربنا يسعدك يا حفصة ويجعله خير زوج لكِ لأنك أصلاً تستاهلي كل خير، وبدعيلك طبعًا من غير ما تقولي، وبإذن الله ربنا هيريح قلبك وكل قلقك ده هيروح وهيفرح قلبك بحلالك يا عروسة.
- يا رب يا أحلى أخت، المهم بقى، عاوزين نتكلم عنك أنتِ، قوليلي قررتي تعملي إيه في الإجازة؟
- لسه مش عارفة، بس عادي هبقى أكلمك بعد الفرح بشوية بإذن الله ونتفق.

تمنت ألا تكسر فرحتها، ولكنها أدركت أنه لا مفر من إخبارها، فكتبت بحروف بائسة:

- سلمى، أنا ممكن معرفش أتواصل معاكِ وأنا هناك زي دلوقتي.
- مش هينفع تتواصلي معايا؟ طيب ليه؟!

ببالغ الخوف والتعجب كتبتها، فأجابت حفصة:

- إيهاب ظروفه ملخبطة شوية لأنه لسه بيحط رجليه على أول الطريق، فغالبًا كده هنشتغل ليل ونهار لحد ما نقف على رجلينا وساعتها مش هقدر أدخل نت زي الأول، أنا مكونتش

ناوية أقولك، بس خوفت تقلقي عليَّ أكثر لما تلاقيني اختفيت فجأة فقررت أعرفك كل حاجة وبالله عليكِ متزعليش.

لم ترد، اكتفت بنظرة خاوية تحت قدميها، أتبعتها بكفيها تعبثان بعينيها اللامعتين، شعرت حفصة بما قد تشعر به صديقتها من آلام، فكتبت مشجعة إياها:

- سلمى! ممكن تسمعيني؟
- يا حفصة أنا بجد بحبك أوي، وأنتِ كنتِ السبب في كل الخطوات اللي أخدتها دي، حقيقي مش هعرف أعمل أي حاجة من غيرك!
- عاوزاكِ تركزي في الكلمتين اللي هقولهوملك دول وتحطيهم حلقة في ودنك: اللي معاه القرآن والدعاء يا سلمى مش هيكون محتاج لأي إنسان، هما دول سلاحك اللي هتقوي بيهم نفسك!

لم ترد، ولكنها هذه المرة كانت تحاول استيعاب ما قد كُتب، فتلك الكلمات شعرت أنها مهمة، واستثنائية، استأنفت حفصة كلامها وكتبت:

- من خلال معرفتي بكِ الفترة الصغيرة اللي فاتت دي لقيتك إنسانة -بسم الله ما شاء الله- قوية وقادرة على نفسك، كل اللي كنت محتاجاه إنك تلاقي حد يشجعك ويحط رجلك على أول الطَريق، وقد كان، دلوقتي حفصة هتروح، لكن سلمى هتفضل موجودة ولازم تكمل طريقها ومتوقفوش على شخص معين، ابدئي اقرئي في الجروب من جديد وحددي خطواتك بنفسك، لما تحسي إنك تعبتي ومش قادرة تكملي طريقك استخدمي سلاحك، معاكِ القرآن والدعاء، افتحي مصحفك وأنتِ بتقولي لربنا يا رب ابعتلي رسالة، اتعودي دائمًا تقولي

كل اللي جوالكِ في سجودك وافضلي اتكلمي لحد ما ترتاحي، ما تنسيش تدعي كتير ربنا يثبتك ويقويكِ، أرجوكِ يا سلمى اوعي تسمحي للشيطان إنه يهزمك، أو تسمعي كلمتين بايخين من أي حد فتتنازلي عن هدفك، معاكِ القرآن والدعاء يا سلمى فاهماني؟ معاكِ سلاحك يا سلمى اوعي تتخلي عنه!

لم تستطع أن تمنع عبراتها من التسرب، وذلك لأنها لم تتوقع أن تختفي حفصة من حياتها بهذه السرعة، شعرت بأنها زرعت بقلبها زهرة بيضاء وأحضرت لها الماء ثم رحلت، رحلت تاركةً إياها لتعتني بهذه الزهرة وحدها وترويها وحدها حتى تراها تزدهر وتتسع أمام عينيها لتصبح حديقة نقية ذات جمال خلاب، شعرت أن اللّٰه أرسل إليها حفصة لتقوم بدورٍ ما في حياتها، وسرعان ما انتهى هذا الدور بعدما وضعت قدميها على أول الطريق، أحسّت للحظة أنها قد استوعبت الحكمة من كل ذلك، فكتبت بتمام القبول:

- حاضر يا حفصة هحاول، هتوحشيني.
- وأنتِ كمان يا صغننة، ممكن بقى تبقي تبعتيلي كل خطواتك زي ما كنتِ بتعملي؟ عاوزة يوم ما أفتح الفيس تاني أفتخر بأختي وبخطواتها الجديدة.
- كنت هعمل كده من غير ما تقولي، لأن حتى لو أنتِ مش موجودة فروحك دائمًا هتفضل معايا، يلا روحي شوفي تجهيزاتك يا عروسة لأني أكيد عطلتك كتير.
- بحبك في اللّٰه بجد يا سلمى، يلا أستودعك اللّٰه الذي لا تضيع ودائعه.

كتبتها ورحلت، رحلت ولا أحد يعلم متى ستعود، أغدًا؟ أبعد غد؟ أم بعد شهر؟ أو ربما بعد سنة، وربما أكثر من ذلك، لا بأس، فسلمى تلك العنيدة ستواصل طريقها مهما كانت الظروف والعواقب، فتاة مثلها قررت العودة لطريق الله لن تستسلم للظروف بتلك البساطة، حتمًا هي أقوى من ذلك، انهضي يا سلمى، انهضي وتابعي طريقك، فالله معكِ أينما كنتِ.



على حاله راقدًا بفراشه جاعلًا من ساعده الأيمن وسادة نومه، ويغطي عينيه بساعده الأيسر، تمر أمام عينيه بعض الذكريات، تلك الذكريات التي تتلذذ بإيلامه وتتفنن في كيفية الظهور بأسوأ الطرق، وكأنها تتصارع مع بعضها البعض في أي منها ستفوز بلقب قاهرة القلوب، بينما والدته -تلك المسكينة- تجلس بالخارج وقد بلغ منها الألم مبلغه، وذلك لأنها لم تره على هذه الحالة منذ مات والده قبل عدة سنوات، شعرت أن حزنه على محمد أشبه بحزنه على والده حين وفاته، ولكن حينها كان وجود محمد في حياته له بالغ الأثر في تقبله لوفاة والده واجتيازه لتلك المرحلة الصعبة من حياته، ولكن الآن من ذا الذي سيساعده على تقبل اختفاء أعز صديق لقلبه من حياته بهذا الشكل؟ من يستطيع أن يزيل عن قلبه تلك المرارة وذلك الشعور القوي بالذنب تجاه من رحل؟ من قادر على أن يعود به لإسلام السابق؟ ذلك الشاب الذي لم تفارق الضحكة وجهه يومًا، حتى في أصعب لحظاته كان يجد من يُخرجها من قلبه عمدًا، بعد تفكير قررت أن تحاول معه مرة أخرى، لعلها تستطيع أن تفوز ولو بالقليل من إسلام السابق، طرقت الباب بخفة وفتحته وهي تلقي التحية على ذلك الميت الحي، أجابها بابتسامة خفيفة طفت على سطح شفتيه في تكاسل، في محاولة منها لجذب انتباهه سألت:

- ومحمد عامل إيه دلوقتي؟

لم تشعر بالرعشة التي سرت بجسده بعدما ذكرت تلك الحروف الأربع، نظر لها وهو يحاول ألا يسمح لدموعه أن تطفو من مقلتيه أمامها، لم يُجب، ولكن عينيه نطقت بتلك الدهشة التي ملأته بسبب ذلك السؤال الغريب، شعرت أنها نجحت فيما خططت له، فقالت مُفسّرة:

- تفتكر هو مرتاح دلوقتي يا إسلام؟ مش يمكن يكون محتاج حد يدعيله يا بني؟ مش يمكن يكون محتاج ثواب يوصله بأي طريقة؟ حاول تغير من نفسك يا إسلام لعل تغييرك ده يفيده بأي حاجة، حاول تنفع نفسك وتنفع صاحبك يا بني.

- مش عارف أبدأ منين يا أمي ومش لاقي حد يساعدني، أنا فعلًا ندمان إني مسمعتش كلامه من الأول، مش متخيل إني كنت ممكن أموت وأنا على الحالة دي، طيب ولو مُت، هقول لربنا إيه؟ حقيقي مبقيتش عارف أتصرف ازاي!

وكأنه قد أراد فقط البوح بما يُضيّق براح صدره إلى تلك السيدة ذات الحضن الدافئ، علّها تساعده على التخلص من تلك المشاعر الخانقة التي يشعر بها، ألقى كلماته وسكت مرة أخرى، فهمست والدته وهي تنظر إليه بعينين تفيضان حنوًا وحبًا:

- يمكن كانت غلطتي إني محاولتش أغرس فيكم الدين من صغركم، وكان كل همي تبقوا متفوقين ومبسوطين وأفتخر بيكم قدام الناس، بس لما شوفت موت محمد المفاجئ خوفت تروح مني وربنا ميكونش راضي عنك فقولت لازم آجي وأكلمك.

استأنفت كلامها وهي تربت على كتفه وتنظر في عينيه اللامعتين:

- دور على الصحبة الصالحة اللي تعينك يا إسلام، حاول تقضي الباقي من عمرك صح يا بني، بلاش تكرر غلطتي علشان متكتشفش فجأة إن عمرك كله ضاع من غير ما تكون عملت أي حاجة لآخرتك.

ولأول مرة منذ زمن تتسع ابتسامته إلى هذا الحد، نظر لوالدته وقد تسللت الراحة إلى كامل جسده، وقال هامسًا:

- أول مرة أشوفك بتتكلمي كده يا أمي.

ابتسمت وظلت تنظر إليه وهي صامتة، فسألها:

- طيب ألاقي فين الصحبة الصالحة دي؟ جايز لما أبدأ أحقق وصية محمد وأغير من نفسي أحس إني ارتحت شوية.

- تقريبًا كنت قولت قبل كده إن محمد عنده واحد صاحبه متدين كده، ما تشوفه يمكن ياخد بإيدك ويكون هو الصاحب الصالح اللي بتدور عليه.

ومن جديد تذكر كل ما حدث من فاروق في الفترة الماضية، تذكر أول يوم رآه فيه بعد وفاة محمد وتلك الحِدّة التي صاحبت عباراته حينها، تذكر كلماته وقتما وصف له ليلة وفاة محمد وبعدها ألقى على عاتقه مسئولية ما حدث، تذكر زيارته المفاجئة له وطلبه الذي قوبل بالرفض وعدم الاهتمام من قِبل فاروق، الأمر الذي جعله يشعر أن كرامته قد دُهست في التراب، عاد من شروده على صوت والدته المنادية، فأجاب بنفور:

- لأ مش هينفع ده، شوفي حل تاني.

شعرت أن ثمة شيء مؤلم يدور بداخله، لم تسأله كعادتها وأخذت تفكر في ذلك الحل الآخر، قليل من الدقائق مرت قبل أن تصيح فجأة قائلة بحماس:

- أنا ازاي مجاش في بالي الموضوع ده قبل كده!

الشباب الصالحين يا بني هتلاقيهم أكيد مواظبين على الصلاة في الجامع، حاول أنت كمان تصلي الخمس فروض في الجامع وبإذن الله هتلاقي الصحبة الصالحة هناك.

أعجبته الفكرة فابتسم وأومأ برأسه إيجابًا مقررًا جعلها الخطوة الأولى من خطوات التغيير، داعيًا الله أن تنجح تلك الخطوة، فقط من أجل تنفيذ وصية صديقه!



صباح الجمعة الأولى من إجازة نصف العام جلست سلمى أمام شرفتها المشمسة وظلت تنظر إلى السماء وهي تُذّكّر نفسها بأنه تبقى يوم واحد فقط على حفل زفاف حفصة، تمنت لو أنها تستطيع الذهاب، تمنت أن تراها وجهًا لوجه وتقاسمها فرحة ذلك اليوم ولكن بُعد المسافة حال بينها وبين أمنيتها، أخذت تتذكر كلمات حفصة الأخيرة والتي لا تعلم متى ستتلقى غيرها:

«اللي معاه القرآن والدعاء يا سلمى مش هيكون محتاج لأي إنسان، همَ دول سلاحك اللي هتقوي بيهم نفسك»

رددت هامسة وهي لا زالت تنظر إلى تلك السُحُب المتكومة هناك في ذلك الفضاء الفسيح:

- حاضر يا حفصة، هستخدم سلاحي دائمًا ومش هتنازل عن هدفي بإذن الله مهما حصل.

ثم نظرت للمرآة المجاورة لها وابتسمت وهي تقول بتحدِ:

- ودلوقتي بقى يا ست سلمى جه عليكِ الدور إنك تحددي خطوتك القادمة بنفسك، يلا وريني قوتك ومواجهتك للناس وانتقاداتهم لوحدك.

بدأت تسترجع أيامها الماضية منذ تعرفت على حفصة وتعدد على أصابعها الصغيرة ما أنجزته قائلة بحماس:

- وبكده أكون بطلت مسلسلات وأفلام، بدلت الأغاني وخليتها أناشيد، بطلت أكلم شباب إلا للضرورة، واظبت على الصلاة في البيت وبرا البيت، بطلت أنشر صور بنات على النت، وأخيرًا بطلت البنطلونات واللبس الضيق.

في تلك اللحظة نادت عليها والدتها لتطلب منها مساعدتها في تحضير ما سيقدمونه للضيوف القادمين بعد صلاة الجمعة مباشرة، حيث كان من المعتاد أن يأتي جميع أفراد عائلة والدها عندهم كل جمعة باعتبار أنه أكبر أخوته، وجدتها سلمى فرصة ذهبية لتنفيذ الخطوة التي لطالما أجلتها قبل ذلك عدة مرات، وبالفعل ذهبت إلى المطبخ لتساعد والدتها، وما أن سمعت أول طرقة على باب منزلها حتى هرعت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها، بدأت في ارتداء ملابسها ومن ثم حجابها، انتهت وألقت نظرة أخيرة على هندامها قبل الرحيل فشعرت أن حجابها يبدو قصيرًا لدرجة أنه يبرز بعضًا من مفاتنها، فنزعته وقامت باستبداله بآخر أطول منه وقامت بتجربته على وجهها ومن ثم صاحت بفرحة كالأطفال:

- اللـه، وآدي كمان خطوة جديدة مكنتش عاملة لها حساب، من النهارده هلبس طُرَح طويلة وبس، على الأقل أكون مرتاحة وأنا مدارية نفسي كده، يا رب ثبتني وقويني.

انتهت من تعديل هندامها للمرة الثانية وخرجت من غرفتها لتستقبل الزائرين، كان من المعتاد أن يجلس والدها وأخوته في صالة المنزل،

بينما يجلس الشباب والبنات مع بعضهم البعض في الغرفة المفتوحة على الصالة، ذهبت سلمى إلى عمها وعماتها وألقت عليهم التحية، ومن ثم وقفت أمام غرفة الشباب وألقت التحية عن بُعد وجلست بأقرب كرسي للباب، نظرت لها ابنة عمها متعجبة وسألت بدهشة:

- مش هتسلمي يا بنتي؟!

شعرت بالحرج الشديد، حيث أنها المرة الأولى التي تفعل فيها ذلك الفعل، فسابقًا كانت تُصافح الجميع وتجلس لتمرح معهم، ولكن ما إن تيقنت أن ذلك لا يجوز للفتاة المسلمة حتى قررت منع ذلك المرح المُفرط مع أقاربها الشباب باعتبارهم أجانب عنها، حاولت الخروج من ذلك الموقف المحرج وبابتسامتها المرحة قالت:

- يعني أسلم دلوقتي ولا أروح أجيب العصير؟ العصير أهم طبعًا.

ثم قفزت من مكانها وهرعت إلى المطبخ، تنفست الصعداء بعدما أحست بالراحة الشديدة نتيجة لنجاح خطتها تلك المرة وعدم مصافحتها لأي من أقاربها الشباب، قررت أن تفعل ذلك في كل مرة يأتي إليهم أحدهم حتى يعتاد الجميع على عدم مصافحتها لهم، حملت أكواب العصير وقامت بتقديمها للجميع ثم جلست في كرسيها المجاور للباب وبدأت تستمع إلى حديثهم، قليل من الدقائق مرت قبل أن ينادي عليها والدها ليطلب منها أن تفتح الباب للطارق المجهول، ألقت نظرة سريعة على الحاضرين فلاحظت غياب ياسر ابن عمها فبُهت وجهها وظل قلبها يخفق بشدة، وقبل أن تفكر فيما يجب أن تفعله نادى عليها والدها مرة أخرى فأخذت تتحرك ببطء شديد وهي تفكر في أية طريقة تستخدمها للخروج من ذلك المأزق المفاجئ، وصلت إلى الباب وقامت بفتحه فوجدت

ياسر أمامها - كما توقعت- يمد إليها يده وعلى وجهه ابتسامة هادئة، الكثير من المشاعر المتضاربة اجتاحتها فوجدت لسانها ينطق بكل براءة:

- إيدي مش بتسلم.

نظرة تعجبية من ياسر لم تقِلّ عن نظرتها البلهاء بعدما أدركت ما قالته للتو، فهمست موضحة وقد تسارعت نبضات قلبها:

- إيدي مش بتسلم على رجالة، قصدي يعني بطلت أسلم على رجالة.

قالتها وعادت للخلف قليلًا وهي تنظر أرضًا، رأته وهو يتركها ويعبر الممر مُتجهًا إلى والدها وأخوته وسمعت ضحكاته المتتالية وهو يحدثهم، سمعته وهو يخبرهم بما حدث، سمعت ضحكات الجميع على فعلتها وكلماتها تلك فأسرعت بالدخول إلى غرفتها بعدما قررت الاكتفاء بما حدث، وبرغم اشتياقها لأقاربها إلا أنها فضّلت أن تُمضي ما تبقى من يومها في غرفتها بدلًا من أن تستمع إلى كلماتٍ تُزيد من حرجها، لم تنته من نزع حجابها بعد وسمعت والدها يُنادي عليها من جديد لتحضر كوبًا من العصير لذلك الشاب الثلاثيني، زفرت بقوة وقامت بالتعديل من هيئة حجابها وخرجت وقد استحال وجهها إلى اللون الأحمر، قدّمت كوب العصير لابن عمها في صمت، وسارت بخطواتٍ حاولت أن تجعلها متزنة لكي لا تنفضح حقيقة مشاعرها أمام الجميع، وقبل أن تصل إلى كرسيها المجاور للباب جاءها صوته القائل:

- بس أنتِ جدعة على فكرة.

تسمّرت مكانها وسألت نفسها: أحقًا ما سمعته للتو؟ حانت منها التفاتة سريعة إلى الحاضرين الناظرين جميعهم باتجاهها ولم تُدرك ماذا يجب أن تفعل، استطرد ذلك المنقذ الثلاثيني كلامه قائلًا:

- اعملي اللي أنتِ مقتنعة بيه، واوعي يهمك كلام أي حد.

ثم نظر للجميع وقال مازحًا:

- لو حد فكر يسلم عليها تاني هقطعله إيده.

وها هو ياسر ذلك الشاب الذي يكبرها بما يزيد عن عشرة سنوات، الشاب الذي لطالما شعرت بصعوبة مواجهته هو بالتحديد نتيجةً لكونه يُعتبر بمثابة أخ لها، الشاب الذي لطالما داعبها وأحضر لها الحلوى منذ أن كانت طفلة، ها هو الآن يتفهم موقفها بل ويشجعها على ما هي مُقدمة عليه، أرادت أن تشكره بشدة، أرادت أن تُخبره أنه أنقذها من أكثر المواقف المحرجة التي مرت بها في حياتها، أرادت أن تخبره بالكثير مما تشعر به، ولكنها اكتفت بقولها:

- حاضر بإذن الله.

ثم ذهبت إلى عمها وعماتها وجلست معهم وقالت مازحة:

- مش كل مرة بقى هتيجوا وتمشوا والواحد ما يلحقش يشبع منكم كده، يا تيجوا تقعدوا معانا يا إما احنا هنقعد معاكم.

ارتسمت ابتسامة حنونة على ثغر عمها وقال:

- تعالوا يا بنتي علشان هنا أوسع.

وبالفعل حضر الجميع وجلسوا سويًا، وها هي تلك العنيدة تسببت في اجتماع العائلة كلها في مكان واحد ولأول مرة منذ مدة طويلة.



وصل إلى منزله بعدما أدى صلاة العصر، دخل غرفته وألقى بجسده على فراشه وظل يفكر في كل ما حدث طوال الأسبوعين الماضيين، تذكر ذهابه اليومي للمسجد كما وعد والدته، تذكر صلاة الفجر التي حرص

على أدائها على عكس ما كان يفعل سابقًا، تذكر الراحة التي كان يعتقد أنه سيشعر بها، تذكر الصحبة الصالحة التي توقع أن يجدها من أول وهلة، ولكن يبدو ألّا فائدة من كل المحاولات، نهض من فراشة مرة أخرى وأمسك بهاتفه وقام بالدخول إلى موقع الفيس بوك علّه يجد ما يشغل باله قليلًا بدلًا من السماح لتلك الأفكار الخانقة أن تسيطر على رأسه، نظرة سريعة على قائمة الأصدقاء المتصلين حاليًا ألقاها قبل أن يُغلق هاتفه على وجه السرعة ويلقيه على فراشه، تعجب من فعلته تلك، فسابقًا كانت من أسعد لحظاته تلك اللحظة التي يدخل فيها على الموقع فيجدها متصلة الآن، سارة حبه الأول، تلك الفتاة التي أحس معها بمشاعر لم يشعر بها من قبل مع أي شخص، تُرى ماذا حدث له الآن؟ لماذا تأثرت علاقتهما إلى هذا الحد بعد وفاة محمد؟ لماذا أصبح لا يُطيق الحديث معها أكثر من خمس دقائق على أقصى تقدير؟ أأصبح لا يُحبها؟ أم لم يعد يرغب في مزيد من الذنوب؟ ربما هي الإجابة الثانية، مرة أخرى حاول أن ينفض غبار تلك الأفكار عن رأسه وقرر الذهاب لأخته الصغرى كي يحدثها قليلًا، عله يجد الدواء في الحديث معها، سار بخطوات بطيئة نحو غرفتها فوجد الباب مفتوحًا بعض الشيء، أطل برأسه منه وقال مبتسمًا:

- ممكن أدخل؟

شَعَرت بالحنين إلى ذلك الصوت وتلك الابتسامة، ألقت ما كانت تحمله في يدها وقفزت من فراشها وهرولت باتجاهه، قامت بفتح الباب على مصرعيه وأشارت إليه ليدخل وهي تقول بمنتهى السعادة:

- ممكن طبعًا، ده أنا مستنية اللحظة دي من زمان أوي يا إسلام.

جلسا معًا على فراشها، ابتسمت له وهي تنظر إليه بعينين تفيضان حنوًا، وقالت متمنية:

- مش هترجع لطبيعتك بقى يا إسلام؟ نفسي أوي أشوف إسلام بتاع زمان.
- بحاول والله يا هند بس مش قادر، حاسس إن حياتي ملهاش أي معنى، حتى التجربة اللي بدأت فيها وقولت ممكن تريحني شوية تقريبًا فشلت، حقيقي مبقيتش عارف أعمل إيه!
- ممكن أعرف إيه هي التجربة دي؟ وليه حاسس أنها فشلت؟

أغمض عينيه وتنهد بقوة، وكأنه يسترجع بتلك التنهيدة أحداث شهر كامل مضى، نظر في عينيها، ابتسم لها تلك الابتسامة المتألمة التي اعتاد عليها وقال:

- كنت بحاول أبطل الاستهتار اللي أنا فيه ده، وأعيش حياتي صح علشان أحقق وصية محمد، فكرت إني ممكن ألاقي الصحبة الصالحة اللي تعينني على طريقي الجديد في المسجد، وفعلًا واظبت على الصلاة في المسجد طول الأسبوعين اللي فاتوا، بس للأسف ملقيتش اللي بدور عليه، عارفة ليه؟

نطقت عيناها بتلك اللهفة التي تحملها بداخلها، فاستطرد قائلًا:

- لأن تقريبًا كل اللي شوفتهم هناك شيوخ كبار، وبصراحة كنت بتحرج أروح أتكلم معاهم، يمكن كنت متوقع إني ألاقي شباب كتير في سني هناك، واستغربت جدًا لما اكتشفت إن الشارع كله مفيهوش شاب واحد مواظب على صلاته!
- طيب ما أنت كنت زي كل الشباب دول يا إسلام، مستغرب ليه بقى؟!

قالتها بتلقائية كردٍ على كلماته، ولكنها تركت في نفسه بالغ الحرج، أجابها بصوت مضطرب:

- عندك حق يا هند، بس أنا خلاص الحمد لله واظبت على صلاتي، المشكلة إني مش حاسس بطعم الصلاة، ولا حاسس إني بدأت أقرب من ربنا، ولا أي حاجة، حاسس إني مجرد آلة بروح وباجي وخلاص، مش عارف ليه!

تقمصت دور الأخت الكبرى وأجابت بعقلانية:

- بس أنا عارفة، مشكلتك يا إسلام إن الدافع ورا تغييرك ده غلط، يعني أنت بتفكر تتغير بس لأنك متأثر بموت محمد وحزين عليه، ومع الوقت طبيعي حزنك على محمد هيقل وإحساسك بتأنيب الضمير هيقل وبالتالي مش هتكمل الطريق اللي بدأت فيه، بالإضافة إلى إنك بتروح المسجد علشان بس بتدور على الصحبة الصالحة اللي تعينك على طريقك لربنا، مع إنك المفروض تروح أولاً علشان تؤدي صلاتك اللي هي أول طريقك لربنا.
- كلامك باين عليه حلو، بس بردو مش فاهم قصدك إيه.
- بُص يا إسلام، الطبيعي إنك لو عاوز تتغير بجد يبقى هتتغير علشان ترضي ربنا، هتتغير علشان أنت مقتنع إن حياتك غلط ومحتاج تظبطها، هتتغير علشان نفسك، مش علشان محمد قالك، من الآخر يا إسلام، شوف قلبك محتاج إيه علشان يرتاح واعمله.

وكأنه وجد ما كان يبحث عنه منذ مدة فصاح بها وفي صوته راحة كبيرة:

- يااه يا هند، أنا ازاي مفكرتش بالطريقة دي قبل كده! أنا فعلًا كان كل همي إني أحس إني بعمل أي حاجة من اللي محمد قالهالي وبس، لكن عمري ما فكرت أصلي بقلبي أو أقرأ قرآن بقلبي، عمري ما فكرت أنا حياتي فيها أخطاء إيه وقررت أعدلها، عمري ما كنت جاد في كوني فعلًا عاوز أتغير من جوايا.

نهض من مكانه ونظر لها بامتنان شديد وهمس:

- بجد شكرًا يا هند، أنا محتاج دلوقتي أقعد مع نفسي شوية وأفكر بطريقة مختلفة، أنا هتغير بإذن اللّه علشان ربنا، هدور على طريق ربنا علشان أمشي فيه، وبإذن اللّه هلاقيه حتى لو كنت لوحدي.

سار باتجاه باب الغرفة، وقبل أن يخرج منها نظر لها وسألها بفضول بالغ:

- إلا قوليلي صحيح، جبتي الكلام الحلو ده كله منين؟

وببراءة شديدة أجابت:

- بقعد ساعات أتناقش مع سلمى صاحبتي، وتقريبًا قالتلي حاجة زي كده قبل كده.
- طيب وما فكرتيش تنفذي الكلام ده؟

أومأت برأسها نفيًا وأجابت:

- مش حاسة إن وقته دلوقتي يا إسلام، أنا حابة حياتي كده وعاوزه أعيشها براحتي، ربنا يوفقك أنت بس ولو احتجت أي حاجة أنا موجودة، المهم أشوف إسلام بتاع زمان رجع من تاني.
- بإذن اللّه يا هند.

قالها مصحوبة بابتسامة خفيفة وعاد إلى غرفته من جديد، جلس أمام مكتبه وأخذ يفكر في تلك الكلمات التي أنارت له دربه وجعلته يفكر بطريقة مختلفة، كم كانت محقة هند في كل ما قالته، وكم كان مخطئًا هو في تعامله مع الأمر منذ البداية، قرر البدء بصلاته، حيث أنها أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة، قرر الذهاب إليها بقلبه، قرر جعلها أول طريقه إلى الله، لم يفكر في شيء آخر سواها، شعر أنه حين تستقيم صلاته سيستقيم معها كل شيء، وها هو الموعد الآخر للصلاة قد أتى، ها هو يسمع أذان المغرب يُرفع من أحد المساجد القريبة من بيته، نهض على الفور وهبط من منزله وسار بخطوات هادئة محاولًا أن ينال ثواب كل خطوة يخطوها باتجاه بيت الله، وصل إلى المسجد وانتظر إقامة الصلاة، أدى صلاته وجلس بانتظار درس المغرب، كان الدرس عن فضل القرآن الكريم، وفي وسط ما قال الإمام سمع إسلام تلك الآية التي فسرت له كل شيء، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾، شعر أن هناك خيوطًا من الضوء أنارت عقله، همس لنفسه:

- آه علشان كده بقى، مش لاقي حياتي ولا لاقي نفسي لأني بعيد عن ذكر ربنا، فين القرآن اللي المفروض أكون حافظه أو على الأقل فاهمه وبعمل بيه، فين لساني اللي دائمًا بيردد الأذكار والاستغفار والصلاة على الحبيب عليه الصلاة والسلام، فين قلبي اللي عايش حياته كلها في طاعة الله، طبيعي جدًا حياتي كلها تبقى كئيبة ومليانة هموم طول ما أنا بعيد عن ربنا.

عاد من خِضم أفكاره إلى الواقع فوجد أن الإمام يُلقي بكلماته الأخيرة وينهي درسه، نهض من مكانه وسارع بالخروج عائدًا إلى منزله، دخل غرفته مهرولًا باحثًا عن مصحفه الذي وجده في ذلك الرف النائي وتتناثر عليه ذرات التراب، احتضنه بين كفيه وظل يرسل إليه نظرات

الاعتذار من هاتين العينين اللامعتين بالعبرات، أحضر منديلًا ورقيًا من جيبه وقام بإبعاد تلك الذرات الترابية البائسة التي تجرأت على المساس بمصحفه الغالي، ثم ذهب به إلى مكتبه وجلس يقرأ في أول صفحة فُتِحت أمامه، قرأ هذه المرة بقلبه مع لسانه، قرأ ببطء شديد محاولًا استيعاب كل حرف ينطقه لسانه، محاولًا فهم كل معنى تريد الآية أن تخبره به، وبعدما انتهى وجد أنه قد قرأ ثلاث صفحات فقط، ولكنه شعر بالسعادة تغمر قلبه وكأن كلمات القرآن قد مست روحه ونبّأته بأنه الآن فقط قد وجد طريق اللّه.



- ٤ -

انتهت إجازة نصف العام وعاد كل طالب إلى حياته الطبيعية، أخذت سلمى تُرتّب خزانتها وتجهز الملابس التي سوف ترتديها في أول أسبوع لها في الفصل الدراسي الثاني، بعدما انتهت من تفريغ مكتبها تمامًا استعدادًا لاستقبال أكوام الكتب والمذكرات القادمة بعد عدة أيام، وعلى بعُد أمتار وقف إسلام يفعل نفس الشيء بطاولته الصغيرة قبل أن يسمع تلك الطرقات الخفيفة على باب منزله، في بداية الأمر شعر أنه خُيّل له، ولكن مع استمرار تلك الطرقات وارتفاع صوتها تيقن أن أحدهم يقف بالفعل خلف الباب، عدة خطوات خطاها قبل أن يفتح الباب وتتكمش ملامح وجهه استغرابًا نتيجة لرؤية آخر شخص توقع أن يراه أمام الباب، تبادلا معًا النظرات الصامتة، تحدثت أعينهما قبل أن يتحدث ثغرهما، أحدهما نطقت عيناه ببالغ الدهشة من رؤية الآخر، بينما الآخر ابتلع لسانه حياءً ولم يقدر على التفوه بأي كلمة، طال الصمت الذي قطعه إسلام بتأدية واجبه كصاحب المنزل وهمس:

- أهلًا يا فاروق.

- يا ترى هتعمل معايا زي ما عملت معاك؟

قالها متوقعًا رد الفعل، ولكن ما حدث كان عكس توقعه، وجد إسلام يبتسم له ويفسح له الطريق وهو يشير إلى الداخل قائلًا بابتسامة خفيفة:

- لأ طبعًا، احنا ما اتربيناش إننا نحرج حد جه لحد عندنا، اتفضل.

شعر بالخجل من نفسه ومن فعلته السابقة، ومن تلك الإساءة التي قابلها إسلام بالإحسان، ثمة شعور بالذنب يحاوطه، ولكن ابتسامة إسلام الهادئة انعكست على وجهه وخففت من ذلك الشعور، وجد نفسه يخرج تلك الكلمات من أعماق قلبه:

- ربنا يريح قلبك يا إسلام، عمومًا أنا مش جاي أتضايف، كل اللي جاي أطلبه منك حاجة واحدة بس.
- اتفضل!
- يا ريت تسامحني على كل اللي عملته معاك، أنا عارف إنك جيتلي في أكثر وقت كنت محتاجني فيه، وعارف إني غلطت جامد لما اتصرفت بالطريقة دي، وصدقني من ساعتها وأنا حاسس بالذنب من ناحيتك، بس حقيقي الموقف كان صعب عليَّ ومكنتش مستحمل أي حاجة بالذات منك أنت.

قالها وصمت، ولمّا لم يجد أي رد من إسلام استطرد كلامه:

- ليك حق القبول أو الرفض، وحتى لو رفضت، فأنا بردو موجود بإذن اللّه في أي وقت تحتاجني فيه، ويسعدني إني أساعدك على القرب من ربنا.
- مسامحك.

باغته إسلام بقولها، فانفرجت أسارير فاروق واتسعت ابتسامته وهو يسأل بعينيه عن مدى مصداقية تلك الكلمة، أحقًا سامحه إسلام بتلك السهولة بعد كل ما حدث! استطاع إسلام تفسير ألغاز عيني زميله ورد بتلقائية:

- الفترة اللي فاتت كانت من أصعب فترات حياتي، وكان كل اللي تاعبني فعليًا هو موت محمد، علشان كده اللي أنت عملته مأخدش حيز كبير من تفكيري إلا كام يوم، عمومًا أنا خلاص بدأت أعيد حساباتي وناوي بإذن اللّه أعيش حياتي صح، وقررت كمان إني أسامح أي حد غلط في حقي لعل ده يرفع قدري عند ربنا.
- حقيقي يا إسلام مش عارف أشكرك ازاي!
- الشكر للّه، أنا معملتش حاجة.
- ربنا يرضى عنك يا رفيق، أسيبك دلوقتي بقى لأن مهمتي انتهت، وهنتقابل تاني كتير بإذن اللّه.

صافحه وغادر على الفور، ظل إسلام يتتبع أثره بعينيه حتى اختفى عن ناظريه، وعلى وجهه تلك الابتسامة الهادئة الساكنة الودودة، نعم ها هو فاروق يأتي إليه بكامل إرادته ليعتذر له عن كل ما بدر منه، وها هو إسلام يقبل ذلك الاعتذار بكل بساطة وبدون أن يشعر بأي جرح في كرامته أو رغبة ملحة في الانتقام، يبدو أن ذلك الفتى وُفّق في اتخاذ المسار الصحيح لبناء شخصيته الجديدة، غفر اللّه لك يا إسلام وهداك إلى طريقه المستقيم.



صبيحة اليوم التالي ذهب إسلام إلى الجامعة وعلى وجهه ابتسامة مشرقة، وكحركة فطرية منه أخذ يتفرس في الوجوه باحثًا عن توأمه، بحث عنه في مكانهما المفضل داخل الكافيتريا، ولمّا لم يجده بدأت ابتسامته تبهت شيئًا فشيئًا، ود لو أنه يراه، أو يرى خياله فحسب، ربما ذلك يُخفف من حدة الشوق الذي يشعر به، ولكن ذلك لن يحدث، هو

على يقين من ذلك، فعهد الخيال قد انتهى، ومع بداية دخوله في دوامة الحزن التي تجتاح قلبه من آن لآخر وجد ذلك الكف الحاني يمسك بذراعه، وجد أحدهم يهمس بهدوء:

- كنت حاسس إني هلاقيك هنا.

التفت فإذا به يصطدم بتلك الابتسامة المنقوشة على ثغر فاروق، تلك الابتسامة التي تُهيِّئه لإخراج كل ما تجيش به نفسه، وعلى الرغم من ذلك لم يُرِد أن يتحدث في الأمر، فعلاقته بفاروق لم تتوطد إلى هذا الحد، حاول تغيير الموضوع فقال مستفسرًا:

- متعرفش أول محاضرة لينا هتكون امتى؟
- كل محاضرات كهرباء ومدني هتبدأ من الأسبوع الجاي بإذن الله.
- يعني أمشي خلاص؟
- زي ما تحب، عمومًا أنا قاعد شوية وبعدين همشي بإذن الله، لو حابب تستنى ونمشي سوا يبقى أفضل.
- فاضي ولا وراك حاجة؟
- غالبًا فاضي.
- طيب كنت عايز آخد رأيك في موضوع بما إنك عارف في الدين يعني.

ابتسم فاروق مُرَحِّبًا وأومأ برأسه للدلالة على موافقته، جلس إسلام على أحد المقاعد، فترك فاروق الكرسي المجاور له شاغرًا وجلس مقابلًا له، في تلك اللحظة حاول إسلام التحكم في تعبيرات وجهه كي لا ينفضح أمره، ثم بدأ بسرد قصته على مسامع رفيقه لعله يجد عنده الرد الذي يصيب تأنيب ضميره ذاك في مقتل:

- فيه واحد أعرفه اتعرف على بنت من على النت، كان الأول بيتكلم معاها عادي وواحدة واحدة بدأ يتعلق بيها ويحبها، بعدها بشوية بدأ يكون فيه شوية تجاوزات بينهم في الكلام، هو وعدها بالجواز بعد ما يخلص دراسة، وهو عند وعده لأنه فعلًا بيحبها، بس هل اللي بيحصل دلوقتي ده فيه مشكلة؟

ثبّت نظراته داخل عينيه، ثم انفرج ثغره عن ابتسامة خفيفة وقال:

- لو مكنش حاسس إن فيه مشكلة مكنش سأل.

يبدو أنه محق، فالمرء منّا لا يبدأ في إلقاء الأسئلة إلا عندما يرتفع ضجيج ذاك الذي يُدعى ضميرًا داخل قلبه، وكلما زادت قوة الصوت وحدته كان الدافع وراء البحث عن الإجابة أكبر، لم يتحدث الفتى، ولكن صديقه استطاع ببساطة فك شفرات عينيه ثم هم بالرد على السؤال، في حين قاطعه إسلام وقال باحثًا عن جواب:

- طيب ليه ده غلط؟ ما هي كده كده هتبقى مراته بعد مدة معينة!

أجاب وهو ما زال محتفظًا بتلك الابتسامة الهادئة:

- أقولك ليه، لأن ببساطة هي دلوقتي مش مراته، هي واحدة أجنبية عنه، يعني شرعًا زيها زي أي واحدة في الشارع، طبيعة التعامل بينهم لازم تبقى في حدود الضرورة وبس، وكلامهم كله المفروض يكون منضبط من غير هزار ولا تجاوزات.

انكمشت ملامح وجهه، يبدو أن كلمات صديقه لم تَرُق له، أو ربما لم تبدُ منطقيةً بالدرجة الكافية ليقتنع بها، فكيف له أن يعاملها كأي فتاة أخرى!

هذا عجيب، فهو يحبها! بل ربما أصبح يعشقها، أصبح يعشق كلماتها وهمساتها، أصبح يهرول إليها وقت ضيقه ليقص عليها سبب حزنه ويأخذ منها جرعة حنان تُنسيه همه، أيتحدث ذلك الغريب عن سارة؟ بالطبع لا، فهي تختلف عن الجميع، كعادته لم يجد ما يقوله، بل ربما لم يعد يرغب في قول أي شيء، لم ينتظر منه فاروق ردًا، بل استطرد كلامه قائلًا:

- هتقولي طيب بردو ما هو وعدها بالجواز، يعني مفرقتش الكام شهر دول، وكمان هو لازم يعبر لها عن مشاعره ويعرف طبيعة مشاعرها قبل ما يتقدم لها، صح؟
- بدأت تفهمني!

قالها ضاحكًا وكأنه شعر أخيرًا ببريق أمل يشع أمام عينيه، وبصوت مليء بالود أكمل الآخر حديثه:

- بُص يا إسلام، مفيش حاجة في الدنيا تضمن إنه يتجوزها فعلًا، ياما جوازات كتير بتنتهي على آخر يوم ويمكن آخر ساعة كمان، اه هو مخطط إنه هيتجوزها بعد ما ظروفه تتظبط زي ما بتقول، بس أنت متعرفش ربنا كاتبله إيه، متعرفش علم الغيب يا إسلام، وبالتالي ما ينفعش تكون على يقين كده إن هي دي اللي هتكون مراته، ولحد ما يتاكد أنها بقت مراته بالفعل لازم ياخد باله من كلامه معاها وميتعداش حدود الجدية والضرورة.
- جدية إيه يا فاروق! ده بيحبها! بيحبها يا نااس، والحب ده حاجة مش بإيدينا، يعني ما فيش زرار بندوس عليه فيخلينا نحب أو منحبش، دي حاجة فطرية ومنقدرش نتحكم فيها، ازاي بقى بتطلب منه ميعبرلهاش عنه حبه!

قالها بانفعال واضح، نطقت قسماته بما يتضارب في قلبه من مشاعر غضب، تعجب، وعدم فهم، فأجاب الآخر وهو المتوقِع لرد الفعل ذاك:

- الحب اه فطري، واه ممكن جدًا نلاقينا بنحب حد غصب عننا وبدون ما نقصد، ولكن مش مطلوب مننا نعبر عن الحب ده إلا لما يكون بيننا رباط شرعي، غير كده يبقى حبنا لازم يفضل جوا قلوبنا وميطلعش إلا في الحلال.
- لأ معلش يا فاروق، أنت بتقول أي كلام وخلاص لأنك مجربتش، اللي أنت بتقول عليه ده مستحيل يحصل!
- ومين قالك إني مجربتش؟

قالها مصحوبة بابتسامة متألمة، ابتسامة تُذكّره بماضٍ طويل من الانتظار، ونبضات كادت تزلزل المكان من حوله من سرعة دقاتها، ففغر الآخر فاه دهشة، لم يصدقه، فالحب لا يليق بفاروق وأمثاله في اعتقاده، ولكن فضوله دفعه لمواصلة الحديث فسأل:

- أنت حبيت قبل كده؟
- وما زلت!
- ...؟!
- بحبها بقالي أكثر من عشرة سنين، وبصراحة مش متخيل إن مراتي ممكن تكون واحدة غيرها، مع ذلك عمري ما حسستها بحاجة ولا حاولت حتى ألفت انتباهها بأي شكل من الأشكال، ويوم ما بشوفها بالصدفة بغض بصري عنها علشان أحافظ عليها من نفسي، وبإذن الله أول ما أخلص الكلية وأشتغل هروح أتقدملها، ادعيلي يا إسلام.
- بتحبها بقالك عشرة سنين وهي متعرفش! طب ازاي!

حدجه بنظرات تَنُّم عن عدم تصديقه، نظرات تعجبية ذاهلة، تيقن أن فاروق غريب الأطوار، ففِعلته تلك لا يفعلها أحد، قرأ فاروق الفضول في عينيه فأراد أن يُطفئ ناره وأردف:

- بحاول أتقي ربنا فيها يا إسلام، بحاول أفضل محافظ عليها لحد ما تكون من نصيبي، مش عاوز أشغلها بيَّ وأوجع قلبها على الفاضي وأنا عارف إني مش هقدر أتجوزها دلوقتي.
- طيب بس هي لازم تعرف علشان تستناك، أو على الأقل علشان تبقى فاهم هي بتبادلك نفس الشعور ولا لأ بدل ما بعد السنين دي كلها ترفضك وتتصدم!
- قلوبنا بين إيدين ربنا يقلبها كيف يشاء يا إسلام، يعني أنا بحاول أتقي ربنا فيها ومتأكد إن ربنا مش هيخذلني أبدًا، لأنه عالم إني بتمناها من كل قلبي وبدعي بقالي كتير أنها تكون من نصيبي لو فينا الخير لبعض، وعلى فكرة أنا حاولت كتير أنساها بس مقدرتش، فقولت خلاص آخد خطوة إيجابية وأجتهد علشان أوصل لها.
- بس اللي أنت بتقوله ده صعب أوي!
- مش صعب و...

بتر كلماته، عدّلها، ثم استأنف:

- هو صعب شوية الحقيقة، ومحتاج مجاهدة مننا، بس مش مستحيل، وبصراحة فرحة الحلال وقتها، وراحة الضمير اللي الواحد هيكون فيها تستاهل التعب.

لا يستطيع إنكار حبه لتلك النظرات الصادقة التي رآها في عيني فاروق، نظرات تَنُّم عن حب عتيق اجتاح جوارحه جمعاء، حاول مقارنة حبه لسارة بحب فاروق لتلك المجهولة فظن أن الأخير فاقه بمراحل، أعجبته تلك العلاقة البريئة التي لا يشوبها أي كدر، علاقة نشأت من قلب أحدهم وقررت ألا تصل لقلب الآخر إلا في الحلال، مهما طال الزمن، ابتسم لفاروق -ولأول مرة- تلك الابتسامة الغابطة، ابتسامة تغبِطة على عفته، أخلاقه، وصفاء دواخله، بعد مدة لم يستطع تقديرها تذكر هدفه الأساسي من تلك الجلسه فسأل:

- طيب بالنسبة للمشكلة اللي قولتلك عليها، إيه الحل؟

أجابه ذاك الذي تركه عدة دقائق ليجمع شتات أفكاره ويحلل كل ما سمعه وقال:

- الصح إنه هياخد قرار إنه مش هيكلمها تاني أبدًا، ويحط في دماغه إن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، يعني هو هيتركها علشان رضا ربنا، ولو فيها الخير له تأكد إنها هتكون من نصيبه، ولو فيها الشر له يبقى هو عمل الصح لما مكملش معاها ومنع ذنوب كتير كانت ممكن تحصل.

لم يبدُ قد استوعب قوله، فأردف بحيرة:

- بس هي كده هتقول عليه كداب وبيضحك عليها!

- صحيح ده ممكن يحصل، وهنا هيكون الاختبار، فهل ساعتها هيقول رضا ربنا فوق أي شيء وهيدوس على نفسه لحد ما يعدي المرحلة دي، ولا هيستسلم!

زفر بقوة ثم قال:

- ماشي هقوله.

- ولعله ساعتها يكتشف إن مش ده الحب ولا هي دي الإنسانة اللي كان بيدور عليها ولا حاجة، وإنه بس كان فرحان بالاهتمام والكلمتين الحلوين اللي بيتقالوا.

- جايز!

قالها وصمت وغاب بعدها في لُج تفكيره.



في سكون الليل انسلّ إلى دورة المياه وهو يترنح من التعب، بعدما علم أن صلاة الفجر لم يبقَ عليها إلا القليل استعاذ بالله من ذلك الرجيم وأحسن وضوءه وجلس في انتظار نداء المنادي للصلاة، شعر أن النوم يُثقل جفنيه فيسدلهما على عينيه، لم يستسلم، قام بتحريك رأسه يمينًا ويسارًا عدة مرات في محاولة منه للانتصار على ذاك الذي يحاول السيطرة عليه، يبدو أن الوقت لا يمر، بالفعل لا يمر، نهض من مكانه وقد تجلى التعب ظاهرًا على وجهه، وأمسك بهاتفه المحمول فوجد أن الفجر ما زال أمامه إحدى عشرة دقيقة، لا يعلم لماذا طاف بعقله في تلك اللحظة قائمي الليل، لماذا لا يكون منهم؟ لماذا لا يُجَرب أن يتعبد إلى اللّه والناس نيام؟ لماذا لا يبدأ بركعتين خفيفتين وركعة وتر ويكتب في تلك الليلة -بإذن اللّه- من القائمين؟ بعد دقيقتين كان قد اتخذ قراره، استقبل القبلة وهتف بهدوء: اللّه أكبر.

لا يعلم سر تلك الابتسامة التي ارتسمت على مَحياه بمجرد انتهائه من أداء صلاته، أيكون ذلك لأن هذه هي المرة الأولى التي يصلي فيها في جوف الليل؟ أم أنه شعر بالراحة بعدما ألقى على سجادته كل ما تجيش به نفسه وترك رسائله تشق طريقها إلى السماء؟ لا يدري، كل ما أصبح يدركه حقًا هو أن هذه المرة لن تكون الأخيرة إذا كتب اللّه له الحياة

بعد تلك الليلة، وها هو المنادي ينادي للصلاة، مما جعله ينهض من مكانه، يطوي سجادة الصلاة، ويذهب ليتأكد من أن والدته تغلبت على مُحاربها، ثم يغادر إلى بيت اللّه.

من جديد ها هو على فراشه، يسأل طيور النوم أن تُحلق إليه، ولكنها أبت وتمنعت، فغيرتها على كرامتها المُهانة بعدما تجاهلها وهي المتشبثة به جعلتها تقرر أن تعطيه درسًا لن ينساه، حتى يعلم بعد ذلك قيمتها ولا يتجاهلها لأي سبب كان، مسكينة تلك الطيور، يبدو أنها لم تدرك بعد أن إسلام أصبح يفضل صلاته عليها، ولم تعد تغلبه بسطوتها كما كانت تفعل سابقًا، فلتذهب لغيره إن شاءت، ولتضع كل حيلها ومكائدها، فالمؤمن القوي لن يقع فريسة لها مهما خططت ودبرت.

ظل يتململ في فراشه يمينًا ويسارًا بلا جدوى، انقلب على ظهره وبدأ يُبحر في خيالاته ناظرًا لسقف غرفته المُضاء بشعاع ضوء خافت آتيًا من بين دفتي النافذة، طاف بذهنه حواره السابق مع فاروق عندما أخبره بحبه لتلك المجهولة، وبمحاولته المحافظة عليها من كل شيء، حتى نفسه! تعجب بشدة من تلك العفة التي ما عاد يراها في تصرفات شبابنا اليوم، أعجبه يقينه بربه وثقته بأنه طالما سار في المسار الصحيح فحتمًا لن يخذله اللّه أبدًا، ومرة أخرى بدأ يقارن حاله بحال صديقه، فشعر بالخزي! فكيف له أن يحاول الحصول على قلب سارة وقلبها في الأساس بيد اللّه! ومحال أن يحصل عليه بعدما أغضب اللّه. شيء ما بداخله أخبره بألا يقلق، فهو بالفعل قد حصل على قلبها، ليجيبه شيئًا آخر هامسًا بكل ثقة: أتعتقدين أيتها الأمارة بالسوء أن هذا الحب سيستمر؟ أتعتقدين أنهما سيحيان الحياة التي يحلمان بها سويًا؟ يا لكِ من حمقاء! فما بُنِي على باطل فهو باطل، وبالتأكيد لن يبارك اللّه في باطل. شعر أن هناك حربًا ما دائرة بداخل رأسه فنهض من مكانه مُقررًا إنهاء تلك

المعركة بطريقته، جذب حاسبه الشخصي وفتح الموقع الذي اعتاد أن يحدثها عليه، وجدها متصلة الآن كما توقع، تسارعت نبضات قلبه وبدأت الوساوس تغزو عقله، ماذا لو كذّبته؟ ماذا لو ظنت بأنه كان يخدعها طوال الشهور الماضية؟ ماذا لو تخلت عن حبه؟ هل يتراجع؟ أم يخوض المعركة ويرفع راية الحق مهما كانت الخسائر؟ راحت الأفكار تتلاطم داخل رأسه بين مد وجذر لعدة دقائق، حتى حسم أمره مقررًا جعل رضا اللّه فوق أي شيء، وليحدث ما يحدث، فكفى ما ضاع من وقت!

وبالفعل بدأ حديثه معها، حياها وسألها عن حالها، ثم أخبرها بأنه يريد أن يحدثها في أمر هام، وطلب منها أن تحاول استيعاب كل ما سيقوله ولا تصدر أي حكم قبل معرفة الحقيقة كاملة، وعدته بذلك، حاول انتقاء كلماته حتى يستطيع توصيل ما يدور بخلده بدقة فكتب:

- أنا عرفت إن كلامنا مع بعض لا يجوز، وإننا لازم نبطل كلام لحد ما يكون بيننا ارتباط شرعي، فعاوزك تساعديني يا سارة علشان نعمل الصح ونترك بعض للّه واحنا على يقين إن لو لينا نصيب في بعض هنكون لبعض، بس ساعتها هتكون علاقتنا بدايتها صح وأكيد ربنا هيباركلنا فيها، وأوعدك يا ستي إني أول ما أتخرج وأشتغل هكلمك بنفسي علشان آخد رقم والدك.
- هاه وإيه كمان!

كتبتها بيدٍ مرتعشة بعدما تجمعت الدموع في مقلتيها وشعرت بوخزة في صدرها، وتذكرت كمّ المرات التي تعرضت فيها لهذا الموقف مع اختلاف الكلمات، ظن إسلام أن الأمر سيمر بسلام فأكمل متحمسًا:

- مفيش، هنحاول بس نحط خطة مع بعض بحيث لو حد فينا قرر يتنازل يلاقي التاني بيصده، وربنا يجمعنا في الحلال يا سارة.

رغمًا عنها انسابت دمعاتها على خديها وشعرت بدوار خفيف في رأسها، حاولت أن تلملم شتات نفسها وكتبت بقهر:

- إسلام، أنت فاكر إن أنا هصدق الكلام الفارغ بتاعك ده؟ أنا كنت متأكدة إنك زيهم، وكنت مستنية لحظة الغدر دي في أي وقت، بس يمكن في الآخر بدأت أنسى، بدأت أحس إنك مختلف، بدأت أحبك من قلبي يا إسلام.

أرسلتها وتركت العنان لدموعها التي بدأت تهطل كأمطار غزيرة بلا توقف، لم تحاول أن تكفكفها، بل أنها حاولت أن تستجمع ما تبقى من شجاعتها وتُهَدِئ أنين روحها الذي مزق طيات قلبها واستطردت:

- روح يا إسلام، روح شوف البنت التانية اللي عينك زاغت عليها بعد ما كنت بتقولي إنك عمرك ما حبيت غيري، وأنا للأسف صدقتك! ومتخافش، أنا مش هحاول أظهر في حياتك تاني بأي شكل من الأشكال ولا أبوظلك علاقتك الجديدة، بس بردو عمري ما هقدر أسامحك! ويا ريت بعد كده متحاولش تستخدم الدين بالطريقة الرخيصة دي علشان تطلع بشكل محترم قدامي، لأني خلاص اتأكدت إن كلكم خاينين!

أرسلتها وألقت بالهاتف بعيدًا وانهارت باكية أرضًا، ظلت تشهق بشدة وكادت تدمر مقلتيها من فرط البكاء، بدأت تهاجم رأسها ومضات سريعة من مشاهد سابقة، أولها مشهد ترك حبيبها الأول لها، ذلك الشاب الذي اقتحم قلبها البريء ووهمها بأنها يعشقها، وبأنها أصبحت كل حياته، وبعدما تعلقت به زهد هو فيها وانتقل إلى غيرها رغبة في التغيير، بعدما كسر قلب تلك المسكينة التي لم تكن أتمت السادسة عشر من عمرها حينها، لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل حاولت سارة أن تبحث عن حبٍ آخر تداوي به نزف قلبها، وأحبت الثاني والثالث، وتركاها

كلٌ لسبب يراه منطقيًا من وجهة نظره، وأخيرًا جاء إسلام وضرب قلبها في مقتل، حتى فاض نزفه وأصبح غير قادر على المقاومة، ظلت تتذكر كل تلك الذكريات وهي تمسك برأسها محركة إياها بقوة وتسد أذنيها لكي لا تستمع إلى ذاك الضجيج القوي الدائر برأسها، بينما تعجب إسلام من كلماتها تلك وبدأت ترتفع أصوات نبضاته، وأرسل مستفهمًا:

– أنتِ بتقولي إيه يا سارة؟ مين اللي خاينين؟ وبنت إيه اللي عيني زاغت عليها؟ أنا مش فاهم حاجة، ومش مصدق إنك ممكن تكوني افتكرتي إني كنت بضحك عليكِ الفترة اللي فاتت دي كلها!

سمعت رنين هاتفها يخبرها بوصول رسالة جديدة، فأسرعت إليه وظلت تدعسه بقدميها مرة تلو الأخرى وتقفز فوقه وهي تصرخ بجنون، حتى تحطم تمامًا ولم يتبق منه إلا بعض القطع المعدنية والزجاجية الصغيرة المتناثرة حولها، نهضت من مكانها بعدما جُرحت قدميها بخدوش خفيفة، وسارت بخفوت نحو فراشها بعدما هدأت حدة بكائها، وازداد شعورها بأن الغرفة كلها تدور من حولها، وقبل أن تصل خيّم على الغرفة صمت مَهيب إلا من صوت ارتطامها بالأرض.

انتظر إسلام عدة دقائق، ولما لم يجد إجابة لأسئلته أرسل لها عدة علامات استفهام، وانتظر مرة أخرى، ظل ما يقرب من النصف ساعة في وضع الانتظار حتى ملّ، فقرر الاتصال بها هاتفيًا لعل كلماته ونبرات صوته تُهَدئ من انفعالها، وبالفعل قام بالاتصال بها فوجد سيدة تخبره بروتينية بأن الهاتف الذي يحاول الاتصال به ربما يكون مغلقًا أو غير متاح حاليًا، كرر الاتصال مرة تلو الأخرى وظل جواب تلك السيدة كما هو، فزفر بقوة وألقى هاتفه على المنضدة بعدما شعر بالخوف وتأنيب الضمير، هل يكون حدث لها مكروه؟ أم أنها فقط غضبت فامتنعت عنه؟

أخذ يدعو اللّه أن يحفظها من كل سوء، وأن يُبرّد نار قلبها ويجعلها تصدقه في كل ما قاله، لأنه حقًا لم يتمنَ لها يومًا أي أذى.

ترك كل شيء وقفز على فراشه، تدثر بغطائه الخفيف واستلقى على ظهره واضعًا كفيه خلف رأسه وبدأ يفكر في الخطوة القادمة، هل يتحدث معها مرة أخرى بعدما تهدأ ويحاول شرح وجهة نظره بوضوح، أم يضغط على قلبه ويتركها للّه حتى لو ظنت به ما ظنت، ظلت الأفكار تتلاطم في رأسه كالأمواج حتى شحب وجهه وشعر بالإرهاق، وبدون وعي منه ذهب في سُبات عميق!



مرت الليالي ثقيلة على نفسه، رغم برودتها إلا أنها لم تخفف من حدة النيران التي اشتعلت في صدره، فكل ليلة تمر عليه تكُن أصعب من سالفتها، يجد نفسه يوميًا وبشكل أوتوماتيكي يفتح حاسبه الشخصي ويرسل إليها بعشرات الرسائل علها تبعث له ولو حتى كلمة واحدة تطمئنه عليها، هاتفها ما زال مغلقًا منذ آخر مرة حادثها فيها، وحسابها الشخصي على موقع الفيس بوك اتخذته العناكب سكنًا لها، أهمه التفكير وأعياه إيجاد حل لتلك الأزمة، تهمس له دواخله كثيرًا بأنها قد تكون ماتت أو أصابها أي مكروه، ولكن عقله يرفض الفكرة، يرفض أن يكون سببًا في أذاها، يرفض أن يُعاقبها لأنها فقط أحبته! كاد أن يُجَن، فلو فقط اطمأن أنها بخير، حتى ولو لم يحدثها، لكانت هدأت النار المتأججة في صدره وذهب تأنيب ضميره ذاك بلا رجعة.

طال انتظاره، طال كثيرًا حتى أن الفصل الدراسي الثاني كان قد شارف على الانتهاء، مر سريعًا على الجميع عداه، ففؤاده ما زال يكتوي بجمرات ألم وشوق إلى حبيبة سابقة لا يعلم عنها شيئًا، ذات مساء بينما هو يُقلّب في كتبه استعدادًا لبدء المذاكرة سمع رنين هاتفه، فنظر في

شاشته بعدم اهتمام وإذا بعينيه تتسعان بشدة، شعر بنبضاته كما لو أنه يسمع عزفها بالقرب من مسامعه، في أقل من ثانية كان قد ضغط على زر استقبال المكالمة مناديًا باسمها، أجابته المتصلة قائلة بجدية:

- إسلام معايا؟

أومأ برأسه إيجابًا وكأنها تراه، أعادت السؤال مرة أخرى فانكمشت ملامح وجهه استغرابًا. من هذه؟ وما ذاك الصوت الرخيم؟ أتكون المتصلة هي أم سارة أو أختها الكبرى؟ أيكون حدث لها مكروه كما حدّثه قلبه طوال الأيام الماضية؟ هز رأسه برفض تام لتلك الفكرة اللعينة متمتمًا بداخله: إن شاء الله لا، فهي حتمًا بخير. رفعت المتصلة صوتها للمرة الثالثة بنفاد صبر، فأجاب على الفور بعدما عاد من شروده:

- أيوة إسلام معاكِ

- أهلاً يا إسلام، أنا ندى، أخت سارة الكبيرة.

ما هذا؟ ألن توبخه؟ ألن تهدده لتجعله يندم على كل مرة حدّث أختها فيها؟! فاتصالها به الآن يؤكد بأنها علمت بكل شيء عن علاقته بشقيقتها الصغرى، أخرجته من شروده مرة أخرى بكلماتها التي تحمل في طياتها الجدية والرجاء:

- عاوزة أتكلم معاك شوية وبعد إذنك تسمعني بدون مقاطعة.

- اتفضلي!

قالها وبدأت ترتفع أصوات نبضات قلبه. استنشقت ندى نسمات خفيفة من الهواء وبدأت حديثها قائلة:

- من حوالي شهرين ونص دخلنا على سارة الأوضة ولقيناها مغمى عليها، طبعًا جرينا بيها على المستشفى والحمد للّٰه الإصابات البدنية كانت طفيفة، المشكلة أنها أول ما فاقت

كانت بتعيط بهيستيريا والدكتور اللي بيعالجها قال إنها لازم تروح لدكتور نفسي، وقد كان!

صمتت قليلًا لالتقاط أنفاسها بينما جيوش من الانفعالات المتداخلة بداخل قلب إسلام حثتها على الاستطراد:

- الدكتور النفسي قال إنها محتاجة كورس علاج مكثف ولازم تتحجز في المستشفى، حاولنا ساعتها نعرف السبب فطبعًا مكنتش بتتكلم، فكرت أفتح أكونت الفيس بتاعها وفهمت بعدها كل حاجة.

- طيب هي كويسة؟

قاطعها إسلام بخوف. بينما أجابت هي بلا مبالاة:

- كويسة، متقلقش!

ثم استطردت:

- اللي أنت متعرفوش يا إسلام إن سارة بنوتة قمة في الرقة، طيبة جدًا وبيتضحك عليها بسرعة، يعني أنت مش أول واحد يضحك عليها.

- بس أنا...

قاطعته قائلة باقتضاب:

- أنا حقيقي ميهمنيش إذا كنت صادق في الكلام اللي قولتهولها ولا لأ، أنا كل اللي يهمني دلوقتي إنك تبعد عن سارة تمامًا ومتحاولش تتواصل معاها بأي شكل من الأشكال، هي خلاص كلها فترة بسيطة وترجع تمارس حياتها الطبيعية بعد ما تكون نفسيتها اتحسنت وثقتها في نفسها رجعت لها تاني.

- أنا فعلًا قررت متكلمش معاها تاني لحد ما آجي أتقدم لها، كل اللي كنت عاوزه بس إني أتطمن إنها بخير .

- تتقدم لمين؟

أطلت الدهشة من عينيه بعدما شعر بالعصبية الواضحة المُصاحبة لنبرة صوتها، فأجاب بشيء من التوتر:

- أتقدم لسارة، أختك!

- إسلام، واضح إنك لسه مراهق وعايش في شوية أحلام وردية، وواضح بردو إنك مش مدرك إنك بتتكلم عن بنت نادر زيدان كبير رجال الأعمال في البلد، يعني بتتكلم عن واحد مستحيل يجوز بنته لشاب في مستواك!

شعر بأنها أطاحت برجولته أرضًا، فبدأت الدماء تغلي في وجهه، وبدأت كرامته المهانة تستغيث طالبة الثأر، أجابها محاولًا السيطرة على انفعالاته:

- لأ يا فندم أنا عارف أنا بتكلم عن بنت مين، وكل التفاصيل دي اتفقت عليها مع سارة، وهي مستعدة تتحملني شوية في أول الجواز لحد ما مستوايا يتحسن بإذن الله، وأعتقد دي حياتنا واحنا بس اللي من حقنا نظبطها بالطريقة اللي تعجبنا.

اخترقت زفرتها القوية أذنه فشعر بالضيق، بينما ألقت هي بكلماتها الأخيرة:

- بُص يا إسلام، هقولك آخر كلام عندي لأني مش فاضية للحوار ده، جواز من سارة مفيش، تمام؟ روح أنت بقى شوف حالك وكافح واعمل اللي يعجبك بعيد عننا، ويا ريت بالذوق كده متتواصلش مع سارة تاني، علشان لو ده حصل هيكون فيه

رد فعل من بابا مش هيعجبك، وطبعًا أنا مش قصدي أجرح مشاعرك، بس أنتوا الاتنين لازم تفوقوا، فكر في كلامي كويس وأنت هتعرف إنه صح، بعد إذنك.

ألقت ما في جعبتها وأغلقت المكالمة، شعر إسلام بأن هناك نارًا مُتلظية في أحشائه، فحقًا المصائب لا تأتي فُرادى، ألقى بجسده بإنهاك على فراشه، استوى جالسًا مُطرقًا برأسه التي أمسكها بكلتا يديه بعدما أغمض عينيه حتى كاد أن يعتصرهما، أخذ يضغط على رأسه بقوة محاولًا إيقاف سيل الأفكار التي عصفت بها فجأة، مرت برأسه ومضات مشاهد سريعة كمشهد موت والده، موت محمد، أول أيام معرفته بسارة، حياة الطيش والاستهتار التي كان يعيشها وينعم فيها براحة البال، وأخيرًا محادثته الأخيرة مع سارة والتي كان لا ينوى بها إلا كل خير، ولكنه حصد ثمار علاقته الخاطئة ووجد أن كل شيء خطط إليه انقلب رأسًا على عقب!

عاد بظهره إلى الوراء حتى التصق بالفراش، سحب الغطاء وتدثر به مقررًا الهروب بالنوم ككل مرة، شيء ما بداخله أخبره بألا يفعل، إلى متى سيهرب من واقعه بتلك الطريقة؟ إلى متى سيظل ضعيفًا غير قادرٍ على مواجهة أزماته! وجد نفسه ينهض من مكانه ويلقي بالغطاء بعيدًا ويستوي جالسًا من جديد، بدأ يُعيد ترتيب أفكاره محاولًا البدء بحل مشكلة تلو الأخرى، في تلك اللحظة بالتحديد قفزت إلى رأسه الجملة التي قالها محمد عقب الندوة الدينية الأخيرة التي حضراها سويًا:

«حبيت فكرة إن زوجتي تبقى أول حب في حياتي، علشان كده بإذن الله هفضل محافظ على قلبي لحد ما أقابلها، لأن المشاعر وقتها هتكون طازة ومش مستهلكة، مش حابب أنا إني أتعرف على دي ودي وفي الآخر

أروح أتجوز واحدة تانية خالص، خليني كده بعفتي علشان أرضي ربنا، وأنا متأكد إنه هيرزقني بواحدة عفيفة زيي»

وقرر أن البداية سوف تكون من هنا، من مبدأ العفة، فيكفيه ما حدث سابقًا، ومن اليوم سوف يبدأ حياة جديدة، سوف يحافظ على عفة قلبه حتى يرزقه الله بالحلال سواء كانت سارة هي زوجته المستقبلية أو غيرها، لا يهم، فالمهم أن يفعل ما يُرضي الله وفقط، لا ينكر أن كلمات أخت سارة أشعرته بالغضب والخوف معًا، ولا ينكر أنه إلى الآن لا يعلم ماذا يجب أن يفعل مع ذاك الثري الذي لا يريد تزويج ابنته بشخص مثله، ولا ينكر أيضًا أنه يشعر بحب سارة يطغى على قلبه ولا يريد زوجة سواها، ولكن مع ذلك قرر أن يتركها لله بعدما تذكر أن «من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه»، نعم سيترك تدبير الأمر كله لله وينشغل هو بما في مقدوره أن يفعله من دراسة وعمل، وليكن بعدها ما يكن.

شعر بأن بعض نسمات الهواء الخفيفة تسللت من أسفل النافذة وأتت لتداعب وجهه وكأنها تخبره بأنه أصاب، تُشجعه أن يستمر فيما بدأه، تحثه على الصمود وعدم التنازل عن قراره، تهتف به بأن من أخطأ فعليه أن يتوب ثم يصبر قليلًا ويتحمل نتيجة أخطائه حتى يتماثل قلبه للشفاء، قرر أن يُنصت باهتمام لكلمات تلك النسمات ويتتبع نصائحها، سيحاول جاهدًا من اليوم أن يفعل ما يرضي ربه، وألا يُوقِع نفسه في بحر ذنوب لا أول له ولا آخر، من اليوم فقط سيكون إسلام اسمًا على مسمى!



انتهت امتحانات نهاية العام واستعد كلٌّ لاستثمار إجازته، أراد إسلام أن يعرف أكثر عن دينه، فطلب من فاروق أن يصحبه معه لدروس دينية لرجال ثِقات يتشرب منهم العلم، وطلب منه أيضًا أن يُرشح له بعض

الكتب الدينية بسيطة الأسلوب كبداية له، ومع مرور شهور الإجازة واقتراب بداية السنة الدراسية الجديدة، كان قلب إسلام قد تغير كثيرًا، فقد أصبح يعرف أكثر عن دينه ويحفظ ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم، كان قد تعلم، درس، أدرك، وحفظ عدة أحاديث من أحاديث نبيه الكريم، لم يقف عند هذا الحد، بل أيضًا بدأ ببعض السنن البسيطة كالتبسم في وجه كل من يراه، وصلاة الضحى، وأيضًا صيام يومي الاثنين والخميس.

كان يشعر بالسعادة تغمر قلبه، تلك السعادة والراحة التي تمناها لليال طوال، ها هو الآن يشعر بها ويرى أثرها كلما نظر في المرآة، ها هو الآن يحصد ثمرة توبته وقربه من ربه، مرت عدة أشهر على محادثته الأخيرة لسارة، شيء ما بداخله أخبره كثيرًا أن يحدثها ويطمئن عليها، شيء ما ألح عليه أن يفعل ليثبت لها حبه، ورغم ألمه، ورغم شوقه إليها، إلا أنه رفع رايته بتلك الجملة التي حفرها بداخل رأسه «رضا الله أهم من أي شيء»، وكانت نتيجة ذلك أنه لاحظ الفرق بين ذنوبه السابقة وذنوبه الحالية، لاحظ انتصاره على عدة معاصي كان يفعلها سابقًا واستبدالها ببعض مصادر الحسنات، لاحظ اختفاء تلك المطارق القوية التي كانت تدق فوق قلبه من آن لآخر لتأنبه على ما يفعله، الآن فقط استطاع أن يعيش تلك الحياة التي تمناها له صديقه محمد.

أما عن سلمى، تلك الفتاة ذات الوجه البريء النقي، فقد كانت هي الأخرى على أتم استعداد لبداية عامها الجديد بذلك القرار الذي لطالما حاولت تأجيله، حتى منّ الله عليها بالهداية والقوة، فاستطاعت بفضل الله أن تنتصر على شيطانها، وقررت أن تُفاجئ صديقتيها به في أول يوم لها في الدراسة، رغم علمها برأيهما، إلا أنها لم تعد تهتم بكلام البشر، فالمرء منا لن يتقدم خطوة واحدة إذا تأثرت تصرفاته بكلمات من حوله.

وفي صباح أول يوم في العام الدراسي الثالث في تلك الجامعة بالنسبة لها ولصديقتيها، جلست فاطمة مع هند بجوار الشجرة المقابلة لمبنى كلية التربية بانتظار حضورها، ظلت كل منهما تراقب المارة في صمت حتى قطعته هند وهي تشير إلى إحدى الفتيات وتقول ضاحكة:

- بصي البنت اللي هناك دي شبه سلمى أوي، وكمان نفس مشيتها!

نظرت لها فاطمة لوهلة ثم أشاحت بوجهها وقالت بتأكيد:

- لأ يا بنتي مش زيها خالص!

بدأت الفتاة تقترب منهما أكثر وأكثر، وبدأت نظرات الانتصار تطل من عيني هند لأن الفتاة بالفعل تشبه سلمى كثيرًا، أما فاطمة فأخذت عيناها تتسع بتعجب شديد وهي ترقب تلك الآتية من بعيد.

نعم إنها هي، لا تشبهها فقط ولكنها تطابقها تمامًا! أيعقل أن تكون فعلتها، وبدون أن تخبرهما! وقفت الفتاة أمامهما وابتسمت ابتسامتها الرقيقة وقالت بخجل:

- احم احم، يا أهلاً بالحلوين.

صرخت فاطمة في وجهها، وقالت بصوت تُغلّفه الدهشة والاستياء:

- إيه اللي أنتِ عملتيه في نفسك ده يا سلمى!

ضاقت عيناها وانكمشت ملامح وجهها، نظرت إليها وهي ترفع كتفيها بعدم فهم وقالت:

- عملت إيه؟

- إيه اللي أنتِ لبستيه ده! مكبرك أوي ومخليكِ عاملة زي الست العجوزة، وكمان واسع جدًا ومبهدل عليكِ!

جلست سلمى بجوارهما وابتسمت لفاطمة بثقة وقالت:

- بالعكس يا فاطمة، الخمار شكله حلو جدًا والحمد لله مريحني، وإذا كان على الوسع يا ستي فهو ده المطلوب أصلاً في الحجاب.

ثم التفتت إلى هند وسألتها عن رأيها، وعلى غير المتوقع أجابت هند:

- حبيته!

اتسعت عينا سلمى فرحة وقالت:

- بجد!

أومأت هند برأسها إيجابًا وقالت بحماس:

- حقيقي شكله لطيف عليكِ، ألف مبروك.

- شوفتي أهي دي الناس ولا بلاش، مش أنتِ!

قالتها سلمى موجهة حديثها لفاطمة، فسرى الغضب في خلايا الأخيرة وظهر ذلك جليًا على وجهها وزفرت قائلة:

- مبقيتش عاجباكِ دلوقتي يا ست سلمى؟ هتعملي فيها متدينة علينا يعني!

نهضت سلمى من مكانها ووقفت قبالة فاطمة وهمست بحنان:

- على فكرة كنت بهزر ومش قصدي حاجة، وعمومًا يا ستي قولي اللي يعجبك، أنا خلاص تقريبًا أخدت مناعة من كتر الانتقادات ومبقيتش بحس.

ثم التفتت بعينيها إلى هند وسألت:

- عرفتوا المحاضرة الأولى هتكون فين؟

أجابت هند بالإيجاب، ونهضت كل منهن وسارت باتجاه المدرج الذي ستقام به المحاضرة.

وفي الجهة المقابلة، وأمام مبنى كلية الهندسة، وقف إسلام يبحث في المارة عن فاروق، فلقد اشتاق إليه كثيرًا لأنه لم يلتق به منذ أكثر من عشرة أيام، لاحظ شادي -الذي كان يمر بجواره- عينيه التائهتين فاقترب منه وحياه باسمًا، رد إسلام التحية بحماس وسأله عما إذا كان رأى فاروق هنا أو هناك، فأخبره شادي بأن فاروق كان هنا قبل عدة دقائق وبالتأكيد صعد للأعلى ليرى جدول المحاضرات الخاص به، وعلى الفور صعد إسلام الدرج وذهب باتجاه اللافتة التي يتم لصق جداول المحاضرات عليها، وبالفعل وجد فاروق يقف أمامها ممسكًا بهاتفه، حسنًا، يبدو أنه يقوم بتصوير الجدول بدلًا من نقله باستخدام القلم والورقة كما كان يفعل الطلاب قديمًا، اقترب إسلام من فاروق ورفع صوته وهو يقول ضاحكًا:

- كل ده عمال تصور فيه! أُمال لو كان جدول الامتحانات كنت عملت إيه!

التفت فاروق باتجاه مصدر الصوت، ولما رأى إسلام اتسعت ابتسامته واقترب منه مُحتضنًا إياه، ثم حرك وجهه بيأس مصطنع وقال:

- شكلك عمرك ما هتبطل اللماضة بتاعتك دي يا إسلام.
- سيب اللماضة في حالها دلوقتي وقولي فاضي ولا لأ علشان عاوزك في موضوع.
- فاضي يا سيدي، اتفضل!

سارا سويًا باتجاه أحد المقاعد، وفور جلوسهما بدأ إسلام حديثه قائلًا:

- بما إن دي آخر سنة لينا في الكلية، وبما إننا كده كده بنتعب جامد وبتطلع عينيا، فعاوزك تقولي ازاي ممكن آخد ثواب طول السنة على تعبي ده لو ينفع!

- الموضوع كله متوقف على نيتك.

قالها ببساطة، ولمّا لم يفهم إسلام ما يقصده استطرد:

- يعني ممكن تتعب طول السنة وما تستفيدش حاجة غير إنك عديت سنة، وممكن بردو تعدد النوايا زي إنك عاوز تبقى مهندس ناجح نافع لبلدك ولأمتك، وإنك نفسك تتفوق علشان بعد كده تكون فاهم وتشتغل بضمير وما تتسببش في أي أذى للناس اللي هتعملّهم الشغل، وممكن بردو علشان تفرح والدتك وتخليها تفتخر بيك، وممكن كذا حاجة تانية، حاول تفكر في الموضوع وتجدد نيتك كل شوية علشان بإذن اللّه تاخد حسنات على الوقت اللي بتقضيه هنا، وكل ما النوايا تزيد وتكون صادقة أكثر بإذن اللّه ثوابك يكون أزيد.

ردد إسلام كلمات فاروق الأخيرة بداخله، وشعر بصداها يتردد داخل عقله، وعلى الفور قرر أن يستثمر وجوده في سنته الأخيرة بالجامعة، فيكفي ما ضاع سابقًا، الآن وفقط أدرك أنه يستطيع الحصول على الثواب من أي شيء يفعله في هذه الحياة، فقط لو جدد نيته وجعلها خالصة لربه.



بدأت ولاء -الأخت الصغرى لسلمى- في ترتيب موادها الدراسية حسب سهولتها وصعوبتها، وقامت بإعداد جدول لتنظيم عملية المذاكرة وتحديد عدد ساعات معينة لكل مادة كي لا تهتم بواحدة على حساب الأخرى، وذلك لأنها قررت أن تجتهد بقدر استطاعتها في تلك السنة التي تدعى ثانوية عامة، كي تحقق ما تمنته وتمناه والدها طيلة السنوات الماضية.

بينما شعرت سلمى بحب كلية التربية يتسلل إلى قلبها، وذلك حينما فكرت في الأمر ووجدت أن وظيفة المعلم لها أهمية كبيرة في المجتمع، فمعلم الأطفال الصغار بالتحديد قادر على غرس العديد من القيم والمبادئ النبيلة في نفوس طلابه، كما أن باستطاعته - ببساطة شديدة- أن يجعل هؤلاء الصغار يحبون مادته الدراسية ويحبونه هو شخصيًا، ومن الممكن أن يتذكره أيًا منهم فيما بعد ويظل يدعو له ما دام حيًا، لذلك قررت تلك الفتاة ذات الأصل الطيب أن تكون هي المعلمة التي يتمناها كل طالب، أرادت أن تكون من عُمّار الأرض، أرادت أن تسمو بمستوى التعليم في بلدها، قررت ألا تستسلم وتسير كما سار رفقائها السابقين، لا بل ستغير مسارها وتحاول -حتى ولو كانت وحيدة- أن تفعل ما تمنته دائمًا أن يكون!

مر العام الدراسي سريعًا على الجميع عدا الصغيرة ولاء، والتي كانت تنتظر ثمرة جهدها طوال العام، وذات يوم بينما سلمى تجلس على الحاسوب الخاص بها وجدت إعلان يُنبّئها بظهور نتيجة الثانوية العامة بعد طول انتظار، فتسارعت نبضاتها كما لو كانت نتيجتها هي، وصاحت بأعلى صوتها باسم ولاء التي جاءت مهرولة وقد أدركت من نبرة صوت أختها أن اللحظة المنتظرة قد حانت، اقتربت من سلمى وقد بدأ خافقها يضخ بقوة الخوف والتوتر، ونظرت لها وهي تومئ برأسها بهدوء وتضيق ما بين عينيها وكأنها تسألها عن حقيقة ما تشعر به، فابتسمت سلمى بحنان وقالت:

- أيوة النتيجة ظهرت الحمد لله، لحظة واحدة أنادي ماما ونيجي نشوفها سوا.

وسرعان ما اختفت من الغرفة وذهبت تبحث عن والدتها، لم تستطع ولاء الانتظار أكثر من ذلك وجلست على الكرسي المقابل للحاسوب وحاولت أن تحصل على نتيجتها بنفسها، ولكن ارتعاش كفيها حال بينها وبين رغبتها، وعلى الفور حضرت سلمى مسرعة تتبعها والدتها، ووقفت أمام الحاسوب وكتبت الرقم القومي الذي تحفظه جيدًا، لحظات قليلة مرت ولكنها كانت ثقيلة باردة على الجميع، مما جعل ولاء بالتحديد تفكر في كل احتمال ممكن عدا حصولها على الدرجة التي تتمناها، ولكنها سرعان ما سمعت صيحة أختها وهي تقول بفرح شديد:

- ٩٧٪، ٩٧٪ يا ولاااء، ألف ألف مبرووووك يا حبيبتي.

وسرعان ما أمسكت الأم بالصغيرة وجذبتها إلى حضنها وضمتها بقوة، كل ذلك وولاء لا تشعر بأي شيء، انتظرت حتى أفلتتها والدتها واقتربت من الحاسوب وكأنها لا تصدق ما سمعته وبدأت تنظر إلى درجات كل مادة حتى وصلت إلى مجموعها النهائي، وهنا فقط ارتسمت ابتسامة عذبة على شفتيها وتمتمت بعبارات الحمد، أرادت أن تُخبر والدها لكي تكتمل فرحتها فنهضت على الفور وأمسكت بهاتفها وقامت بالاتصال به، ولكن يبدو أن هاتفه مغلق أو قد نفد شحنه، بعد عدة دقائق لم تتعدَ النصف ساعة سمعت طرقات على باب المنزل، قامت بفتحه مسرعة وما أن رأت والدها وقبل أن ينطق هو بأي شيء قالت بفخر شديد:

- هندسة يا حاج بإذن الله

فابتسم والدها ابتسامة خفيفة وهو يربت على كتفها، ثم نظر لسلمى نظرة ذات معنى، وعاد إلى ولاء ليقول بتباهي:

- كنت متأكد إنك هتشرفيني قدام الناس يا ولاء ومش هتعملي زي أختك!

أهي المرة الألف أم العشرة آلاف أم أكثر من ذلك؟ أصبحت لا تستطيع عَد المرات التي يُوبخها فيها والدها لأنها وضعت رأسه بالتراب بسبب التحاقها بكلية التربية بدلًا من الطب كما كان يتمنى، ثلاث سنوات مرت، ثلاث سنوات وفي كل فرصة يُفتح فيها هذا الموضوع يجرحها والدها بكلمة أو بأخرى، حتى ظنت أنه أصبح يكرهها بسبب تلك الفضيحة التي سببتها له بعد التحاقها بتلك الكلية، ابتسمت سلمى وحاولت إخفاء تلك الأعاصير التي تدور بداخلها، ولكن ابتسامتها خرجت منكسرة وهي تقول:

- أنا آسفة يا بابا إني كسفتك قدام الناس، بس تربية مش سيئة زي ما حضرتك متخيل، وكمان مش شرط تكون ولاء أفضل مني علشان هتدخل هندسة بإذن اللّٰه.
- لأ أفضل يا سلمى، أفضل لأنها تعبت وذاكرت وحققت لأبوها اللي كان بيتمناه، وغيرها كان بيتدلع ومش بيذاكر إلا كل فين وفين.
- ماشي يا بابا يمكن هي أفضل مني في النقطة دي، بس ممكن أنا كمان أتميز في مجالي وفي حياتي وأكون إنسانة ناجحة حتى لو مجبتش مجموع كبير في الثانوية العامة.
- اللي عايز ينجح كان نجح من زمان يا سلمى، وكل واحد وقت الجد بيبان إذا كان ناجح ولا فاشل.

- يا بابا بس...

وهنا لم يستطع والدها الاحتفاظ بهدوئه أكثر من ذلك، نظر لها بحدة وقاطعها قائلًا بحزم:

- سلمى الموضوع منتهي، روحي يلا افرحي مع أختك بدل ما تحس إنك بتغيري منها.
- متقلقش يا بابا، ولاء عمرها ما هتحس بكده لأنها عارفة إني كنت أكثر واحدة بتشجعها وبتقف جنبها لما بتتعب أو بيجيلها الاكتئاب بتاع الثانوية العامة، بعد إذن حضرتك.

قالتها وسارت وهي تجر خلفها أذيال الخيبة، كم مرة حاولت أن توضح له وجهة نظرها، كم مرة أرادت أن تخبره أنها من الممكن أن تنجح في أي شيء آخر، وأن الموضوع ليس له علاقة بمجموعها في الثانوية العامة، كم مرة ذكرته بأن الأفضلية تكون للشخص التقي القريب من ربه وليس لصاحب المجموع المرتفع في تلك المدعوة بالثانوية العامة، ولكن والدها أبى أن يفكر في كلماتها، أبى أن يمررها بداخل عقله حتى لا يتأكد من صحتها وينهزم أمامها، ظل طوال ثلاث سنوات محتفظًا برأيه في سلمى بأنها غير ناجحة على الإطلاق، وأن ولاء المجتهدة دراسيًا حتمًا هي الأفضل منها.

وصلت سلمى إلى غرفتها وتركت العنان لدموع عينيها بأن تهطل كأمطار غزيرة بعدما حاربتها كثيرًا لتحبسها داخل مقلتيها حتى لا تفضحها أمام والدها، وأظهرت ثباتها رغم ما يعتصر قلبها من ألم، دقائق قليلة مرت قبل أن تطرق ولاء باب الغرفة وتفتحه بهدوء، وجدتها سلمى تنظر إليها بإشفاق وتهمس بحزن:

- معلش يا سلمى أنت عارفة إن بابا بيحبك ومش قصده حاجة، وحقيقي أنا آسفة إَني كنت سبب في كل اللي حصل ده.

بدأت سلمى تكفكف دموعها، ونظرت لولاء بابتسامة باهتة وكأنها تحدثها أن لا عليكِ، فذلك حتمًا كان لا بد أن يحدث، اقتربت منها الصغيرة وربتت علَى كتفها بحنان بعدما جلست إلى جوارها، فأحاطتها سلمى بذراعها الأيمن وقالت بهدوء:

- متشغليش بالك يا ولاء، المهم دلوقتي عاوزين نفكر في الخطوة الجاية.



-٥-

مرت عدة أشهر بعد تخرج كل من إسلام وفاروق، حاول خلالهم الشابان البحث عن أي وظيفة مناسبة ولكن يبدو أنهما وجدا الأمر أصعب مما كانا يتوقعان، بدأ إسلام يبحث على الإنترنت ويتصل بأقاربه ومعارفه ويسألهم عن أي وظيفة سمعوا عنها تليق به، بينما ظل فاروق يتجول بين الشركات والمصانع نهارًا لحضور المقابلات الشخصية، والجلوس ليلًا على الإنترنت للبحث عن شركات جديدة تطلب مهندسين حديثي التخرج والاتصال بهم لتحديد موعد المقابلة الشخصية، استمر الحال به هكذا قرابة الخمسة أشهر حتى شعر بالإحباط الشديد، شعر أن أحلامه تنهار أمام عينيه، شعر أنه لن يصل للفتاة التي ظل يحلم بها لسنوات طوال بسبب تلك الوظيفة غير الموجودة، ففي كل مقابلة شخصية كان يجد عشرات الشباب مثله ينتظرون دورهم في المقابلة رغم أن الشركة لا تحتاج إلا إلى مهندس واحد فقط أو اثنين لا أكثر.

بدأ يلجأ إلى الله، نعم فاللجوء إلى الله هو الحل، بدأ يطلب من ربه العون، بدأ يحدث ربه بما في قلبه من أحلام وأحزان، بدأ يخرج كل ما يعتمل بداخله من أماني على سجادته الصغيرة ويطلب من ربه أن يرزقه بالأموال التي يتقدم بها لتلك الفتاة التي حافظ عليها لسنوات، وأن يزوجها إياه بالحلال لكي يسكن إليها ويعبر لها عن حبه ويقص عليها صبره ومجاهدته طوال السنوات الماضية.

وبالفعل بعد أيام قلائل وجد إحدى الشركات تتصل به لتخبره بأنه تم قبوله في الوظيفة التي تقدم إليها قبل عدة أيام، وتطلب منه الحضور في الغد لإتمام الإجراءات اللازمة والشروع في العمل، كاد أن يقفز من مكانه فور سماعه هذا الخبر، كاد أن يرقص قلبه فرحًا بعدما شعر أن نصف المشكلة قد حُلَّ، وأن المتبقي فقط هو الذهاب لمنزل تلك التي تمناها دائمًا وطلبها زوجة له، انتظر انتهاء أول يوم في عمله بفارغ الصبر وأسرع إلى منزله لكي يخبر والدته بالأمر، فحقًا أصبح لا يستطيع الصبر أكثر من ذلك.

دخل منزله على عجل وتوجه إلى المطبخ حيث توجد والدته وأخبرها على الفور برغبته في الزواج، ضحكت الأم بملء فيها حيث ظنت أنه يمزح وقالت بلا مبالاة بأنها سوف تبحث له عن عروس، وعندما علمت منه أن العروس موجودة بالفعل ارتفعت أصوات ضحكاتها أكثر وهي تقول مشاكسة إياه:

- يا خويا طب ما أنت بتعرف بنات أهو، عاملّي فيها شيخ ليه بقى!
- بقى أنتِ اللي بتقولي كده يا حجة! هو أنتِ متعرفيش ابنك متربي ازاي ولا إيه! عمومًا دي بنت أخلاقها كويسة جدًا وأنا حابب إنها تكون زوجتي المستقبلية بإذن الله، ممكن بقى تقفي معايا ونفاتح بابا في الموضوع أول ما ييجي؟ لأني بصراحة مستعجل جدًا!

نظرت له والدته بحب وعلى شفتيها ابتسامة فرحة، وبدأت الدموع تتجمع في عينيها البنيتين، نعم فقد كبر الصغير الذي كان يجري هنا وهناك ويصرخ في كل مكان، كبر وأراد أن يتزوج وينجب لها حفدة صغار تتسلى بهم ويملئون حياتها بأصواتهم وضجيجهم، سألته والدته من تكون

تلك الفتاة، وعندما أخبرها باسمها قالت بأنها لا تعرفها جيدًا، ولكنها حتمًا ذات خلق وإلا لم يكن ليختارها فاروق، وعدته بأنهم سيذهبون إلى منزلها في أقرب وقت إن شاء الرحمن.



ذات مساء بينما سلمى جالسة على فراشها ومُتدثّرة بغطائها السماوي الخفيف، وممسكة بيدها إحدى الروايات تقرأ فيها، إذ تدخل عليها ولاء وهي تتمايل يمنة ويسرة من فرط ضحكاتها، مما قذف الفضول إلى عقل سلمى وجعلها تترك ما بيدها وتسأل ولاء عن السبب، يبدو أنها لم تسمع السؤال، هكذا ظنت سلمى، مما جعلها تعيده مرة أخرى، وإذا بولاء تنظر إليها ساخرة وتستمر في الضحك من جديد، نهضت سلمى من مكانها ووقفت أمام ولاء ووضعت يدها على فمها لتقطع واصلة الضحك التي ظنت أنها ستستمر للغد، ثم أفلتت يدها وسألت بجدية أكبر من المرة السابقة، فأجابت ولاء ممسكة ضحكاتها بصعوبة:

- أبوكِ جايبلك عريس، ومُصِّر إنك تقابليه!
- عريس ازاي يعني! هو احنا مش متفقين إن مفيش كلام في الموضوع ده غير بعد التخرج؟!

قالتها سلمى بضيق وقد بدت علامات التوتر على وجهها، ولما لم ترد ولاء استطردت:

- أنتوا عارفين كويس أوي إني لسه مش مستعدة للخطوة دي دلوقتي، أنا محتاجة إني أقرب من ربنا أكثر من كده وأعرف عن ديني كويس، علشان أكون بإذن الله زوجة وأم صالحة، وكمان محتاجة أقرأ عن التعامل مع الرجال وتربية الأطفال وحاجات كتير، الجواز ده مسئولية مش لعبة يا جماعة!

- يا ستي وأنا مالي، ما تروحي تقولي الكلام ده لبابا!

قالتها ولاء بلا مبالاة، فسألتها سلمى عن كونه في حالة مزاجية جيدة أم تؤجل الحوار لوقت آخر، وقبل أن تجيب الصغيرة سمعا معًا طرقات والدهما على الباب، أتبعها بدخوله بابتسامته الخفيفة، طلب الأب من ولاء البقاء خارج الغرفة واقترب من سلمى وجلس بجوارها، وأخبرها أن هناك من يريد التقدم لخطبتها، فأجابت سلمى وهي تحاول انتقاء كلماتها حتى لا تُغضِب والدها:

- مش احنا متفقين يا بابا إن مفيش جواز إلا بعد ما أتخرج بإذن اللّه.

- وأنا عند كلمتي، لو حصل نصيب يبقى نعمل خطوبة دلوقتي، والفرح بعد ما تخلصي كليتك إن شاء اللّه.

- بس أنا مش عايزة يا بابا!

اختفت الابتسامة من على شفتي والدها، نظر لها بجدية وقال حازمًا:

- مفيش حاجة اسمها مش عايزة، الولد كويس وأنتِ مش صغيرة، شوفيه ولو موافقتيش خلاص محدش هيجوزك بالعافية.

أرادت سلمى ألا تُغضِب والدها، وتيقنت ألّا مفر من مقابلته، فسألته عن أخلاقه فأجابها بمنتهى الثقة: محترم وبيصلي، فزفرت بيأس، وسألت موضحة:

- يا بابا مش قصدي، أنا عاوزة أعرف يعني علاقته بربنا عاملة ازاي؟ مواظب على الصلاة في الجامع ولا لأ؟ بيتقن شغله وعنده ضمير وبيراعي ربنا في السر قبل العلن ولا لأ؟ علاقته بزميلاته في الشغل حدودها إيه؟ بيسمع أغاني وبيتفرج على أفلام ولا بيغض بصره؟ أهدافه في الحياة إيه؟ عارف

واجباته كزوج وعارف المفروض هيتعامل ازاي مع الأمانة اللي هيتجوزها ولا لأ؟ بره بمامته وباباه أخباره إيه؟ كده يعني!

انتظرها والدها على مضض حتى أنهت ثرثرتها، ثم علّق على كلماتها بتعجب:

- أنتِ عاوزاني أسأل على ده كله! ده كده هيمشي من قبل ما ييجي!
- يا بابا ما هو ده الطبيعي!
- لأ الولد محترم وكويس وأنا عارف والده، اقعدي معاه وبعدين ابقي اسأليه على اللي أنتِ عايزاه، وربنا يستر وما يطفشّ منك!

ألقى بكلماته الأخيرة الحاسمة وضرب بكفيه على ركبتيه مستعدًا للنهوض، كادت سلمى أن تطلب منه أن يؤجل الأمر لعدة أيام حتى تفكر أو تستعد، ولكنها وأدت طلبها قبل أن يتجاوز شفتيها حتى لا تثير سخطه، وتركته يغادر مقررة أن تتصرف هي في الأمر عن طريق تصنع الغباء أو البرود، السذاجة وربما الجنون، حتى يغادر ذاك العريس بلا رجعة.

مضى يومان قبل أن يخبرها والدها أن العريس سيأتي مع والده ووالدته في الغد، ظلت تفكر طوال الليل فيما يجب أن تفعله، كانت في حيرة ما بين أمرين، إما أن تجعله يكرهها بأي طريقة كانت، وفي تلك الحالة تكون قد وضعت والدها في موقف حَرِج أمام والد العريس الذي يقول أنه يعرفه جيدًا، وإما أن ترفضه -بعدً أن يأتي- بدون سبب مقنع، ولكنها شعرت أن هذا سيصبح ظلمًا كبيرًا له وربما لنفسها أيضًا، فبعض الأمور لا يجب استخدام العِناد فيها، حاولت التفكير بطريقة أخرى، حاولت التنازل عن قناعاتها الشخصية وسألت نفسها: ماذا لو كان هذا

الشخص هو من تحلم به منذ سنوات؟ ماذا لو أخذ بيديها إلى طريق الله كما تمنت؟ ماذا لو وجدت فيه كل ما كانت تحلم به في رفيق دربها ونصفها الثاني! أيعقل أن ترفضه لأنها لم تنهِ دراستها بعد، أيعقل أن تتنازل عن شابٍ صالح من أجل عدة شهور دراسة إضافية، أم تقبل به وترتب أمورها معه كماً ترى في صالحها وصالحه، نعم تلك الفكرة جيدة، هكذا رددت بداخل نفسها، حسنًا، ستقابله بطبيعتها، وبدون أي تصنع، وليكن بعدها ما يكن.

في اليوم التالي بعد صلاة العشاء مباشرة بدأت سلمى في الاستعداد لاستقبال العريس المُنتظر، ارتدت فستانًا أنيقًا أبيض اللون مُزدان بزهرات بنفسجية صغيرة من على الأطراف، وقامت بلف خمارها البنفسجي حول وجهها الحيي ليزداد نورًا، قررت ألا تضع نقطة واحدة من مساحيق التجميل الخدَّاعة، شعرت أن أقل حقوقه أن يراها على طبيعتها، وأن يوافق عليها كما هي، لا أن يرى واحدة ويكتشف بعد ذلك أنه تزوج بأخرى، تيقنت أنها لن تستطيع أن تخدعه طويلًا، وعاجلًا أو آجلًا سوف يكتشف حقيقتها ولن ينالها منه حينها سوى بعض الكلمات الجارحة التي تُفقدها ثقتها بنفسها، انتهت من تعديل هندامها أمام المرآة واستدارت لتجلس على فراشها لتعيد ترتيب أفكارها في رأسها.

دقائق قليلة مرت قبل أن تسمع طرقات على باب منزلهم، تصحبها طرقات أخرى عنيفة على باب قلبها، حاولت ألا تتوتر، حاولت أن تبدو هادئة، ولكن الأمر ليس بيدها، اقتربت من السِتار الذي يفصل الصالة عن بقية الغرف وفتحت منه فتحة صغيرة حاولت من خلالها اختلاس النظر لهؤلاء القادمين، فلمحت امرأة تتحرك بهدوء واضح وأمامها رجل احتل الشيب رأسه، وبجوارهما يقف شاب طويل القامة مفتول العضلات يرتدي ملابس أنيقة للغاية وله رائحة عطر جميلة أسعدتها، حاولت أن

تتحقق من ملامح وجهه ولكنه تحرك للأمام فلم تستطع أن ترى أي شيء، جلس كل من والدها ووالدتها مع الزائرين وأخذ كل منهم يتعرف على الآخر وعائلته ما يقرب من الربع ساعة، ثم نهض الأب لإحضار العروس، سارت سلمى خلف والدها بحياء بالغ وألقت التحية على الحاضرين، ثم أشار لها والدها أن تجلس في نهاية الصالة وطلب من العريس أن ينهض ليجلس أمامها، وانزوى الجميع في الجانب الآخر من الصالة كي يتركوا لهما حرية الحديث، فكانوا يرونهم بدقة ولكن لا يسمعون إلا بعض الكلمات فقط، بدأ العريس حديثه بإلقاء التحية على سلمى، ولما رفعت وجهها لتجيبه لمحت في وجهه مَسْحَة من وسامة فاتسعت ابتسامتها رغمًا عنها، وظهرت حُمرة الحياء على خديها فنظرت للأرض مرة أخرى، لاحظ العريس ارتباكها فبدأ يحدثها عن نفسه طويلًا، حدثها عن عمله وعن أصحابه، حدثها عن الأماكن التي يخرج إليها أسبوعيًا وعن نوعية المصايف التي يحب زيارتها سنويًا، حدثها أيضًا عن اهتمامه الشديد بهندامه وأناقته، وعن نظرة الناس له، شعرت سلمى من كلماته بأنه شاب عادي لا يميزه شيء عن معظم الشباب، شاب يعيش ليعمل ويخرج مع أصدقائه وينام وفقط، لم يذكر أي شيء عن علاقته بربه، لم يتحدث عن الجنة وعن أنه يتمنى أن يكون من أهلها، لم يتحدث عن أي شيء من اهتمامات سلمى، قررت أن تسأله عما يجول بخاطرها ولكن بقليل من الذكاء، فانتظرت حتى انتهى من كلامه وقالت مبتسمة:

- ما شاء اللّه حضرتك باين عليك مهتم بشغلك جدًا، وأكيد طبعًا لو اتشغلت شوية وفاتتك الصلوات بتروح تعوضها في البيت ومش بتخليها تروح منك، صح؟

ابتسم بحرج بعدما باغتته بذلك السؤال الذي لم يتوقعه وأجاب:

- آه... آه طبعًا!

شعرت بأنه رسب في أول اختبار وضعته له، حاولت ألا يبدو على وجهها أي تغيير وظلت محتفظة بابتسامتها، وسألت مرة أخرى:

- تمام ربنا يعينك، يا ترى إيه هي صفات الزوجة اللي بتتمناها؟

- يعني تبقى حلوة، وتعامل أهلي كويس وتهتم بيا وبأولادها، وطبعًا ما تبقاش نكدية!

قال كلمته الأخيرة ضاحكًا، فأكملت سلمى متجاهلة سخريته وسألت:

- طيب وحضرتك بتعرف تهتم بأولاد؟ قصدي يعني حاطط خطة للتربية؟

- ولما أنا هربيهم هي هتعمل إيه؟!

قالها بتعجب ممزوج بالدهشة، فأجابت سلمى موضحة:

- قصدي يعني حضرتك تساعدها في تربيتهم.

- لأ طبعًا أنا مش فاضي للكلام ده، أنا عليَّ المصاريف وهي تتصرف في الباقي!

رغمًا عنها تأثرت ابتسامتها وظهر الضيق على وجهها، حاولت ألا تظلمه ووضحت رأيها للمرة الأخيرة وقالت:

- طيب ما هو مثلًا لازم حضرتك اللي توديهم المسجد علشان يتعودوا على الصلاة وكده.

زفر بملل، وقال محاولًا استعادة ابتسامته:

- ماشي هبقى أوديهم إن شاء الله!

- آخر حاجة بقى، حضرتك بتحلم بإيه؟ أو إيه هي أهدافك في الحياة؟

- بحلم أعيش حياة مستقرة وهادية بدون مشاكل، وأفضل أترقى في شغلي لحد ما أمسك الإدارة.

- بس؟!

- وهو الإنسان محتاج إيه تاني غير كده؟!

قالها بتعجب شديد، بينما شعرت سلمى بأنها اكتفت بتلك الأسئلة وبكلامه السابق عن نفسه لمعرفة شخصيته، قررت أن تعطيه حقه في معرفتها، فسألته إذا كان لديه أي أسئلة يوجهها إليها، فأجاب على الفور:

- قوليلي، إيه هي صفات فارس أحلامك؟

شعرت سلمى بطاقة كبيرة تجتاحها، وكأنها كانت تنتظر هذا السؤال طوال الوقت، وانطلق لسانها بما في داخلها من أحلام، وقالت بسرعة رهيبة:

- عاوزاه يكون حافظ القرآن أو حتى أجزاء منه ويحفظني، عاوزاه بار بأمه وأبوه وبيراعي ربنا في كل خطوة بيعملها، عاوزاه حد عايش وهدفه الجنة وبيعمل أي حاجة ممكن تقربه من الهدف ده، لازم لازم يكون مواظب على صلواته كلها في المسجد، لازم كمان يكون عارف معلومات عن دينه وعن المعاملة اللي المفروض يعاملها لزوجته وأولاده، عاوزاه كمان حد علطول بيحاول يغض بصره، حد قلبه ما فيهوش غير حب ربنا ومش بيسمح أبدًا إن يدخله أي حب حرام، حد بيتخذ النبي عليه الصلاة والسلام قدوة ومتأكد إن أي حاجة النبي والصحابة كانوا بيعملوها احنا كمان نقدر نعملها، عاوزاه كمان يساعدني في شغل البيت ويوم ما أعمل حاجة غلط يقعد معايا ويفهمني بالراحة، من الآخر عاوزاه حد ياخد بايدي للجنة بأي شكل من الأشكال.

وكأنها تفكر في اتجاه ويفكر هو في اتجاه آخر، وجد أنه لا توجد به حتى صفة واحدة مما تمنتها، فابتسم لها قائلًا بصدق:

- ربنا يرزقك بيه، أستأذن أنا بقى.

ثم نهض من مكانه واقترب من هؤلاء الجالسين بعيدًا، نظر إلى والده ففهم أنه يريد المغادرة، فنهض هو الآخر وتبعته زوجته، ألقوا التحية على الجميع وغادروا على الفور، أثناء سيره مع أهله وعندما سألته والدته عن رأيه أجاب باقتناع شديد:

- دي تقريبًا عاوزة تتجوز واحد مش موجود في الوجود!

وعندما لم تفهم والدته طلب منها أن تتركه يفكر لعدة أيام، ثم بعدها سيخبرهم برأيه النهائي.

ذهبت سلمى إلى غرفتها فور مغادرتهم متعللة برغبتها في تبديل ملابسها، وحتى لا يحاصرها أحدهم بالأسئلة وهي التي لا تريد أن ترد بأي شيء قبل أن تفكر بكل جدية وعقلانية، ولكن فضول ولاء الملتهب أبى أن يرضخ لرغبة سلمى، فانتظرت بصعوبة حتى انتهت أختها من تبديل ملابسها ودخلت الغرفة، سألتها بإصرار شديد عن رأيها، فأرادت سلمى ألا تغضب شقيقتها وأجابت:

- هصلي استخارة وأشوف بإذن الله، بس في الغالب هرفض.

وهنا صرخت ولاء بهلع، واتسعت حدقتاها بشدة وهي تهتف بدهشة:

- ترفضي مين يا سلمى حرام عليكِ! هو ده حد يترفض!

ضيّقت سلمى ما بين عينيها بتعجب شديد، وسألت باهتمام:

- مالك مستغربة كده ليه؟ هو أنتِ شوفتيه؟

- أيوة شوفته لما قام وراح يقعد معاكِ، شوفي شكله ولبسه عاملين ازاي، ده طلع أحلى بكتير من الناس اللي بتيجي في التلفزيون، يعني هتبقي ماشية جنبه ورافعة راسك لفوق بكل فخر، كمان شغال في شركة كبيرة وهيعيشك ملكة!

- بس مش عنده دين يا ولاء، ودينه وأخلاقه عندي أهم من أي حاجة تانية!

نظرت لها ولاء باقتضاب ثم قالت مستنكرة:

- مش عنده دين ازاي يعني؟! ما هو مسلم أهو!

تنهدت سلمى بإرهاق، يبدو أن محاولة إقناع ولاء ستفشل ككل مرة، ذهبت إلى أقرب مقعد بجوارها وألقت بجسدها الصغير عليه، ثم عادت بظهرها إلى ظهر كرسيها بهدوء، وقالت وهي تنظر إليها برفق:

- مش كفاية إنه يكون مسلم في البطاقة يا ولاء، أنا عاوزة واحد ياخد بايدي للجنة، ويكون أول أهدافه في الحياة إنه يرضي ربنا.

- يا سلمى ده عريس لقطة، خسارة بجد تضيعيه من إيدك، وافقي يا ستي وابقي غيريه براحتك بعدين!

- أيوة بالظبط كده، بعد الجواز يتغير، وبكره يتعدل، وأسمع أنا كلامكم دلوقتي على أمل إنه يبقى إنسان تاني بعد الجواز، وأتفاجئ بعدها إن مفيش حاجة فيه اتغيرت وأندم. لأ يا ولاء أنا مقتنعة إني لو مش هقدر أتحمله زي ما هو كده يبقى الرفض هيكون أفضل ليَّ وله، لأن الطبيعي إني بختار إنسان هعيش معاه بإذن الله عمري كله فلازم أكون متقبلاه بعيوبه قبل مميزاته، ولو يا ستي بعد الجواز اتغير للأحسن كمان

فهتكون حاجة كويسة، ولو متغيرش أكون بردو قادرة أكمل حياتي معاه زي ما هو.

كانت ولاء تستمع إلى كلمات أختها بملل شديد، كانت تريد أن تخبرها بأنها تفكر بحماقة، فكيف ترفض ذاك الكنز الذي أتى إليها من حيث لا تحتسب، ذاك الكنز الذي تتمناه مئات وربما آلاف الفتيات غيرها، أي عقل هذا يا الله! شعرت ولاء أن سلمى لن تدرك قيمة هذا الرأس اليابس وذلك التفكير العقيم إلا عندما تُضيّع منها تلك الفرصة، أرادت أن تصرخ بها لتستفيق، أرادت أن تزوجها إياه عنوة، ولكنها لن تستطيع، اكتفت بنظرة خاوية إلى أختها أتبعتها بكلمتها الأخيرة: أنتِ حرة. ثم غادرت الغرفة وصفعت الباب خلفها بيأس، ابتسمت سلمى بعدما غادرت صغيرتها الغرفة وظلت تدعو لها بالهداية والتوفيق في حياتها، وقررت بعدها ألا تخبر أحدًا آخر عن رأيها قبل اتخاذ قرارها النهائي.



فشلت كل محاولاته طوال شهر كامل وهو يحاول إقناع والده بالتقدم لتلك الفتاة التي ظل يتمناها لسنوات، ولكنه يرفض وبشدة، يرى أن فاروق ما زال صغيرًا على الزواج ومسئوليته، وأن الاستعجال الآن -وهو الذي لم يُثَبَّت في عمله حتى- سوف يجعله يندم لاحقًا لأنه اختار وضع ذاك الحِمل الثقيل على ظهره بحماس شبابي طائش وبلا تفكير عميق، قرر الشاب أن يترك والده عدة أيام ليهدأ، ومن ثمَّ يبدأ في الإلحاح عليه من جديد، فلو طلب منه أن يتنازل عن أي حلم آخر لفعل، ولكن هذا الحلم بالتحديد لن يتنازل عنه أبدًا مهما كلفه الأمر.

ذات مساء خريفي خفيف البرودة، بينما هو واقفٌ في صمت ينظر من نافذته إلى تلك السماء المظلمة والتي تحتضن في صدرها القمر بنوره الخجول، ويتأمل ما تناثر حوله من نجوم متعددة الأحجام بضوئها الخافت الحزين، وكأنها شعرت به وأرادت أن تشاركه آلامه وهمومه، إذا به يسمع طرقات خفيفة على باب حجرته، ظن أنه أكرم، الأخ الأكبر والوحيد له، فأذن له بالدخول، ترك همومه وأحزانه جانبًا والتفت ليُلقي عليه التحية، فإذا به يرى والده أمامه، رسم ابتسامة هادئة على وجهه مع إيماءة رأس خفيفة وأشار لوالده أن يجلس، جلس بجواره، بقسمات مليئة بالإشفاق قال الأب:

- أمك بتقول إنك مش بتاكل كويس اليومين دول، وعلطول ساكت وقاعد لوحدك!

- متقلقش يا بابا، هبقى كويس إن شاء اللّٰه.

- كل ده يا بني علشان رفضت إنك تتجوز دلوقتي؟! أنا بعمل ده كله علشان مصلحتك!

قالها الأب بتعجب شديد، فلاح طيف حزن بعينيه، وقال بأسى وهو يتذكر محادثاته السابقة مع والده:

- يا بابا حضرتك حتى رفضت تعرف هي مين، ولّا عرفتها منين، ورفضت تسمع مني أي حاجة أبررلك بيها سبب طلبي ده!

أحاطه الأب بذراعه الأيسر وربت على كتفه بحنان ثم قال بهدوء:

- طيب ماشي يا فاروق، قولِّي هي مين يا بني، وليه مستعجل على الجواز كده!

- هي تبقى نهى أخت محمد صاحبي اللّٰه يرحمه.

- محمد ابن الحاج عماد جارنا؟

قالها متسائلًا باهتمام، بينما لاحظ فاروق قسمات والده التي لانت وبدأت تظهر عليها ابتسامة خفيفة، فانفرجت أساريره وأومأ برأسه إيجابًا، ثم تمتم بحماس:

- وسبب إني مستعجل على الجواز لأن مفيش أي سبب يخليني أأجل أكثر من كده، يعني خلاص اتخرجت واشتغلت وبإذن اللّه قادر أشيل مسئولية زوجة وبيت، وكمان البنت على خلق، ولو راحت مني حقيقي هزعل جامد!

نظر الأب في عيني ابنه وهو يتحدث عن الأمر، ورأى الحزن يسبح بداخلهما، ولمس بخبرته في التعامل مع البشر شوق فاروق الجارف لإتمام ذلك الأمر، فأراد ألا يُحزنه كما كان يفعل سابقًا، لعله على حق، وخصوصًا لأنه يعرف أن فاروق ما كان يومًا طائشًا ولا مستهترًا، وأنه حتمًا سيقدر على تلك المسئولية طالما أنه متمسك بها لهذه الدرجة، قال الأب متسائلًا:

- طيب يا بني امتحانات نصف السنة قربت تبدأ، هينفع تتقدم للناس دلوقتي؟ والعروسة بتدرس ولا اتخرجت؟

بدأت علامات البِشر تكسو وجه فاروق. يبدو أنه سيوافق، هكذا حدَّث نفسه، وأجاب على الفور:

- هي في كلية الآداب قسم اللغة العربية الفرقة الثالثة، وممكن نتصل بوالدها ونشوف هيوافق دلوقتي ولا نستنى لبعد الامتحانات.

ربت الأب على رأس ابنه، وابتسم ابتسامة القبول وهو يقول:

- خلاص يا بني اتصل بأستاذ عماد وقوله على الموضوع وربنا يقدم اللي فيه الخير.

- بجد يا بابا؟ يعني وافقت خلاص؟

قالها فاروق وهو يصيح بعدم تصديق، فأومأ والده برأسه وقال ضاحكًا:

- طالما مُصمم، هعمل إيه بس، يلا ربنا يسعدك يا بني.

ثم نهض من مكانه مغادرًا الغرفة في هدوء، وقف فاروق وظل يتتبع والده بعينيه حتى غاب عن ناظريه، ثم عاود الجلوس وهو يؤكد لنفسه أن ما سمعه صحيحًا، وأن والده بالفعل قَبِل بالأمر بعد طول انتظار، نظر في ساعته فإذا بها الحادية عشرة مساءً. الوقت غير مناسب، هكذا همس لنفسه، فقرر الذهاب للنوم على أن يتصل بالسيد عماد في الغد، وأخذ يدعو اللّٰه أن يوفقه لما فيه الخير ولما يحبه ويرضاه.



ظهيرة اليوم التالي اتصل فاروق بالسيد عماد وأخبره برغبته في التقدم للآنسة نهى، فرَحّب والدها بذلك كثيرًا وأخبر فاروق بأنه ما تمنى لابنته يومًا شخصًا أفضل منه، ولكنه لا بد أن يسأل العروس ووالدتها أولاً، وسيجيب عليه في أقرب فرصة بإذن المولى، انتظر فاروق حتى المساء، وإذا بهاتفه الذي كان بين يديه يهتز وينير باسم السيد عماد، ضغط على زر الموافقة ووضع الهاتف على أذنه بسرعة، فإذا بوالد العروس يخبره بأنهم في انتظارهم في عطلة نهاية الأسبوع بعد صلاة العشاء مباشرة، أخذ فاروق يشكره بشدة وبمنتهى الحماس، ويؤكد له بأنهم سيذهبون إليهم في الموعد المحدد، مما جعل الرجل يتعجب، ولكنه بعد ذلك ضحك بطيبة وهو يتذكر أيام شبابه عندما وافقت عليه والدة نهى وما شعر به وقتها.

وفي يوم الجمعة بعد صلاة المغرب بدأ فاروق يُحضّر نفسه للقاء عروسه، فقام بارتداء ملابس أنيقة للغاية، وأمسك بالفرشاة وبدأ بتسريح شعره للخلف ثم وضع عليه القليل من كريم الشعر الذي يفضله، وقام برش بعضًا من العطر الذي اشتراه خِصّيصًا لهذه المناسبة، ثم ابتسم للمرآة، ابتسم بشدة وكانت عيونه تشع سرورًا، فور انتهائه مما كان يفعله سمع المنادي ينادي لصلاة العشاء، فهبط من منزله لأداء صلاته، ثم عاد واصطحب والديه إلى منزل نهى.

فتح السيد عماد باب منزله ورحب بهم ترحابًا شديدًا، دخلوا جميعًا وبدأ فاروق يتحدث مع السيد عماد عن إمكانياته وما ينوي أن يفعله إذا أراد اللّه أن تكون نهى من نصيبه، بينما ظل والد فاروق يتحدث عن عائلته، عمله، وأشياء من هذا القبيل، ابتعدت والدة نهى عن الرجال مع والدة فاروق وبدأت كل واحدة منهما تتحدث مع الأخرى عن تربيتها لأبنائها وما هم عليه من خلق ودين، استمر حديث العائلتين ما يقرب من النصف ساعة حتى قام الأب وأحضر ابنته وأجلسها على مقربة من فاروق، وتركهما يتحدثان مع بعضهما البعض وابتعد عنهما قليلًا، كانت نهى شديدة الحياء، كانت حيية أكثر من معظم فتيات هذه الأيام، رأى فاروق بوضوح خديها يشعان حمرة كحمرة الشفق، أو ربما أكثر، ووجدها أيضًا تفرك أصابعها ببعضها من فرط ارتباكها، فأراد أن يُهَدّئ من روعها، فنقش ابتسامة ودودة على وجهه وسألها عن استعدادها للامتحانات القادمة، تنحنحت نهى بحرج وابتسمت وهي تنظر أرضًا وقالت:

- طيب ما بلاش سيرة الامتحانات دلوقتي.

ظهرت لمعة انتصار في عينيه، فهذا بالفعل ما توقعه منها، فمتى ظهرت كلمة الاختبارات قيلت هذه الجملة هروبًا من الموقف، بدأ

فاروق يحدثها عن نفسه بعدما خفتت حدة توترها، وعن صفات زوجته المستقبلية التي يتمناها، وعن المعاملة التي سوف يعاملها بها، وعن ما يجب عليها فعله وقت ضيقه أو مرضه، أخبرها أيضًا أنه يود من تعينه على طاعة ربه، وأن يكون هدفها الأول والأخير في هذه الحياة هو رضا المولى عز وجل، أخبرها أنه في بداية حياته ويريد من تقف إلى جواره وتتحمل راتبه الصغير حتى يرزقهما الله بالخير الكثير، وأنه لن يتوقف عند هذه الوظيفة، بل سيحاول تطوير نفسه وبذل قصارى جهده حتى تعيش معه حياة كريمة، أخبرها أنه كثيرًا ما تمنى شريكة لدربه، شريكة يجدها دائمًا إلى جواره بحبها وعطفها وصبرها عليه، شريكة ينجب منها أبطالًا يحملون رايات الإسلام ويكونون دائمًا في خدمته، كانت نهى تستمع إليه بفخر شديد، فهذا بالتحديد ما كانت تتمناه في زوجها المستقبلي، أرادت أن تخبره بأنها شعرت بالراحة الشديدة بعدما لامست كلماته شِغاف قلبها، أرادت أن تخبره بأنها هي أيضًا تتمنى زوجًا مثله، ولكنها لم تستطع أن تنطق بحرفٍ واحد، انتهى فاروق من كلامه وسألها عن أي ملاحظات عليه، فأومأت برأسها نفيًا، فسألها عن أي شيء آخر تريد معرفته عنه، فقالت بصوتٍ خافتٍ بأنها لا تتذكر أي شيء الآن، سألها عن كونها قلقة من شيء ما وتريد مناقشته معه، فأومأت برأسها نفيًا مرة أخرى بحرج بالغ، فابتسم فاروق وقال بمرح:

- طيب يعني أمشي ولا إيه؟

- لا لا مش قصدي.

قالتها بسرعة بالغة، مما جعل فاروق يقول بوجه يحمل كل آيات السعادة من رد فعلها ذاك:

- طيب ممكن تعرفيني عنك أكثر؟ يعني بتعملي إيه في حياتك، وإيه أهدافك؟

ولأول مرة رفعت نهى وجهها، وأطلقت بصرها لتراه عن قُرب، ابتسم قلبها لرؤية ذلك الوجه الأسمر المثقوب بعينين سوداوين واسعتين، ويزينه ثغر باسم ولحية متوسطة الطول زادت من جماله، التقت عيناها بعينيه فمالت أرضًا بتوتر، حاولت جمع شتات نفسها وقالت:

- أنا حقيقي بتمنى كل الحاجات اللي حضرتك بتقولها دي، بتمناها من كل قلبي، بس أنا لسه في أول الطريق، وخايفة حضرتك تكون شايفني في مكانة أعلى من اللي أنا فيها دي.

- يعني إيه؟

سألها مستفهمًا، فأجابت وقد انكمشت في مقعدها حرجًا من ذلك التقصير الذي تشعر به تجاه ربها:

- يعني أنا تقريبًا مش حافظة قرآن خالص، ممكن نقول السور القصيرة بس، ومش الحد بردو اللي بيعمل عبادات كتير وسنن وكده، لكن الحمد لله طول عمري محافظة على صلاتي وحجابي الشرعي، وبحاول دايمًا أراعي ربنا في كل خطوة بعملها، وأسأل نفسي قبل ما أعمل أي حاجة هل ممكن آخد عليها حسنات ولا سيئات، بس كمان فيه حاجات كتير في الدين لسه مش عارفاها، يعني كنت متفقة مع محمد الله يرحمه إننا نبدأ نقرب من ربنا سوا، بس هو قالي هيقنع صاحبه إسلام يبدأ معانا، وملحقش!

قالتها وصمتت، لاحظ فاروق دمعة تتأرجح داخل عينها وتمنعها نهى بشتى الطرق من الهبوط، فابتسم لها وقال مشجعًا إياها:

- ولا يهمك يا نهى، كل ده مقدور عليه بإذن الله، يعني طالما محافظة على فروضك وبتخافي ربنا في السر والعلن يبقى

اوعي تخافي، واسعي بردو إنك تكملي كل اللي شايفاه ناقص عندك.

- أنا بالفعل بدأت الحمد لله أطور من نفسي في الفترة الأخيرة، بدأت أطبق بعض السنن السهلة بالنسبالي، ولبست النقاب، وبحاول بقدر الإمكان أقرأ وأسمع معلومات دينية كل ما تتاح لي الفرصة، بس للأسف ماشية بسرعة السلحفاة، وبحس بإحباط في أوقات كتير وببقى محتاجة حد يشجعني ويعينني.

ابتسم فاروق وقال:

- لو وافقتي أنا ممكن أساعدك!

تسارعت نبضاتها، وازداد توترها المغلف بالحياء ولم تستطع أن تنبس ببنت شفة، شعر فاروق بأنه لو زاد الكلام قليلًا لوجدها انصهرت أمامه من فرط حرجها، فسألها مرة أخرى عن كونها تريد أن تتحدث في أي شيء آخر، فحركت رأسها نفيًا، فنهض من مكانه مودعًا إياها وعاد إلى مجلس الرجال وتحدث معهم قليلًا، ثم استأذنوا جميعًا لينصرفوا، بدأت والدته تودع والدة نهى وابنتها، وعندما غمز لها فاروق وهي تقف أمام نهى كما اتفق معها، بدأت الأم تربت على كتف العروس بحنان وتخبرها بأنها كالبدر، وبأنها ستكون سعيدة إذا أصبحت زوجة لابنها، فابتسمت نهى واحتضنت والدة فاروق بحب، ابتسم فاروق لابتسامتها، ودعا لوالدته بالجنة، وقرر أن يشكرها من أعماقه عندها يخرج من هذا المنزل لأنها قامت بدورها بطريقة مميزة، فقد اتفق معها على هذا ليسعِد قلب نهى، وأيضًا ليجعلها تقترب من والدته وتشعر بحنانها وتعتبرها أمًا ثانية لها.

هبط فاروق من منزل عروسه، وأثناء سيره مع والديه نظر لوالدته وقال والبهجة تند من عينيه:

- أمي أنا طاير من الفرحة، أقسم بالله طاير وحاسس إن مفيش حد أدي في الدنيا دي، ربنا يكملها على خير ويقدرني على إني أكون ليها الزوج الصالح اللي بتتمناه وأكثر.
- ربنا يسعدك يا فاروق يا بني، أنت فعلًا تستاهل كل خير.

قالتها والدته وقد لاح السرور على محياها، بينما ابتسم والده لرؤية تلك لفرحة، أما عن فاروق، فقد ذهب إلى عالم آخر، ذهب بخياله إلى صبر السنين، وغض البصر، والمحافظة عليها من مجرد كلمة، والآن، الآن فقط أطلق بصره ونظر لها حتى ارتوى، وتحدث معها وأخبرها بما يريد قوله من سنوات في حدود ما هو مسموح به الآن، وسمع صوتها وتعرف على أحلامها، أدرك الآن وفقط قيمة العفة التي عاش بها طويلًا.



طوال الأيام الماضية كانت سلمى تريد أن تخبر والدها برفضها للعريس الذي أتى إليها قبل عدة أيام، ولكنها تخاف أن يسخط عليها ويستشيط غضبًا منها، فكانت تؤجل قرارها وتفكر مرة تلو الأخرى لعلها تغير رأيها في أي وقت، وفي عصر أحد الأيام وجدت ولاء تنادي عليها وتخبرها بأن والدها يريدها بالخارج، فعلمت أنه سيسألها عن رأيها في الموضوع، خرجت من غرفتها ووقفت أمام والدها وقد بدت مرتبكة، سألها بالفعل عن رأيها في العريس، فابتلعت ريقها بصعوبة، وتنهدت حاسمة أمرها وأخبرته أنها أدت صلاة الاستخارة وقررت عدم الموافقة عليه، وعلى غير العادة ضحك والدها بشدة، فسألته سلمى عن السبب وقد انتابها الفضول الشديد خصوصًا لأنها كانت تتوقع أن يصرخ بوجهها أو يُجبرها على الجلوس معه مرة أخرى على أقل تقدير، فأجابها والدها بأن العريس أيضًا قام بالرفض، فابتسمت سلمى وارتمت على الكرسي المجاور لوالدها وقالت ضاحكة:

- سبحان اللّه! القلوب عند بعضيها.

كان فاروق يشعر بالراحة الشديدة بعدما جلس مع نهى وتحدث إليها، ولكن بما أن الغيب لا يعلمه إلا اللّه، وبما أنه يريدها بشدة ولكنه أيضًا لا يعلم هل مستقبله معها سيكون على ما يرام أم لا، فقد قام بأداء صلاة الاستخارة ووكل أمره إلى ربه وهو على يقين بأن اللّه حتمًا سيختار له الخير، ومضى يوم تلو الآخر حتى اتصل فاروق على والد نهى وأخبره بموافقته، وعلى الفور قال السيد عماد أن نهى وافقت أيضًا، ولكنها تطلب تأجيل أي خطوة أخرى حتى تنتهي من امتحانات نصف العام الخاصة بها.

بدأت الامتحانات وذاب جميع الطلاب بداخل الكتب والملازم الخاصة بهم، مرت لحظات عصيبة على الجميع، وخاصةً ولاء التي كانت تائهة بشدة وسط هذا المجتمع الجديد الذي دخلته، وهذه المحاضرات التي لم تعتد على المذاكرة منها، وأخذت تحاول بذل قصارى جهدها حتى تظل متفوقة كما عهدها الجميع، بينما حاولت سلمى أن تُكرّس كافة مجهوداتها هذه الأيام لإتقان موادها الدراسية حتى تُنهي عامها النهائي بالجامعة على خير.

انقضت امتحانات نصف العام وبدأ كل طالب باستغلال إجازته القصيرة فيما يحب، كانت سلمى تخطط لعدة أشياء، وكانت تنتظر الإجازة بفارغ الصبر، ولكن منذ بدايتها وهي تشعر بحالة من اليأس والإحباط الشديد لم تمر بها من قبل، شعرت بفتور في قلبها، شعرت أن العبادة أصبحت ثقيلة عليها، شعرت أن إيمانها في تناقص مستمر، لم تعد لديها نفس الطاقة ونفس الحماس السابق لمواصلة مسيرتها، أحست فجأة أن روحها أصبحت هشّة وواهنة، أحست أن الدنيا ما عادت وردية كما كانت تراها، أرهقتها كثرة المضايقات والانتقادات التي تتعرض لها

من أختها وبنات عائلتها وحتى صديقاتها، أتعبتها الوحدة وافتقادها للصحبة الصالحة، اشتاقت كثيرًا لحفصة ولدفء كلماتها التي كانت ترمم شروخ قلبها، تمنت لو استطاعت التواصل معها الآن وإفراغ تلك الهموم الجاثمة على صدرها، زفرت بأسى وهي تنظر إلي تاريخ اليوم في هاتفها الصغير، لقد مضى أسبوع كامل من الإجازة، ولم يتبقَ سوى أسبوع آخر ويبدأ الفصل الدراسي الثاني، وهي التي لم تتحرك من مكانها خطوة واحدة، أرادت أن تحدث حفصة، أرادت ذلك بشدة، فذهبت إلى الحاسوب الخاص بها وقامت بفتح موقع الفيس بوك وكتبت لحفصة:

- حفصة أنا محتاجالك دلوقتي أكثر من أي وقت فات، أنا تعبت بجد ومبقيتش حاسة بروحي، زي ما يكون قلبي مات خلاص، مبقيتش عارفة أحس بالصلاة ولا القرآن ولا أي حاجة، حاسة إني عمالة أتأخر مش أتقدم، حاسة إني معنديش طاقة إني أستمر في الطريق ده، أنا خايفة أوي يا حفصة، خايفة مقدرش أكمل!

أخذت تعبث بزر الفأرة لترى رسائلها السابقة مع حفصة، توقفت عند رسالتها الأخيرة وأخذت تقرأ فيها بتمهل، شعرت بأن كلماتها لامست جدار فؤادها وبدأت تربت عليه بعطف، رفعت صوتها قليلًا وهي تقرأ:

«لما تحسي إنك تعبتي ومش قادرة تكلمي طريقك استخدمي سلاحك، معاكِ القرآن والدعاء، افتحي مصحفك وأنتِ بتقولي لربنا يا رب ابعتلي رسالة، اتعودي دائمًا تقولي كل اللي جواكِ في سجودك وافضلي اتكلمي لحد ما ترتاحي، متنسيش تدعي كتير ربنا يثبتك ويقويكِ، أرجوكِ يا سلمى اوعي تسمحي للشيطان إنه يهزمك، أو تسمعي كلمتين بايخين من أي حد فتتنازلي عن هدفك، معاكِ القرآن والدعاء يا سلمى فاهماني؟ معاكِ سلاحك يا سلمى اوعي تتخلي عنه»

وجدت الابتسامة تشق مجراها عبر شفتيها، شعرت برعشة خفيفة تجتاح جسدها الضئيل، فنهضت من مكانها ونظرت من نافذة غرفتها لسماءٍ واسعة مُزينة بنجوم براقة، شعرت بأنها تبتسم لها لتخبرها أن كل شيءٍ سيكونٍ على ما يرام، نظرت يمينًا فخُيل إليها أن القمر يمشي على استحياءٍ مقتربًا منها ليقف إلى جوارها في تلك المحنة، أعجبها منظر ضوئه الخفيف وهو يتسلل الخلفية الكحلية المظلمة فيبدد جزءًا ضئيلًا من ظلمتها، أغمضت عينيها ورفعت كفيها المكتنزتين إلى السماء وبدأت تتمتم لربها بما يعتمل صدرها من آلام، أخذت تشكو له المضايقات التي تتعرض لها، وتطلب منه العون والقوة، أخبرته أنها أحبت هذا الطريق ولا تريد أن تحيد عنه ولكن نفسها تقسو وتتمرد، طلبت منه أن يثبتها على طريق الحق ويهون عليها مصائب الدنيا وضغوطات الحياة، ثم عادت أدراجها إلى حاسوبها مرة أخرى، وبدأت تمشي على صفحتها الرئيسية بشرود، قرأت عدة منشورات بعينين زائغتين وكأن قلبها في مكان آخر، استوقفها منشور يخبرها بأن صديقتها زهرة اللوتس تستمع إلى اشتقت إليك، فأخذت تحمد الله الذي عافاها من هذا الابتلاء وتدعو لصديقتها أن تترك الأغاني التي تُميت قلبها وتعود إلى كتاب الله، قبل أن تهبط إلى منشور آخر لاحظت اسم المنشد أحمد سعيد، ذلك المنشد الذي أخبرتها عنه حفصة من قبل، فعلمت بأنها أساءت الظن بصديقتها واستغفرت ربها، ثم قررت تحميل تلك الأنشودة والاستماع إليها لعلها تستحوذ على مكان ما بقلبها، وبدأت الأنشودة..

ضاقت بيا الدنيا لقيتني إنسان غريب

وبقيت أنا حاجة تانية بجد إنسان عجيب

لقيتني بعدت في ثانية بعد أما كنت قريب

لقيت قلبي بقى آسي عينيا مفيهاش دموع

لقيتني بجد ناسي أي معنى للخشوع

خلاص قلبي إحساسي بيتمنوا الرجوع

وخلاص يا رب أنا راجع ليك ندمان بشدة أنا بين إيديك

على كل لحظة مكنتش ليك وكنت فيها عاصيك وناسيك

يا رب راجع أدق الباب باب الرحيم باب التواب

ده لما بعدت شوفت العذاب خلاص يا رب اشتقت إليك

أنا قولت هعيش حياتي بس أنا عايشها حرام

علشان أرضي شهواتي وأبقى مبسوط وتمام

أتاريني هزيد آهاتي وكل ده أوهام

وخلاص عرفت حقيقي بجد أحلى حياة

لما ينور طريقي برضا وحب الله

يبقى القرآن صديقي ورسولي أمشي في خُطاه

وخلاص يا رب أنا راجع ليك ندمان بشدة أنا بين إيديك

على كل لحظة مكنتش ليك وكنت فيها عاصيك وناسيك

يا رب راجع أدق الباب باب الرحيم باب التواب

ده لما بعدت شوفت العذاب خلاص يا رب اشتقت إليك

كانت تستمع إلى الكلمات بذهول تمام، أكُتِبت الأنشودة من أجلها؟ أم كيف لها أن تصف حالتها بتلك الدقة! يبدو أن الجميع

يمر بتلك المرحلة وليس هي فقط كما كانت تظن، أخذت تعيد سماع الأنشودة مرة تلو الأخرى وهي مستمتعة تمامًا بتلك الأحاسيس الجميلة التي غمرتها، ثم أغلقت حاسبها بعدما قررت ألا تضيع وقتًا أكثر من ذلك، هزمت شيطانها وأمسكت بمصحفها الذي لم يُفتح منذ عدة أيام، وأول ما رأته عيناها كانت الآية الكريمة «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» فابتسمت ودمعت عيناها وهي تهمس براحة:
- فهمت الرسالة يا رب، ومش هتنازل عن طريقي أبدًا بإذن الله، ومش هحتاج مساعدة من أي مخلوق لأنك دائمًا معايا.



تلقى إسلام اتصالاً هاتفيًا آتيًا من فاروق يخبره فيه بأن إحدى الشركات الخاصة تطلب مهندسين مدنيين حديثي التخرج، وأن مدير شركتهم أخبرهم أن ينشروا الخبر على أوسع نطاق لعل أحدهم يحتاج إلى تلك الوظيفة، وأن المقابلة الشخصية ستكون غدًا بإذن الرحمن، سُر إسلام لذلك الخبر كثيرًا، وتفاءل بعدما كان قد يأس من البحث المُضني وكلّت منه أقدامه، شكر فاروق بشدة وأخبره أنه سيجهز أوراقه، وسيكون هناك في الموعد المحدد بإذن الله، حيّاه وكاد أن يغلق الهاتف لولا أنه سمع فاروق يهتف:

- على فكرة خطوبتي الخميس الجاي بإذن الله.

صاح إسلام بسعادة وقال ضاحكًا:

- ألف مبرووك يا أبو الكباتن، وعقبالي!
- الله يبارك فيك يا إسلام، وبإذن الله تحصلني قريب.
- هتعملوها فين؟

- هنعملها حاجة على الضيق كده في بيت نهى بإذن الله.

- آه يعني بتقولي متجيش!

قالها مُظهرًا تذمره الذي يخفي وراءه ابتسامة واسعة، فابتسم فاروق بخفة وقال:

- مقدرش أقول كده، تشرف طبعًا في أي وقت!

هنّأه إسلام مرة أخرى وقد شعر بالسعادة الحقيقية تغمر قلبه، فمجرد تخيله بأن فاروق انتظر سنوات طوال حتى يعيش تلك اللحظات تجعله يشعر برجفة خفيفة في قلبه، وبعدها ترتسم ابتسامة هادئة حنونة على شفتيه مع تمتمة آتية من أعماق القلب بأن يبارك الله له في حياته ويقر عينه بزوجته وحبيبته.

ذهب إسلام لوالدته وأخبرها بالأمر وطلب منها أن تدعو له بأن يُيسر له ربه الخير حيث كان، فأخذت تدعو له ولفاروق أيضًا بعدما أخبرته أن هذا الفتى دخل قلبها منذ عرفته، وأنها تطمئن على إسلام عندما يكون معه، أيّدها إسلام بشدة وأخبرها أنه كان يظلم فاروق كثيرًا في السابق، ولكنه بعدما تقرب منه وجد داخل قلبه الخير الكثير، انتهى من كلامه مع والدته فاستأذن منها ليذهب للنوم لأنه يبدو أن يومه القادم سيكون طويلًا.

استيقظ من نومه صباحًا، فتح حقيبته الجلدية ووضع بداخلها كل ما يحتاجه من أوراق للتقدم للعمل، ثم قام بارتداء بذلة سوداء أنيقة، تخفى خلفها قميصًا أبيضًا ناعمًا، ورابطة عنق سوداء لامعة، مشّط شعره وارتدى حذاءه الجلدي الأسود، وأخيرًا زين وجهه بنظارته الشمسية وهبط من منزله تلحقه دعوات أمه بالتوفيق، وصل إلى الشركة وقام بعمل المقابلة الشخصية وقد أعجبهم بشدة لباقته في الحوار، فوعدوه

أن يقوموا بالرد عليه خلال ثلاثة أيام، مضت الأيام بطيئة كعجوز في الثمانين يتسلق جبالًا شاهقة، ثم جاءه الرد بالقبول، وطلبوا منه أن يأتي في اليوم التالي لاستلام عمله، هرول إسلام إلى أمه الجالسة تقشر بعض ثمرات البطاطا في صمت، ودنا منها بوجه يحمل كل آيات السعادة قائلًا:

- ربنا استجاب لدعائك يا أمي، الحمد لله.

- اتقبلت في الشغل يا إسلام؟

سألته بلهفة كبيرة، فأومأ برأسه إيجابًا، جذبته إلى حضنها بقوة وأخذت تربت على ظهره بحنان بالغ، فقد كانت تشفق عليه بشدة طوال الفترة الماضية عندما تجده عائدًا هائمًا على وجهه وقد أرهقه البحث. الحمد لله، قالتها بعد أن زفرت زفرةً طويلة، ثم دفعت به بعيدًا عنها وأخبرته مازحة أنه يجب أن ينام مبكرًا من الآن وصاعدًا فالعمل ينتظره!



بدأ إسلام يتردد على عمله يوميًا، واستطاع خلال فترة قصيرة تكوين صداقات مع فريق عمله، مضى شهره الأول في العمل على خير، وكانت لحظة استلام راتبه الأول مميزة جدًا بالنسبة له، فبرغم كون الراتب صغيرًا بعض الشيء إلا أنه لأول مرة يمسك مالاً آتيًا من عرق جبينه، في الرابعة والنصف مساءً كان يسير في الشارع عائدًا إلى منزله ويحمل راتبه بفرحة كبيرة، عندما لاحظ فتاتين آتيتين من بعيد، إحداهما ترتدي بنطالًا من الجينز وفوقه فستان يصل بالكاد إلى ركبتيها، بينما الأخرى ترتدي ملابس فضفاضة للغاية لم تظهر أيًا من تفاصيل جسدها، وجد نفسه بتلقائية يدعو لذات الملابس الفضفاضة ويتمنى لو كانت جميع الفتيات مثلها، اقتربت الفتاتان منه أكثر فتبين أن ذات البنطال هي هند أخته ومعها صديقة لها، ابتسمت هند بسعادة وأشارت له وهي تتجه إليه،

بينما شعرت سلمى بالحرج الشديد واقتربت من الحائط حتى بدأ ثوبها يتعلق به وأسرعت الخطى نحو منزلها، وقفت هند أمام أخيها وألقت عليه التحية، ثم نظرت إلى جوارها فلم تجد صديقتها، أطلقت بصرها بعيدًا فوجدتها قاربت على الوصول لمنزلها، فأدركت أنها تجاوزتهما ومضت دون أن تنتبه لها، ضحكت بشدة وهي تقول:

- اتكسفت وجريت!

نظر إسلام خلفه بتلقائية، ثم عاود النظر إليها وسألها باهتمام:

- هي مين دي؟

- معقولة متعرفهاش! دي سلمى صاحبتي اللي كانت دائمًا بتيجي عندنا البيت واحنا صغيرين.

- ما شاء الله، باين عليها محترمة.

قالها واتسعت ابتسامته، فأومأت هند برأسها وقد تأبطت ذراعه وسارت به باتجاه منزلهما، وبدأت تحدثه عن صديقتها بحسن نية، حدثته عن أخلاقها وتفكيرها المختلف، وعن التغيير المفاجئ الذي طرأ عليها، وعن اقترابها من الله عز وجل وجعل كل أهدافها متعلقة به، أخبرته أيضًا عن شخصيتها الحنونة والهادئة، وعن رأسها اليابس العنيد وإصرارها على تنفيذ ما تراه صحيحًا مهما كلفها الأمر، أخبرته عن كل جميل تشعر به تجاه سلمى، فكان إسلام ولأول مرة يستمع إليها باهتمام شديد، ومن آن لآخر يهمس: ما شاء الله، ثم يعاود الانتباه لكلماتها من جديد، وصلا معًا إلى منزلهما، ودخل كل منهما لتبديل ملابسه، انتهى إسلام من ارتداء ملابس المنزل وجلس على فراشه يفكر بشرود، بدأ يفكر في كل كلمة قالتها هند، بدأ يسأل نفسه، هل بالفعل ما زال هناك فتيات بهذه الصفات الجميلة في عالمنا الحالي! وإذا كانت موجودة، فهل

من الممكن أن يحصل شخص مثله على إحداهن بعد ما اقترفه من ذنوب ماضية! بدأ يؤكد لنفسه بأنه تاب وندم على كل ما اقترفته نفسه من معاصي، ومنذ توبته وهو يتمنى أن يجد من تأخذ بيديه لتقربه من اللّٰه عز وجل وتسير معه حتى يصلا إلى الجنة سويًا، زفر زفرة قوية بعدما شعر أن هذا الحلم يبدو بعيدًا، ثم نهض من مكانه وسار باتجاه المطبخ ليرى ماذا أعدت والدته للغداء، فقد أصبحت معدته تصدر أصواتًا غير لائقة من فرط شوقها إلى الطعام.



كانت ولاء تجلس ساهمة عندما دخلت سلمى لتحضر بعض الأغراض من الغرفة، وسألتها عن شيء ما فلم تُجب، اقتربت منها سلمى وأمسكت كتفها وهزته هزة خفيفة، فانتفضت ولاء من مكانها، ثم تنهدت بقوة بعد رؤية أختها وعادت لهدوئها من جديد، سألتها سلمى عن سبب شرودها، فأجابت بضيق:

- كنت بفكر في العريس التحفة اللي رفضتيه ده، بجد لو كان اتقدملي أنا كنت وافقت بدون تردد.
- يااااه يا ولاء، أنتِ لسه فاكرة!
- حقيقي مش متخيلة ازاي جالك قلب ترفضيه! كده خلاص عُمرك ما هيجيلك زيه لأن الفرصة مش بتيجي غير مرة واحدة.

ابتسمت سلمى وقالت بثقة:

- هيجيلي أحسن منه بإذن اللّٰه.

صاحت وهي تتميز من الغيظ:

- أنتِ فاكرة نفسك مين يا سلمى؟ يكونش الشباب كلهم هيموتوا عليكِ، ولا بتعرفي في علم الغيب وأنا معرفش! خليكِ واقعية يا سلمى بدل ما تضيعي نفسك بأحلامك المستحيلة دي!

داهمتها موجة من الانفعالات جالت في صدرها، كانت أفكارها مضطربة ما بين أن تصدق كلمات ولاء وزميلاتها عن فارس أحلامها غير الموجود، وما بين أن تثق بما يحمله قلبها من يقين، تنهدت تنهيدة قوية أخرجت بها كل الأفكار السيئة العالقة برأسها، ثم اِفْتَرّ ثغرها عن ابتسامة وضّاءة هادئة وهي تجيب باتزان:

- على فكرة أنا واقعية جدًا يا ولاء، كل الموضوع إن أنا عندي ثقة كبيرة جدًا في ربنا، ربنا عالم إني فعلًا مش عايزة حاجة من الدنيا غير واحد ياخد بإيدي للجنة ويساعدني على إننا نعيش حياتنا بما يرضي الله.

صمتت قليلًا لالتقاط أنفاسها المتلاحقة ثم استطردت:

- أنا عارفة إني أقل بكتير من إني أستاهل واحد زي ده، بس أنا بدأت أغير من نفسي، ومش بتوقف أبدًا عن الدعاء وأنا متأكدة إن ربنا مش هيخذلني لأنه بيقول في الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي»، وأنا ظننت بربنا خير يا ولاء، وواثقة إنه كريم وهيرزقني باللي يكمل معايا الطريق، متقلقيش عليَّ!

تراخت قسمات ولاء، وانهار حاجباها، تنهدت بيأس وهمست:

- براحتك يا سلمى، حقيقي أتمنى يتحققلك اللي بتحلمي بيه ده، بس الدنيا مش جميلة زي ما أنتِ متخيلة كده.

ابتسمت سلمى وهي تخبر صغيرتها بأن رحمة اللّه وكرمه وسعت كل شيء، وبأنها سوف تثبت لها يومًا ما صدق كلامها، أخبرتها أيضًا أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:» ادعوا اللّه وأنتم موقنون بالإجابة»، وبأنها بدأت بالفعل تدعو اللّه وهي على يقين من أنه سيحقق لها أحلامها مهما رأتها بعيدة.



-٦-

أصبحت لا تغيب عن باله، يومًا عن يوم يزداد تشبثه بها، وتتعمق بداخله فكرة ارتباطه بها، حاول كثيرًا طرد تلك الفكرة عن رأسه لأنه ما زال ذو إمكانيات قليلة لا تسمح له بالتقدم لإحداهن، ولكن كلمات هند عنها كانت تتقافز داخل رأسه من آن لآخر وتلهب حماسه لتدفعه للقيام بأي خطوة إيجابية، سيطرت الفكرة بشكل تام على رأسه مما جعله يبدأ في التخطيط للتقدم لها، وفي لحظة ما طاف شبح حبيبته الأولى سارة بمخيلته، رآها حزينة وملامحها باهتة، شعر أنها تتهمه بالخيانة وعدم الوفاء بالوعد، مما جعله ينتفض وكأنه أُصيب بماس كهربائي فجأة، شعر أنه دنيء وحقير، فكيف له أن يفكر في فتاة أخرى بعدما وعدها أن يتقدم لها فور تخرجه وعمله، كيف له أن ينساها حتى ولو مضت سنوات، لأول مرة منذ فترة طويلة يقرر الدخول لزيارة صفحتها الشخصية، أراد فقط أن يطمئن عليها بعدما منع نفسه عنها شهور طوال، أراد أن يخبرها ولو حتى هامسًا بأنه ما زال على العهد، وبأنه سوف يطرد سلمى -تلك الزائرة الجديدة- عن رأسه ويُفرغ قلبه لها وفقط، أراد أيضًا أن يقص عليها ما طرأ عليه من تغييرات خلال الفترة الماضية، ويطلب منها أن تكون هي رفيقته في دربه الجديد وتعينه وتشجعه على التقرب من ربه أكثر وأكثر، قام بالدخول على صفحتها الشخصية فلمحها تضع صورة شخصية لفتاة ذات خصلات سوداء حريرية مُسدلة خلف ظهرها، فغض الطرف عنها فورًا وهبط للأسفل ليتابع آخر أخبارها، مرت إحدى عشرة

دقيقة استغرقها جميعًا في قراءة منشوراتها المبعثرة عن الحب والموت والاكتئاب، التفاؤل والأمل والحياة، قبل أن يرى منشورها اللاحق المكون من سطرٍ واحدٍ كُتب فيه: وأخيرًا جربت طعم الحب.. لأول مرة.

ومصحوب بصورة لها وقد أحاطها أحدهم بذراعه وهو ينظر لها بعشق، اشتعلت الغيرة داخل قلبه وتأجج الغضب بصدره، شعر بأن الدماء تغلي داخل رأسه وبدأت أنفاسه تتلاحق بسرعة كبيرة، بدأ يقرأ جملتها الوحيدة مرة تلو الأخرى وهو يكاد يجن، أي طعم للحب هذا الذي تشعر به لأول مرة! وإذا كانت صادقة، فماذا عن علاقتها بإسلام! وماذا عن علاقتها بمن سبقوه وأخبرته عنهم في محادثتها الأخيرة! شعر بتشتت أركانه وانهيار أطرافه، شعر بأنه لا بد أن يواجهها ويُفَرغ بها كل ما يحمله صدره من غضب، نعم لا بد أن يفهم منها كل شيء قبل أن يقرر خطوته القادمة، كان هذا رأيه قبل أن يدقق النظر للمرة الأولى لصورتها المصاحبة لذاك المنشور، والتي تخلت فيها عن حجابها القصير وأسدلت شعرها الأسود الناعم خلف ظهرها، اتسعت حدقتاه بشدة وهو ينظر للصورة بعدم تصديق، أتكون ظنونه التي قفزت إلى رأسه للتو حقيقة، أتكون سارة تخلت عن حجابها، وعن علاجها، وعن كل شيء وعادت للدوامة التي كانت تعيشها سابقًا وأرادت أن ترتبط بأحدهم حتى تنسى إسلام وما فعله بها! أراد التحقق من ظنونه، فبدأ ينظر إلى التعليقات المصاحبة لذلك المنشور ووجد الجميع يهنئها بعلاقتها الجديدة ويتمنى كل منهم أن يكون مثلها، الجميع سعيد ويبارك لها على هذا الخبر السار، إلا فتاة واحدة فقط هي التي لم تتقبل الأمر، وعلقت بتعجبها من فرحتهم بتلك العلاقة المحرمة، مما جعل الجميع يستهزئ بها ويسخر منها ومن تفكيرها الرجعي العقيم، وجد إسلام معدل الغضب لديه قد وصل إلى القمة، فقام بالضغط بقوة على زر إغلاق الحاسوب الخاص به حتى كاد

أن يحطمه، وألقى بنفسه على فراشه وزفر زفرة قوية وهو ينظر إلى سقف غرفته وظل يفكر حتى راح في سُبات عميق.

استيقظ من نومه على صوت أذان المغرب، فنهض من مكانه وقد أثقلت الهموم كاهله، وبدأ يتمشى ببطء نحو دورة المياه ليتوضأ، هبط من منزله وقام بأداء صلاته، وبعدها وجد نفسه وبدون سابق ترتيب يتصل بفاروق ويخبره بحاجته إلى الحديث معه، ويسأله ما إذا كان لديه الوقت الكافي أم لا، ولما رحب فاروق بالفكرة وجد إسلام نفسه يستقل أول أتوبيس يوصله إلى منزل صديقه، استقبله فاروق بابتسامة واسعة ورحب به، فبادله إسلام ابتسامة خفيفة وبدأ في حديثه مباشرة بعدما جلس على أقرب كرسي للباب وقال:

- فاروق فاكر الشاب اللي كلمتك عليه قبل كده وكنت بقولك إنه بيحب واحدة وحصل بينهم شوية تجاوزات، وأنت قولتلي إنه لازم يبطل يتكلم معاها ويتوب لربنا، وإنها لو فيها الخير ليه فربنا هيقرب بينهم تاني ولكن في الحلال؟

ابتسم فاروق بعدما تذكر ذلك الحوار وقال:

- اه فاكره، يا ترى إيه الجديد في حياته دلوقتي؟

زفر إسلام بقوة، وقال وقد استعارت الحيرة لنفسها بوجهه مقعدًا:

- أنا هكون صريح معاك وأحكيلك على كل حاجة لأني في أشد الحاجة للنصيحة، الشاب ده يبقى أنا، والبنت اللي حبيتها زمان وبعدها توبت وبطلت أكلمها بقيت بحس مع مرور الوقت إن مكانتها بتقل في قلبي، وإن مش دي البنت اللي تناسبني كزوجة.

صمت قليلًا ثم استطرد:

- من كام يومٍ شوفت بنت جارتنا وصاحبة أختي، وسألت عنها وبصراحة أعجبت جدًا بأخلاقها ولقيتني مشدود ليها وبتمنى إنها تكون مراتي، بعدها بدأت أفتكر البنت اللي حبيتها زمان وحسيت إني كده طلعت ندل معاها، فقررت إني أطلع جارتي دي من دماغي وأرجع أتواصل مع البنت الأولانية وأحاول أتقدملها هي علشان أوفي بوعدي، النهارده بقى عرفت عنها شوية معلومات كده ضايقتني وحسيت إني مش هقدر أكمل معاها، فبصراحة مش عارف إيه الصح في الحالة دي، علشان كده قولت آجي أحكيلك جايز ألاقي عندك الحل.

عاد فاروق بظهره إلى ظهر كرسيه في هدوء، ثم هتف بعدما ربّع ذراعيه أمام صدره:

- بص يا سيدي، الموضوع يتلخص في نقطتين أساسيتين، النقطة الأولى: وهي إنكم أنتوا الاتنين أذنبتوا بعلاقتكم الحرام دي، وعلشان نصلح الموضوع ده بنتوب لربنا ونندم على الذنب ده ونبعد عنه تمامًا، وده اللي حصل، يبقى كده خلاص الموضوع انتهى، يعني بمعنى آخر أنت مش مُطالب إنك تتجوزها علشان بس حاسس بالذنب، لأنك لو عملت كده وهي مش مناسبة ليك حاليًا يبقى ظلمت نفسك وظلمتها واحتمال كبير تعيشوا في مشاكل لا حصر لها!

صمت للحظات حاول فيها التقاط أنفاسه واستأنف:

- ومن هنا بننتقل للنقطة التانية: وهي هل البنت دي مناسبة ليك دلوقتي ولا لأ؟ يعني ترتضيها زوجة بكل ما فيها من مميزات وعيوب ولا لأ؟ لو اه، يبقى تروح تتقدم لها وبإذن الله ربنا يجعلها من نصيبك لو فيها الخير ليك، ولو لأ، يبقى تدور

على الإنسانة اللي متوافقة مع شخصيتك لأن المفروض إن دي واحدة بإذن الله هتعيش معاها عمرك كله فبالتالي لازم تختارها بعناية.

شعر بأن هناك يدًا حانية تُربت على قلبه، هدّأت كلمات فاروق من روعه قليلًا، وهمس مجيبًا على استفسارات صديقه:

- بصراحة يا فاروق أنا لما أختي حكت لي عن صاحبتها دي لقيت تشابه كبير بين تفكيري وتفكيرها، ولقيت إن أحلامها تقريبًا نفس أحلامي، فحاليًا شايف أنها أنسب واحدة ليَّ، وبالنسبة للبنت التانية فهي فعلًا فكرة تأنيب ضمير مش أكثر.

- من رأيي يا إسلام إنك تقفل صفحة الماضي دي تمامًا، خلاص اللي حصل حصل وبإذن الله ربك يتقبل توبتك وكأن شيئًا لم يكن، حاول تتجاهل كل اللي فات، وتقطع أي طريق ممكن يوصلك للبنت بتاعت زمان، ودلوقتي بقى فكر في مستقبلك وشوف جارتك اللي بتقول عليها دي، لو فعلًا لقيت أنها مناسبة لإسلام بتاع دلوقتي بكل ظروفه وأفكاره، يبقى توكل على الله، وربنا ييسرلك الخير دائمًا.

بعفويةٍ ارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة جميلة، وتمتم بامتنان شديد:

- حقيقي يا فاروق كلامك ريحني، ربنا يجازيك كل خير.

وقبل أن يجيب صديقه، سأل إسلام باهتمام شديد ذاك السؤال الهام الذي طرأ على رأسه للتو:

- طيب لما أروح أتقدم لأي واحدة، المفروض أحكيلها عن كل الماضي بتاعي ولا أعمل إيه؟ أنا عاوز أكون صريح معاها، بس مش عارف النقطة دي لو عرفِتها ممكن النتيجة تكون إيه!

أجابه فاروق على الفور وبدون لحظة تفكير واحدة:

- لأ طبعًا متقولهاش أي حاجة عن الموضوع ده، ولا عن أي ذنب تاني عملته!
- طيب ومش كده هكون بخدعها؟
- لأ مش هتكون بتخدعها، لأن هي المفروض تحاسبك على أفعالك من أول ما تعرفك بس، إنما أي ذنب حصل قبل كده فده بيكون بينك وبين ربنا، يعني أنت عملت ذنب وتوبت عنه وربنا سترها عليك، مينفعش أنت بقى تيجي تفضح نفسك وتجاهر بالمعصية عادي كده، بالإضافة إلى أنها لو عرفت -ومهما تفهمت الموضوع- هتيجي في أي وقت بردو تفتكر اللي أنت عملته وممكن الموضوع يقلب معاها بشك، أو تبدأ تقل من نظرها، أو أي فكرة تانية الشيطان يوسوس لها بيها، فعلشان كده اتفق معاها من الأول إنكم مش هتحاسبوا بعض على أي حاجة في الماضي، وإنكم تركزوا في أفعال بعضكم الحالية بس، وكده كده محدش فينا خالي من الذنوب يا إسلام.
- متأكد يا فاروق؟

أومأ فاروق برأسه إيجابًا وأجاب بثقة:

- متأكد جدًا متقلقش، وعلشان قلبك يرتاح أكثر ابحث وإقرأ بنفسك فتاوى في الموضوع ده وهتلاقي كلامي صح بإذن الله.

تنهد إسلام براحة كبيرة وهمس باسمًا:

- يااااه يا فاروق، متعرفش الموضوع ده كان تقيل على قلبي ازاي، الحمد لله إني لقيت الحل اللي يريحني عندك.

- احنا في الخدمة دايمًا يا باشمهندس.

- طيب معلش آخر طلب قبل ما أمشي.

نظر فاروق لصديقه باهتمام بعدما أومأ برأسه بخفة معلناً قبوله لطلب إسلام، قال الأخير على الفور:

- أنا عاوز أقرب من ربنا أكثر من كده، حاليًا أنا الحمد لله انتظمت في الصلاة في المسجد، بدأت أفهم وأحفظ القرآن، وقرأت في سيرة جميع الأنبياء، ودلوقتي بقرأ في سيرة الصحابة وفي الفقه، أعمل إيه تاني قولّي؟

- شوف يا سيدي، فيه نقطة مهمة جدًا لو عرفت تدرب نفسك عليها هتظبط معاك حاجات كتير، وهي إنك تستشعر مراقبة ربنا ليك في كل وقت، يعني كل ما تيجي تعمل أي حاجة تسأل نفسك يا ترى الحاجة دي ترضي ربنا ولا لأ، يا ترى لو عملتها هتكون في ميزان حسناتي ولا سيئاتي، كده يعني.

- تمام، وإيه تاني؟

- فيه حاجات تانية كتير، يعني لو عبادات مثلًا، فممكن تبدأ بجدول خفيف كده فيه كام حاجة بسيطة تقدر تواظب عليها يوميًا زي مثلًا أذكار الصباح والمساء، ورد قرآن يومي، صلاة السنن وصلاة الضحى، سورة الملك قبل النوم، عدد معين من التسبيح والصلاة على النبي والاستغفار، قيام الليل حتى لو ركعتين مع ركعة الوتر. يعني اللي تقدر عليه اعمله، بالنسبة للمعاملات: فحاول دائمًا تخليك قدوة بأخلاقك، عامل كل

الناس بالحسنى وابتسم في وشهم، خد بالك من والدتك وبرها، حافظ على أختك لأنها مسئولة منك، حاول تخلي اللي يشوفك يقول هو ده المسلم اللي على حق، كمان راعي ربنا في شغلك واوعي تتشغل وتنسى أوقات الصلاة، يمكن مع مرور الأيام تلاقي أصحابك اتشجعوا وبقوا ينزلوا يصلوا معاك، خد بالك من عينيك وأنت ماشي في الشارع وحافظ على بنات الناس، وأخيرًا بقى حاول تتعلم عن دينك باستمرار سواء عن طريق الكتب أو الفتاوى أو حتى البرامج الدينية، وكل ما ييجي في بالك سؤال عن أي حاجة ادخل ابحث عنه وزود معلوماتك، ونكتفي بهذا القدر الآن.

- كلام جميل، كلام رائع، بارك الله فيك يا شيخنا.

قالها إسلام بمرح، فنظر له فاروق بغضب مصطنع وقال:

- بتتريق حضرتك!

- لأ والله بتكلم بجد، بإذن الله أحاول أنفذ كل الكلام ده، لأني نفسي أكون الشاب اللي يستاهل بنت بالأخلاق اللي سمعتها عنها دي، ربنا يقدرنا.

- بس خد بالك يا إسلام، أنت هتعمل الحاجات دي علشان ترضي ربنا، مش علشان البنت توافق عليك، فاهم الفرق؟

قالها فاروق بحذر شديد وجدية، فأومأ إسلام برأسه متفهمًا وأجاب:

- ما تقلقش يا فاروق، أنا قررت أمشي في الطريق ده ومش هسيبه أبدًا بإذن الله مهما حصل، كل الحكاية بس إني حسيت أنها بنت على خلق وتستاهل كل خير فحبيت أكون الشخص اللي هي بتتمناه، لكن حتى لو محصلش نصيب فأنا مكمل في طريقي بردو إن شاء الله.

ألقى بجملته الأخيرة ونهض من مكانه مودعًا صديقه بعدما شعر أن الزيارة قد طالت، وأنه لا بد له أن يعود لمنزله قبل تأخر الوقت، هبط درجات السلم بسرعة وبدأ يسير في الشارع باتجاه موقف الأتوبيس، شعر بأن طيور السلام تحلق وتتراقص داخل قلبه، شعر براحة غريبة وفريدة من نوعها لم يشعر بها منذ فترة، فسبحان من بدل تلك الحالة السيئة التي كان يعيشها قبل بضع ساعات إلى تلك الراحة الجميلة التي يشعر بها الآن، أخذ يسترجع كلمات فاروق ويفكر في خطوته القادمة، قرر ألا يتحدث مع سارة ثانية رغم رغبته الشديدة في معرفة سر كلماتها التي رآها قبل عدة ساعات، إلا أنه سيستمع إلى كلمات فاروق ويقطع كل السُبل الموصلة إليها، قرر أيضًا أن يحاول التقرب من ربه بالمزيد من الطاعات في الفترة القادمة، وبعدها إذا رأى في نفسه نفس تلك الرغبة، ونفس ذاك الشغف بالزواج من ذات الملابس الفضفاضة، فسيبدأ في التحدث في الأمر مع والدته وأخته، وليفعل الله له الخير حينها.



بعد مُضي شهر كامل، ومع استمرار تشبث الفكرة برأسه ورفضها أن تستسلم لمخاوفه وجد نفسه يقهر خوفه ويتخذ قراره بالتقدم لها وينتظر بعدها ما سيحدث، كانت مخاوفه في الفترة السابقة من عدة أشياء، أهمها كون إمكانياته محدودة وراتبه صغير ولذلك لن تقبل به أي عائلة، فذلك المبلغ من المال الذي تركه له والده بعد وفاته لن يغطي كل التكاليف المطلوبة، ولذلك فأسرة العروس لا بد أن توافق على تلك الإمكانيات البسيطة المتوفرة معه الآن حتى يستطيع تدبير باقي المبلغ المطلوب، كانت هذه الفكرة كافية بالنسبة له لكي لا يفكر في أمر الزواج قبل عدة سنوات، إلا أن خوفه من ضياع سلمى من بين يديه جعله يفكر في الأمر مرة أخرى ويقرر السعي جاهدًا للوصول إليها وهو على يقين من أن الله

قادر على أن يحقق له ما يتمناه حتى لو رآه صعبًا، كان يخاف أيضًا من ألا يكون هو ذاك الشاب الذي تحلم به سلمى، خاف أن تكون متطلباتها في فارس أحلامها تفوقه بمراحل، ولكنه تراجع عن هذه الفكرة سريعًا وقرر ألا يسبق الأحداث وينتظر حتى يسمع منها رأيها بنفسه، أما عن راتبه الصغير، فقد ظن بسلمى خيرًا وشعر أنها ستوافق عليه وتقف إلى جواره حتى تتحسن حالته المادية ويستطيع تعويضها وقتها عن كل لحظة صبر وعناء شعرت بها معه، كما أن الشركة التي يعمل بها تقوم بترقية أحد الموظفين الجدد كل عام وتزيد من راتبه وذلك حسب الكفاءة كما زعموا، لذلك شعر إسلام أن الترقية ستكون من نصيبه في هذا العام لأن مجهوداته وجدارته في العمل تظهر جلية أمام الجميع.

غادر غرفته بعدما حسم أمره وتوجه إلى غرفة والدته ليفاتحها في الأمر، فوجد منها ترحابًا شديدًا لأنها تثق في أخلاق سلمى وتشعر بالاطمئنان عندما تجد هند معها، كان لرد فعل والدته بالغ الأثر الطيب على نفسه، فلم يتوقع أن تتحمس للفكرة لهذه الدرجة، على الفور استأذن منها وغادر إلى غرفة هند ليخبرها هي الأخرى بما يفكر به، للوهلة الأولى تعجبت هند بشدة من طلبه وأخبرته بأنه لا يعرف سلمى جيدًا حتى يُقدِم على هذه الخطوة، إلا أنه أخبرها بأنه سمع عنها ما يكفي من الخِصال الطيبة التي شجعته على اتخاذها زوجة له، وبأنه بالتأكيد سوف يتعرف عليها بوضوح أكثر في بيت والدها، جلست هند على أريكتها وبدأت تفكر للحظات وهي تطرق بأصابعها على الطاولة، ثم التفت إليه وأخبرته بأن سلمى لا تفكر في الزواج حاليًا وترفض أي مشروع ارتباط قبل تخرجها، وأيضًا والدها من الممكن ألا يوافق على شخص في إمكانياته المحدودة، زفر إسلام زفرة طويلة، ثم طلب من هند ألا تحاول إحباطه وتشتيت أفكاره، وأخبرها أن تذهب لسلمى وتحدثها في

الأمر لتعرف رأيها منها هي مباشرة، وإذا لم يتيسر الأمر فسيعلم بأن الخير لم يكن في زواجه منها، طلبت منه هند أن يتركها لبعض الوقت لتفكر في الأمر وترتب الحوار الذي ستديره مع سلمى في رأسها قبل أن تذهب إليها، فأخبرها إسلام ببعض النقاط الهامة التي لا بد أن تتحدث فيها لتعرف رأي صديقتها بوجه عام، وإذا وجدت أن مواصفات فارس أحلامها تتشابه مع مواصفات إسلام حينها فقط تعرض عليها طلبه وتنتظر رد فعلها، استجابت هند لمطلبه لِما رأته في عينيه من إصرار، وحاولت أن تزيل تلك الهموم التي ظهرت جلية على وجهه وبدأت تسأله عما أعجبه في سلمى، ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه إسلام وبدأ يحدثها عن بعض الصفات الجميلة التي سمعها عنها وتركت في قلبه أثرًا طيبًا جعله يتحمس بشدة لتلك الفكرة، فبدأت هند بدورها تحدثه مرة أخرى عن سلمى وعن أخلاقها الطيبة ومشاعرها الصادقة تجاه كل من تحب، مما أشعره أنه كان على حق عندما قرر خوض التجربة وتحمل النتائج مهما كانت، بعد قليل تركها إسلام لتنفرد بنفسها كما طلبت وخرج لأداء بعض الأمور الخاصة به، بينما جلست هند تتخيل سلمى وهي زوجة لأخيها وأم لأولاده وبدأت هي الأخرى تتحمس للفكرة، حتى وجدت نفسها ترفع سماعة الهاتف وتخبر سلمى بأنها آتية لزيارتها بعد نصف ساعة.

ارتدت هند عباءتها السوداء التي ترتديها عادة عندما تذهب لأي مكان قريب من منزلها، وهبطت على الفور باتجاه منزل سلمى، بدأت تحدثها عن أمور شتى، ومع مرور الدقائق بدأت تتطرق معها إلى موضوع فارس الأحلام، وأخذت تحدثها عن صفات من تريد الزواج منه وتحلم بقضاء باقي حياتها معه، فبدأت سلمى بدورها تتحدث عن ذلك الشاب المؤمن القوي الذي تتمنى الزواج منه، أخبرتها بأنها تحلم بمن يكون هدفه

الأول في هذه الحياة هو رضا اللّٰه عز وجل، بمن يشجعها على التقرب من اللّٰه ويعلمها دينه وقرآنه، بمن يعرف حقوقه وواجباته، ويتعامل معها كما تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع زوجاته، بمن يراها أجمل النساء، وينظر لجمال قلبها قبل أن يهتم بجمال جسدها، بمن ينوي إنشاء بيت مسلم ويربي أولاده على الدين الصحيح حتى يكونوا قدوة بين أقرانهم فيما بعد، أخبرتها أن الشكل، والحالة المادية، والمكانة الاجتماعية لا يهمونها بقدر ما يهمها كونه يخاف اللّٰه ويعاملها بما يرضيه، أما الباقي فيكفي فيه أن يصل إلى درجة القبول لا أكثر، أخبرتها أيضًا بأنها تسعى جاهدة لتكون تلك الزوجة التي تستحق شابًا مثل هذا، وأنها على يقين من أنها ستجده يومًا ما بإذن اللّٰه، كانت هند تعلم بأن سلمى تتمنى تلك الأمنيات لأنها تحدثت معها في ذلك الأمر من قبل عدة مرات، إلا أن هذه المرة بالتحديد كانت تستمع إلى كلمات صديقتها بمنتهى التركيز، وكلما قالت سلمى كلمة تشبه ما قاله إسلام من قبل كانت تتيقن من أن صديقتها عروسٌ مناسبة جدًا لأخيها، أرادت أن تتحدث معها بوضوح أكثر لتعرف رأيها في إسلام بما أنه أصبح يشبه كثيرًا ذلك الشاب القابع في خيالها، ألقت سؤالها العابر وهي العالمة بالإجابة:

- سلمى هو أنتِ ممكن تفكري تتخطبي دلوقتي؟

ضحكت سلمى بتلقائية وأجابت متعجبة:

- إيه يا هند ما أنتِ عارفة رأيي من زمان في الموضوع ده!

- طيب لو افترضنا إن فيه عريس موجود دلوقتي، وفيه صفات كتير من اللي بتحلمي بيها، ساعتها هتوافقي ييجي يتقدم؟

قالتها وعقدت ذراعيها أمام صدرها، وبدأت تنظر في عيني سلمى وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة، اقترب حاجبا سلمى من بعضهما البعض وبدأ كل منهما ينظر للآخر بدهشة بينما هي تجيب:

- مش عارفة يا هند، بس هو أصلاً هييجي منين يعني!
- مش مهم هييجي منين، المهم هتوافقي ولا لأ؟

زفرت سلمى بضيق بعدما بدأت تظهر علامات الخجل والتوتر على وجهها وقالت:

- هند يا ريت تقولي كل اللي عندك علطول بدل القلق ده!

ضحكت هند لِما رأته من بوادر حياء على وجه صديقتها، وقالت مفسرة:

- فيه شاب تقريبًا عنده نفس أفكارك في حاجات كتير وحابب ييجي يتقدملك، وقالّي أسألك هل المبدأ موجود ولا لأ.
- مين الشاب ده؟

سألت باهتمام. فأجابت هند بحماس:

- إسلام أخويا.
- إسلام أخوكِ!

قالتها سلمى بذهول وقد ارتفع صوتها قليلًا مما أشعر هند بالضيق، وجعلها تجيب باندفاع:

- أيوة إسلام أخويا، ماله وحش ولا إيه؟!

ابتلعت سلمى ريقها بحرج شديد بعدما أدركت تأثير رد فعلها على صديقتها، حاولت الهدوء ورسم ابتسامة خفيفة على شفتيها، وبدأت تقول معتذرة:

- لأ والله مش قصدي يا هند، على عيني وعلى راسي طبعًا، بس أنتِ يعني عارفة تفكيري كويس ومتهيألي إسلام أخوكِ مش زي الشاب اللي بحلم بيه خالص!

- هو ده السبب بس يعني؟!
- اه والله هو ده.

لانت ملامح هند بعض الشيء، وبدأت تحدث سلمى عن مواصفات إسلام وعن التغيرات الكثيرة التي طرأت على حياته في الفترة الأخيرة، فكانت سلمى تستمع وابتسامتها تتسع من آن لآخر، فقد شعرت بأنه يشبهها في أشياء كثيرة حتى أنه بدأ يتقرب من الله عز وجل في نفس التوقيت الذي بدأت هي الأخرى تشق طريقها فيه نحو الجنة، انتظرت حتى انتهت هند من حديثها وكادت أن تتحدث ولكنها لم تجد ما تقوله فصمتت، سألتها هند عن رأيها فأخبرتها بأنها لا تعرف، شعرت هند بأنها محرجة منها فسألتها بوضوح أكثر:

- طيب إيه رأيك في شكله؟ أو في الكلام اللي قولته عنه؟
- الكلام جميل جدًا طبعًا ويفرح أي حد، إنما الشكل فبصراحة مش فاكراه أوي، بس عمومًا أنا أهم حاجة عندي هو من جواه عامل إيه، لأني لو حبيت اللي جواه فطبيعي جدًا عيني هتشوفه حلو.
- أيوة يعني مفهمتش بردو! موافقة مبدئيًا إنه ييجي وتقعدوا مع بعض تتعرفوا أكثر ولا لأ؟
- مش عارفة يا هند، مش عارفة.

قرأت هند بسهولة الحياء الظاهر على وجه صديقتها، والحيرة التي أدركتها من كلماتها البسيطة المبعثرة، فأرادت أن تنتشلها من هالة الحرج التي تحيط بها وقالت بعدما أدركت أنها لا ترفض الأمر بشدة هذه المرة كما كانت تفعل من قبل، ولكنها أيضًا تخجل من أن تخبرها بموافقتها المباشرة:

- طيب بُصي اتكلمي مع أهلك في الموضوع وأنا هتصل بكِ بعد يومين كده بإذن الله وأشوف رأيك، تمام؟

أومأت سلمى برأسها ممتنة، فنهضت هند من مكانها وبدأت تودعها متعللة بأن والدتها تجلس وحيدة بالمنزل ولا يجب أن تتأخر عليها أكثر من ذلك، تفهمت سلمى الأمر واحتضنت صديقتها بحرارة، ثم أوصلتها إلى باب المنزل وتبعتها بعينيها حتى اختفت عن ناظريها، أغلقت الباب وهرولت باتجاه غرفتها مرة أخرى.

ألقت سلمى بجسدها الضئيل على الفراش، ووضعت كفيها خلف رأسها وبدأت تفكر في كلمات هند التي ألقتها على مسامعها قبل قليل، لا تنكر أنها شعرت بشعور رائع وهي تسمع من هند صفة تلو الأخرى تجذبها نحو إسلام، وتؤكد لها بأن ما تحلم به من الممكن أن يتحقق في واقعها، ولكنها أيضًا ما زالت عند رأيها بخصوص عدم الارتباط أثناء الدراسة، بدأت تسأل نفسها ماذا لو كان إسلام هو ذاك الرجل الذي تتمناه، هل من المعقول أن ترفضه بسبب انشغالها بدراستها التي ستنتهي بعد أشهر قليلة! أم تستقبله في منزلها وتتحدث إليه ووقتها فقط ستتضح الرؤية بالنسبة لها وتقرر قرارها النهائي عن قناعة، هذا هو، هكذا رددت قبل أن تنهض من مكانها وتذهب باتجاه غرفة مكتب والدها لتحادثه في الأمر. طرقت طرقات خفيفة على الباب الخشبي بني اللون، فأتاها صوت والدها من خلف الباب يأذن لها بالدخول، جلست أمامه وتنحنحت في حرج بالغ، وقالت هامسة:

- بابا في عريس عاوز يتقدملي، فكنت عاوزة أعرف رأي حضرتك في الموضوع.

ترك والدها الكتاب الذي بين يديه، وعدل من وضعية نظارته الطبية وهو ينظر إليها وأجابها متعجبًا:

- مش أنت قولتي إنك مش موافقة على أي ارتباط قبل ما تتخرجي؟
- فعلًا ده كان رأيي، بس العريس ده أخو صاحبتي وتقريبًا هو شاب كويس، فحاسة إني مش هينفع أرفضه علشان السبب ده يعني.
- تمام مفيش أي مشكلة، قوليلي مواصفاته إيه.

أخبرته سلمى بإيجاز عن اسمه وعمله وقليل من صفاته، فأجاب والدها بإعجاب:

- مهندس وشغال في شركة كبيرة، ممتاز! كده هيعيشك في مستوى كويس.

ابتلعت سلمى ريقها بتوتر وأجابت بحروف مبعثرة:

- طبعًا إن شاء اللّه.

فأمسك والدها بالكتاب الذي كان يقرأ فيه من جديد بعدما أخبرها بأنه ينتظر اتصال إسلام في أي وقت، فنهضت من كرسيها الوثير وخرجت من الغرفة بعدما أغلقت الباب خلفها بهدوء، وقررت أن تتصل بهند في اليوم التالي وتخبرها باستعدادهم لاستقبال إسلام، وتطلب منها أن يتواصل هو مع والدها لتحديد موعد الرؤية الشرعية.

بعد يومين وجدت سلمى والدها يناديها ويخبرها بأن إسلام قام بالاتصال به وتم تحديد موعد الرؤية الشرعية على أن تكون الخميس القادم بإذن المولى، إذًا لم يتبق لها سوى ثلاثة أيام قبل أن تقابل العريس المنتظر، وبالتالي لا بد لها أن تقوم بتجهيز كل الموضوعات التي تريد مناقشته فيها لتعرف إذا كانت كلمات هند في محلها أم أنها تراه مميزًا عن الجميع فقط لأنه أخيها.



يوم الخميس بعد صلاة المغرب بنصف ساعة تقريبًا سمعت طرقات خفيفة على باب منزلها، ولكنها كانت قوية جدًا على مسامعها، وكأنها كانت تطرق فوق باب قلبها فتزيده توترًا، عدّلت من هندامها المتواضع ووقفت خلف الستار لكي تلتقط للزائرين أية صورة تُهدّئ بها من روعها وترضي فضولها، ولكنها كالعادة لم تتبين إلا ظهر إسلام ووالدته، سار الأب بهما حتى وصلا إلى نهاية الصالة، جلسوا جميعًا وبدأ الحديث عن إسلام وعمله، أخلاقه، عائلته وعائلة والده، ثم نهض الأب من مكانه وسار باتجاه غرفة سلمى -التي ما إن شعرت باقترابه حتى هرولت باتجاه غرفتها- وقام باصطحابها إلى مجلس العائلة، أجلسها في مواجهة إسلام وبدأ يحدثه عن دراستها وصفاتها الطيبة، ثم نظر لزوجته نظرة ذات معنى فقامت باصطحاب والدة إسلام إلى الداخل حتى يتحدثا بأريحية أكثر، بينما اتخذ والد سلمى مجلسًا بعيدًا عنهما بعض الشيء، وأخذ يُقلب في أحد الكتب وهي ينظر إليهما بين الفينة والأخرى حتى يترك لهما المجال ليتعرفا على شخصيات بعضهما البعض، ابتسم إسلام وهو ينظر لسلمى لأول مرة منذ بداية الجلسة، وتمتم بهدوء:

- ازيك يا آنسة سلمى؟

أومأت برأسها إيجابًا ورسمت ابتسامة خفيفة على شفتيها وهي تتمتم بعبارات الحمد، ولكنها لم تستطع أن ترفع رأسها عن الأرض من فرط حيائها، بدأ إسلام يتأمل في ملامحها الهادئة بأريحية تامة، فالآن وفقط حان وقت إطلاق البصر، ظل يتأملها ما يزيد عن الدقيقتين وفي كل لحظة ابتسامته تتسع أكثر من ذي قبل، أعجبته براءة وجهها وحياؤها الظاهر عليه، أعجبه جمالها الطبيعي والخالي من أي مستحضرات تجميل صناعية، لم تكن سلمى بالجمال الخلاب في مقاييس العديد من البشر، ولكنها كانت في عينيه من أبرأ وأجمل الفتيات التي رآهم في حياته، يكفي

أنه بمجرد أن ينظر إليها يجد الابتسامة تشق مجراها عبر شفتيه بدون إنذار مُسبق، انتبه إلى أن صمته قد طال فحاول أن يعثر في ذاكرته على أي سؤال يبدأ به حواره معها، ولكن ذاكرته خانته في تلك اللحظة رغم كثرة الأسئلة التي ظل يحفظها قبل أن يأتي، تنهد في يأس وحاول أن يجمع شتات نفسه، ثم قال بدون تفكير:

- بتحبي الرغي؟

نظرت له سلمى بتعجب ممزوج بالخجل وأجابت متسائلة:

- رغي!

تنحنح إسلام وقال موضحًا:

- هكلمك عن نفسي شوية، تحبي أختصر ولا أقولك كل اللي جوايا؟

- لأ اتفضل حضرتك قول كل اللي جواك.

اعتدل إسلام في جلسته، تحرك قليلًا إلى اليمين حتى يكون في مواجهتها تمامًا، ثم بدأ حديثه قائلًا:

- احنا عندنا اتنين إسلام، إسلام بتاع زمان، وإسلام بتاع دلوقتي.

ولما وجدها بدأت تنجذب لكلماته أضاف:

- أنا عيشت أكثر من عشرين سنة من حياتي تقريبًا بدون هدف، كان هدفي الوحيد إني أكون مبسوط ومتفوق وبس، عمري ما فكرت أنا مخلوق ليه، أو مهمتي في الحياة دي إيه، تصرفاتي كلها كانت طايشة وتقريبًا مفيهاش حاجة مفيدة، يمكن الحاجة المفيدة الوحيدة اللي عملتها هي إني اتحملت

مسئولية هند وماما، وكمان ده مكنش بمزاجي، ده كان غصب عني بعد وفاة بابا الله يرحمه.

دعت سلمى لوالده بالرحمة ونظرت إليه مبتسمة تحثه على المواصلة، فقال:

- يمكن دلوقتي الموضوع بقى مختلف شوية، من حوالي سنتين كده بدأت أقرب من ربنا واتعرفت على صحبة صالحة، بدأت أعرف أنا عايش ليه، وإيه هدفي الأساسي في الحياة، اكتشفت إني لازم أسعى بكل قوتي علشان آخد رضا ربنا، وإن المفروض كل حاجة بعملها في حياتي تكون لله، يعني أكلي، شربي، شغلي، زواجي، تربيتي لأولادي، وكل حاجة في الدنيا المفروض نيتي الأساسية فيها إني بعملها علشان ربنا، وعلشان بعدها بإذن الله أفوز بالجنة، عرفت وحسيت بحاجات كتير مكنتش أعرف عنها حاجة، زي إني أستشعر قرب ربنا مني، إني أحس بكلمات القرآن بتلمس قلبي، وإني فعلًا يبقى كل هدفي في الدنيا إني أحس إن ربنا راضي عني وعن تصرفاتي، أي نعم أنا لسه في أول الطريق، بس بحمد ربنا من كل قلبي إنه هداني قبل ما أموت.

تنفس بعمق ثم استعاد ابتسامته وهو يتذكر رفيق دربه واستطرد:

- السبب الأساسي في تغييري من إسلام رقم واحد لإسلام رقم اتنين هو محمد حبيبي وصديق عمري الله يرحمه، محمد ده كان كتلة خير ماشية على الأرض، كان دائمًا واقف جنبي في أي مشكلة بتقابلني، وكان علطول بيقولّي إننا لازم نقرب من ربنا ونلحق نفسنا قبل ما نموت، بس أنا كنت بستهتر بكلامه باعتبار إن العمر لسه طويل قدامنا وهنبقى نتوب بس مش

دلوقتي، بس العمر مطلعش طويل ولا حاجة زي ما كنت فاكر، وبين يوم وليلة لقيته مات قبل ما يلحق يتوب، يمكن ده كان أقسى درس أتعلمته في حياتي، ومن بعدها وأنا بحاول أرجع لطريق ربنا علشان ألحق نفسي قبل ما أموت أنا كمان وأنا بعيد.

لاحظ إسلام تأثر سلمى الشديد بكلامه، فأضاف بعض المرح إلى صوته ليواري ما يشعر به وقال:

- وخلصت الحكاية، هو ده بقى إسلام اللي قدامك.

كان شعورها مزيجًا من الدهشة والحزن والخوف والفخر وعدم التصديق، كل ذلك يتضارب في الآن نفسه، لم تستطع أن تنطق ببنت شفة، فما سمعته للتو يحتاج إلى المزيد من الوقت لاستيعابه وتصديقه قبل أن تُجيب عليه، ففقدان الإنسان لصديقه بهذه الطريقة وشعوره القاتل بالذنب تجاهه حتمًا هو من أقسى المواقف التي من الممكن أن يتعرض لها أي شخص، لاحظ إسلام شرودها المتوقع، فأراد أن يخرجها منه وقال بأدب:

- ممكن بقى تكلميني أكثر عن سلمى؟

ارتسمت فوق وجهها ابتسامة حيية من أعذب ما رأى، وخالج قلبها شيء من السعادة وهي تستمع لطريقته المريحة في الحديث، والتي تزيل التوتر عن قلبها رويدًا رويدًا وتجعلها تتحدث عن كل دواخل نفسها بكل أريحية، نظرت للأرض كعادتها وقالت بهدوء:

- سلمى بردو نفس نظام حضرتك كده، يعني كانت عايشة حياتها زي ناس كتير بدون أي هدف حقيقي، كنت حاسة إن فيه حاجة ناقصة، أو إن مش دي الحياة اللي المفروض

أعيشها، بس مكنتش أعرف إيه الصح علشان أعمله، لحد ما ربنا رزقني ببنوتة من على الفيس اسمها حفصة عرفتني على جروب كده تقريبًا شقلب حياتي كلها، اتعلمت منه حاجات كتير جدًا، وعرفت أنا عايشة ليه، وإيه هدفي في الحياة، بعدها بدأت أغير من نفسي ومن تفكيري، والحمد لله بطلت حاجات كتير جدًا غلط كنت بعملها، ولسه مكملة أهو بإذن الله، مش هنكر إني أوقات كتير بضعف ومش بكون قادرة أخد أي خطوة جديدة، ويمكن ده بسبب إن حفصة اتجوزت وسابتني، بس الحمد لله بعدها برجع أقوى من الأول وبكمل في طريقي، وبإذن الله مش هرتاح إلا لما أوصل للجنة.

شعر إسلام بسعادة كبيرة تغمر قلبه، شعر بأنها تتحدث عنه هو وليس عن نفسها، أراد أن يخبرها بأنها تشبهه كثيرًا، وبأنه سعيد جدًا بحديثه معها، ولكنه كتم شعوره بداخله بعدما مر بخاطره سؤال كان لا بد أن يعرف إجابتها عليه وقال:

- لو اتقدملك شخص كويس بس فقير هتوافقي؟

همت بالإجابة، ولكنه قاطعها مسرعًا وقال بجدية وهو يشبك أصابعه ببعضها:

- عاوزين نتفق على حاجة الأول، كل كلمة هنقولها هنا لازم نكون مقتنعين بيها تمام الاقتناع، يعني لما حد فينا يسأل أي سؤال لازم التاني يجاوب فعلًا الإجابة اللي في قلبه، وبكل صراحة وصدق، لأن الصراحة دي مهمة جدًا وهتفيدنا كتير، إنما لو كل واحد حاول يحلي كلامه ويعمل إنه حد كويس ومفيهوش غلطة وبعد كده بدأت تظهر شخصيته الحقيقة بيكون الوضع سيئ جدًا وبيبدأ الطرفين يفقدوا الثقة في بعض، بالإضافة

إلى أنهم بيحسوا أنهم اتجوزوا ناس غير اللي كانوا يعرفوهم، وأنا بصراحة مقبلش إن حاجة زي دي تحصل أبدًا بيني وبين مراتي.

علقت سلمى بحماس شديد على كلماته وقالت:

- أنا مبسوطة جدًا إن حضرتك ذكرت النقطة دي، لأن دي تقريبًا من الأولويات عندي، يعني بحب أظهر وأتكلم بطبيعتي جدًا لأني بحس إن دي أبسط حقوق الإنسان اللي هعيش معاه، غير إننا لو واضحين ومتفقين على كل حاجة من الأول ده بيقلل نسبة المشاكل بعد كده بشكل كبير جدًا، بالإضافة إلى إني بكره الكذب جدًا أصلاً فمتقلقش بإذن اللّه.

أخذت نفسًا عميقًا ثم استطردت:

- وردًا على سؤال حضرتك، وبكل صراحة هقول على حسب درجة الفقر ده، يعني مش هقدر أجزم إني ممكن أعرف أعيش في عشة فوق السطوح مثلًا، إنما لو شقة صغيرة حتى لو إيجار، والمرتب صغير شوية مفيش عندي أي مشكلة، ولو الإنسان فعلًا كويس فأنا مستعدة أستحمل معاه كتير جدًا لحد ما يقف على رجليه بإذن اللّه.

أحب إسلام صراحتها وإجابتها العقلانية المتزنة والواضحة، فلم تخبره بأنها تقبل به فقيرًا وفقط، ولكنها أرادت وضع النقاط فوق الأحرف حتى يكون كل شيء واضحًا أمام عينيه، سألها عن مواصفات الزوج الذي تتمناه فأجابت:

- نفسي أوي في حد يراعي ربنا فيَّ، ويعاملني زي النبي عليه الصلاة والسلام ما كان بيعامل زوجاته، حد يكون سند ليَّ

وأحس بالأمان وأنا معاه، حد أكون عارفة إني لما أغلط هلاقيه بينبهني ويقولي إن اللي عملته ده غلط علشان ربنا قال كذا مش علشان الناس قالوا كذا، حد يكون رضا ربنا أول أولوياته، لأنه لو فعلًا كان كده فأكيد هياخد باله مني وحتى وقت الزعل عمره ما هيظلمني لأنه هيخاف من حساب ربنا.

أعجبته كلماتها، وهمّ أن يسألها سؤالًا ولكنه سمع أذان العشاء، فنهض من مكانه وأخبرها بأنه سيذهب لأداء الصلاة ويعود مرة أخرى إذا أرادت ذلك، ولما وجد منها ابتسامة مُرحّبة خَجِلة استأذن من والدها في الهبوط للمسجد والعودة مرة أخرى لمواصلة الحديث مع ابنته، فوافق الأب وهبط معه لأداء الصلاة، بينما هرولت هي باتجاه غرفتها لتؤدي صلاتها هي الأخرى وقلبها يشع بهجة وسرور.

انتهت من صلاتها وجلست على طرف فراشها بسعادة بالغة، لأول مرة تشعر بذلك الكم من الراحة تجاه شخص ما، لوهلة شعرت بأنه نصفها الآخر الذي يطابقها في أشياء كثيرة، شعرت وكأنها كانت تجلس أمام الشخص الذي ظلت تحلم به ليالٍ طوال، ثم ضحكت ضحكة خفيفة وبدأت تنفض تلك الأفكار الحالمة عن رأسها، وأخذت تحث نفسها على عدم التسرع، فما سمعته منه ليس كافيًا أبدًا للحكم عليه، بدأت تسترجع بعقلانية تامة كلماته السابقة في محاولة منها لتحليلها، حتى سمعت طرقات خفيفة على باب منزلها أتبعها والدها بتدوير المفتاح في المكان المخصص له والدخول بصحبة إسلام، تعجبت من أن والدها طرق الباب رغم أنه يمتلك المفتاح، ولكنها بعد ذلك أدركت أنه ربما فعل ذلك لينبههم قبل دخوله مع ذاك الغريب، ثوانٍ قليلة مرت قبل أن ينادي عليها والدها لمواصلة الحديث مع عريسها، جلس إسلام مقابلًا لها وابتسم وهو يقول:

- احنا اتفقنا إننا هنتكلم بكل صراحة صح؟ وبناءً عليه فأنا عاوز أعرف أكثر عن شخصيتك، يعني بتحبي إيه وبتكرهي إيه، إيه الصفات اللي ممكن تستحمليها، وإيه الخطوط الحمراء بالنسبالك اللي مينفعش حد يتعدى عليها.

صمت للحظات قبل أن يقول بجدية واضحة:

- معلش هي الحاجات دي مهمة بالنسبالي شوية، لأن ممكن تلاقي اتنين كويسين جدًا وعلى خلق، ولكن شخصياتهم مش متوافقة مع بعضها، وبالتالي بتلاقي علاقتهم حلوة مع كل الناس إلا مع بعضهم، وده طبعًا كارثة، علشان كده مهم بالنسبالي أعرف شخصيتك متوافقة معايا ولا لأ.

شبكت سلمى أصابعها ببعضها في شيء من الخجل وسحبت نفسًا عميقًا قبل أن تقول:

- لو جينا نتكلم عن شخصيتي فممكن نقول إن أنا حد متفائل جدًا وعنيد إلى حد ما، يعني لما بحط حاجة في دماغي بحاول أسعى بكل الطرق علشان أوصلها طالما متأكدة إنها صح وترضي ربنا، كمان معنديش حاجة اسمها مستحيل وواثقة إن قدرة ربنا بلا حدود وبالتالي بستعين بالله بقلب جامد وفعلاً بلاقي ربنا قواني وحققلي اللي اتمنيته وسعيت له.

اعتدلت في جلستها وعقدت ذراعيها أمام صدرها بتلقائية شديدة وهي تقول بجدية:

- فيه حاجة مهمة جدًا في شخصيتي لازم زوجي المستقبلي يكون واخد باله منها لأنها هيتوقف عليها حاجات كتير جدًا، وهي إن أنا عادة مش بعرف أتخانق وأعلي صوتي، ودي هتكون

ميزة بالنسباله، ولكني بردو بشيل جوايا جامد جدًا، وده عيب محتاج منه مجهود علشان يتعامل معاه كما يجب.

لم يفهم إسلام مقصدها فنظر لها وكأنه يحثها على توضيح كلماتها، فقالت بهدوء:

- يعني ببساطة شديدة أنا مش من النوع اللي بيتخانق على أي حاجة، وبحاول أكون متفهمة لأقصى درجة وبالتالي بإذن الله ده هيقلل عدد المشاكل جدًا بيني وبين جوزي، لكن كمان أنا بيصعب عليَّ نفسي بسرعة جدًا، يعني ممكن في مرة هو يزعقلي أو يقول أي حاجة تزعلني ويلاقيني بقوله حاضر، لكن بعدها يلاقيني علطول ساكتة ومش بضحك ومش متفاعلة معاه نهائي، بالرغم من إن هو ممكن أصلاً يكون نسي الموضوع كله، لكن أنا بفضل شايلة جوايا وغصب عني مش بقدر أتكلم، ساعتها بقى مطلوب منه إنه يتفهم النقطة دي ووقت ما يحس إني مش طبيعية يعرف إن فيه حاجة زعلتني ويحاول معايا لحد ما أقول اللي جوايا وبعدها خلاص برجع تاني زي الأول، يعني الخلاصة ممكن نقول إن أنا واحدة حساسة جدًا، وبالتالي بزعل بسرعة، وبردو بتصالح وبصفى بسرعة.

تنحنحت بحرج بالغ وقالت بابتسامة خجلة:

- معلش أنا عارفة إني اتكلمت في النقطة دي كتير، بس حقيقي الموضوع ده مهم جدًا بالنسبالي، لأن لو جوزي تفهم الحتة دي يبقى بإذن الله مشاكلنا هتتحل أول بأول، أما لو كبر دماغه وما أعطهاش اهتمام يبقى أنا هفضل أشيل منه، وموقف ورا موقف نبدأ نبعد عن بعض واللي جوانا يتغير من ناحية بعض

وبالتالي هنعيش زي ناس كتير علشان العيال، وده طبعًا شيء مرفوض تمامًا بالنسبالي.

نظر لها إسلام بإعجاب شديد وقال بحماس ظهر جليًا في كلماته:

- بتعتذري ليه؟ بالعكس أنا مبسوط جدًا إنك اتكلمتي في الموضوع ده، لأن فعلًا معظم الناس لما مش بيحلوا مشاكلهم أول بأول بتلاقي المواقف بدأت تتراكم وكل واحد بيبقى شايف نفسه هو اللي صح والتاني شخص أناني ومش بيفهم، وبعدها بعد ما كانوا أقرب اتنين لبعض بيبقوا عايشين سوا بس علشان مياخدوش لقب مطلق أو مطلقة، الموضوع فعلًا مهم زي ما قولتي.

أحضرت والدة سلمى لإسلام كوبًا آخر من العصير بعدما لاحظت اندماجه الشديد من ابنتها، فابتسم لها بامتنان وارتشف رشفة خفيفة من الكوب ثم وضعه على المنضدة، وسأل سلمى باهتمام:

- يا ترى فيه نقاط تانية هامة بالنسبالك حابة إنك توضحيها؟

أومأت برأسها إيجابًا وقالت:

- علاقته بربنا فيها شوية أساسيات مش هقدر أقبل بأقل منها أبدًا، يعني بالنسبالي على الأقل لازم يكون مواظب على فروضه، صلاته في المسجد مثلًا دي في المركز الأول، وبره بوالديه، ومراعاته لربنا في شغله، وشوية حاجات تانية كده لو مكنش بيعملها حقيقي مش هقدر أعيش معاه، يعني عمري ما هستحمل في يوم من الأيام إني بدل ما أكون بقول لابني انزل صلي مع بابا أبقى بتحايل على أبوه علشان ينزل يصلي في المسجد علشان الولد يعمل زيه، موقف زي ده ممكن يقهرني بمعنى الكلمة.

هز رأسه متفهمًا، وقال بعدما شعر بالارتباط الشديد بين كلماتها وأفكاره:

- تقريبًا ده فعلًا نفس رأيي، يعني مش شرط أساسي بالنسبالي إن البنت اللي هتجوزها تكون خاتمة القرآن مثلًا أو عندها علم كبير بالدين، وخصوصًا إن أنا لسه مبقيتش كده، كل الحكاية إني محتاج واحدة بتخاف ربنا، واحدة لما الناس تشوفها تلاقيها بتتعامل بأخلاق الإسلام، ويوم ما تغلط وأقولها الحاجة دي تغضب ربنا ألاقيها تراجعت فورًا واستغفرت ربها، وطبعًا يكون عندها استعداد إنها تتفقه في الدين وتنفع نفسها وتنفع الناس.

ثم أضاف ضاحكًا:

- مليش دعوة ما هي لازم تشجعني، لأني بصراحة مش عاوز أكمل الطريق اللي بدأته لوحدي.

لمعت عيناها ببريق الانبهار وقالت بحماس ملتهب:

- حتة إن الواحد ينفع الناس دي تعتبر حاجة بجد مبهرة بالنسبالي، كل ما بييجي في دماغي الموضوع ده بفتكر علطول حفصة واللي عملته معايا، حفصة دخلت حياتي فترة تعتبر مش كبيرة، وبمجرد بس ما اتكلمت معايا شوية تسببت في إن تفكيري اتغير تمامًا، ورؤيتي لمستقبلي وأهدافي اتبدلت من حال إلى حال، حقيقي نفسي أوي أعمل زيها وأنفع غيري، بس مش عارفة ازاي!

- أنت ممكن تنفعي غيرك وأنتِ أصلاً مش واخدة بالك، وده عن طريق أخلاقك، يعني بمجرد ما الناس يشوفوكِ إنسانة خلوقة

وبتخاف ربنا ده هيخليهم يقلدوكِ في الحاجات الحلوة اللي بتعمليها، ولو ما عملوهاش دلوقتي فأكيد على الأقل هتسيبي أثر طيب جواهم، ممكن كمان تبدئي واحدة واحدة تعرفي عن دينك وتنصحي صاحباتك بطريقة حلوة ومبتكرة علشان يتقبلوا النصيحة، وطبعًا أنتوا كبنات بتبقوا شاطرين في الرسم والكتابة والحاجات دي، يعني ممكن ببساطة شديدة تكتبي لأي واحدة شايفاها بتعمل ذنب معين رسالة أسلوبها حلو، وتلونيها وترشي عليها أي نوع عطور مثلًا وتديهالها وتمشي علطول علشان ما تتحرجش، أو تتكلمي معاهم بأسلوب كويس ومرة في مرة البنات هيبدؤوا يقربوا منك وبعد كده هتلاقيهم همَ اللي بييجوا يطلبوا منك رأيك في أي موضوع شاغلهم.

عقدت حاجبيها في تفكير، وسألت بعدما بدا التعجب واضحًا على وجهها:

- معلش هو ازاي حضرتك جه في بالك موضوع الرسالة ده؟ وبالتفاصيل الحلوة دي؟ يعني أنا كبنت عمري ما جه في بالك أكتب رسالة حلوة كده!

ضحك إسلام حتى بدت نواجذه، وأجابها على سؤالها غير المتوقع:

- كانت دائمًا ماما لما تكون زعلانة من بابا ومش قادرة تقوله اللي جواها كانت بتكتب رسالة شكلها حلو وترسم ورد ونجوم وحاجات كده على الأطراف، وبعدين ترش شوية من العطر اللي بابا بيحبه وتحطهاله في جيب البنطلون اللي هيروح بيه الشغل تاني يوم، وهو عادة لما بييجي يطلع المحفظة علشان يدفع فلوس المواصلات كان بيلاقيها وبيقرأها قبل ما يوصل

الشغل، ولما يرجع بيصالحها أو يتناقش معاها يعني في الحاجة اللي مضايقاها دي، بس كده.

- ما شاء اللّه.

قالتها سلمى من كل قلبها بعدما افترّ ثغرها عن ابتسامة واسعة، ثم سألت مرة أخرى:

- أنا دائمًا بسمع عن موضوع إني أنفع الناس بأخلاقي ده بس بردو مش فاهمة ازاي، أو مفيش قدامي مثال واقعي أقدر أستوعب منه النقطة دي، فهل حضرتك عندك توضيح أكثر ليها؟

- هقولك مثال بسيط حصل معايا من قريب، لما بدأت أشتغل في الشركة اللي أنا فيها دي، كان طبعًا الظهر والعصر بيأذنوا عليَّ وأنا في الشغل، وبالتالي كان من الأساسيات عندي إني أسيب الشغل وأنزل أصلي، في البداية كان بيحصل معايا مشاكل كتير بسبب الموضوع ده، وكانت الحِجة إني كده بعطل الشغل، رغم إن زمايلي ساعات كتير بيقعدوا ياكلوا أو يهزروا في وقت الشغل ومحدش بيتكلم معاهم، المهم لما لقوا إني مُصر على الموضوع ده خلاص تقبلوا الأمر الواقع ومبقاش حد بيتكلم معايا لما بنزل أصلي، وخصوصًا إني قولتلهم إن الوقت اللي بيروح مني في الصلاة ممكن أزوده على ساعات العمل الرسمية لو هم عاوزين كده، الغريب في الموضوع واللي أنا عمري ما كنت أتوقعه، إن مع الوقت لقيت اتنين من زمايلي بقوا ينزلوا يصلوا معايا، وبيقولولي أنهم كان نفسهم يعملوا كده من زمان بس مش بيقدروا يقفوا قدام المدير، فكانوا بيصلوا في المكتب وخلاص. بس هو ده اللي أنا قصدي عليه،

يعني أنتِ تكوني بتعملي حاجة بتلقائية شديدة علشان تاخدي رضا ربنَا، وبعدين تلاقي ناس بتقلدك وبتكون سبب في إنك يجيلك ثواب من حيث لا تحتسبي.

همست في صوت متأثر يهزه نغم الفرح:

- اللّه! جميل فعلًا الموقف ده، ما شاء اللّه، ربنا يرزقني بحاجة زي كده.

ابتسم إسلام لرؤية تلك الانفعالات الجميلة البادية على ملامحها الهادئة، وأراد أن يوضح لها حقيقة شخصيته حتى لا تظن أنه ملاك لا يخطئ فقال محاولًا انتقاء كلماته:

- طيب بما إننا اتفقنا على الصراحة، فخليني أستغل الفرصة وأقولك على عيب معين في شخصيتي لأنك من حقك تكوني عارفاه.

حاولت التظاهر بعدم التأثر رغم محاولاتها الجادة في تهدئة نبضاتها المتسارعة، والتي ظنت أن عزفها القوي يصل إلى مسامعه، أومأت برأسها لتحثه على مواصلة الحديث، فقال بلا تَجمُّل:

- ممكن نقول إن أنا حد عصبي شوية، ووقت ما بتعصب بكون محتاج بس حد يقولي حاضر ويمتص غضبي، وبعد ما أهدأ يبدأ يناقشني في كل اللي حصل لحد ما نحل المشكلة.

نطق وجهها بالوجوم والقلق، فقد أدركت أن تلك الصفة تتعارض وبشدة مع طبيعتها الحساسة، ولكنها حاولت عدم التسرع في الحكم عليه وتمتمت بهدوء:

- بس مش دائمًا بيقدر الإنسان يقول حاضر ويسكت، طبيعي ساعات بيكون محتاج يدافع عن نفسه أو يبين وجهة نظره

في نفس وقت المشكلة، ومش دائمًا بردو بيكون الشخص اللي اتعصب على حق!

ابتسم إسلام بتفهم وقال:

- أنا عارف إن الموضوع مش سهل أبدًا، وعارف إن محدش هيقدر يعمل كده علطول، ومن ناحيتي فأنا الحمد لله بحاول أشتغل على نفسي الفترة دي وبدأت بالفعل أقدر أسيطر على عصبيتي في مواقف كتير، لكن حسيت إن من باب الأمانة إني أذكر النقطة دي بحيث إن زوجتي لازم تكون عارفاها لأنها هتفرق معانا جدًا بعد كده.

توقف الحوار فجأة وخيّم عليهم الصمت لبرهة، ثم استأنفت سلمى الحديث قائلة:

- الحقيقة العصبية تعتبر صفة مخيفة جدًا بالنسبالي، الإنسان ممكن يشتم، أو يضرب، أو يعمل أي كارثة بدافع الصعبية، وأنا شخصيًا مش عارفة ممكن أقدر أستحمل حاجة زي كده ولا لأ.

- كل إنسان فينا بيكون عنده مميزات وعيوب، وأنتِ دورك إنك تقارني مميزاته بعيوبه وتختاري، لو لقيتي كفة المميزات هي اللي رجحت يبقى ساعتها بتحاولي تفكري في الطريقة اللي هتتعاملي بيها مع العيوب دي بحيث إنك تخرجي منها بأقل ضرر ممكن، ساعتها العلاقة بينكم بإذن الله هتكون ناجحة.

صمت لثوانٍ لالتقاط أنفاسه ثم أردف بابتسامته العذبة:

- عاوز أطمنك إني بإذن الله هحاول أراعي ربنا في زوجتي على قد ما أقدر، يعني مش هكون من الناس اللي بتتعصب بسبب

وبدون سبب، من الآخر أنا هحاول أسيطر على نفسي، وهي تحاول تتصرف بذكاء وحكمة لما تلاقيني متضايق، وتعدي الموقف وبعدين تعاتبني في وقت تاني، بس كده.

ابتسمت سلمى بعدما شعرت ببعض الراحة تسري بداخلها، وسألت باهتمام:

- حضرتك شايف إنك تعرف تربي أولاد؟ يعني هتكون قدوة صالحة لأولادك بإذن الله؟

- سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قال: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته» وبالتالي فأنا هتحاسب على أولادي وعلى تربيتي ليهم، يعني مفيش قدامي فرصة للتفكير، لازم أكون أب قدوة ولازم أكون قد المسئولية، علشان كده الحمد لله أنا شغال على نفسي الفترة دي وبحاول أعرف عن ديني أكثر وأواظب على فروضي وعلى بعض السنن بحيث إني بإذن الله لما أكون أب أبقى فخور بأولادي وأنا شايفهم بيقلدوني.

- بالنسبالي فأنا شايفة إني لازم أربي نفسي الأول علشان أعرف أربي أولادي، لازم أتعود أراعي ربنا في كل صغيرة وكبيرة في حياتي، ساعتها هعرف أختار القيم الأساسية اللي هربي عليها الأولاد، هعرف إن دوري مش بس إني أأكل وأشرب وأنيم وأذاكر لهم، بالعكس دوري أهم وأوسع من كده بكتير، دوري يشمل تعليمهم دينهم وتربيتهم تربية سليمة بما يتوافق مع دينهم مش مع الناس أو العادات والتقاليد، الموضوع واسع جدًا ويمكن لسه مبقيتش عندي خبرة فيه أوي، بس أنا حاليًا بدأت أقرأ في الدين، وشوية كده وهبدأ أقرأ في التربية وعلم النفس إن شاء الله.

تابعت وهي تنظر إليه بعدما علت وجهها حُمرة الخجل:

- الأب بردو بيكون ليه دور مهم جدًا في التربية، بيكون مسئول عن إنه يعلم أولاده إن دينهم أهم حاجة في حياتهم، لازم ياخدهم معاه المسجد ويعودهم على إن ده الطبيعي، لازم يفهمهم دورهم الأساسي في الدنيا دي، ويساعدهم على أنهم يكونوا نافعين في مجتمعهم وعندهم شخصيات سوية ومنتجة.

ابتسم إسلام وهو يومئ برأسه مؤيدًا وقال:

- عندك حق فعلًا، ربنا يقدرنا.

- كلمني عن علاقتك بمامتك وهند، وبر الوالدين أخباره إيه؟ بصراحة هاه.

قالتها بشيء من المرح، فتنهد إسلام وأجاب بصدق:

- ماما بالنسبالي حاجة كبيرة أوي، ببقى مبسوط جدًا لما أشوفها مبسوطة، عارف أنها تعبت كتير بعد وفاة بابا الله يرحمه لحد ما كبرنا، وعلشان كده بحاول على أد ما أقدر أساعدها دلوقتي وأخد بالي منها ومن هند.

صمت هنيهة ثم استطرد وهو يريح ظهره إلى المقعد ويقول بأسف:

- مقدرش أنكر إني ساعات بزعلها، وإني مش راضي عن مستوى بري بيها، بس أقدر أقول إني يمكن دلوقتي أفضل مثلًا من السنة اللي فاتت كتير، وإني بإذن الله مع الوقت هقدر أظبط النقطة دي.

لم يستطع أن يمنع ضحكته وهو يتذكر أخته وصديقته الصغيرة، وقال بابتسامته الواسعة:

- هند بقى حقيقي مش عارف أقولك إيه، بس هي تعتبر أقرب حد ليَّ في الدنيا، هي أختي وصاحبتي ومستودع أسراري وخصوصًا بعد وفاة محمد الله يرحمه، بحب جدًا أهزر معاها وأرخم عليها لحد ما تصوت وتطردني من الأوضة، هي تعتبر نعمة في حياتي ربنا يباركلي فيها.

- يا رب يا رب.

شعر بأن جلسته قد طالت وأن هذا ربما يؤذي عائلة سلمى، فقال في الختام:

- فيه حاجة مهمة كنت حابب إنك تعرفيها لأنها ممكن تفرق معاكِ في اتخاذ قرارك، حاليًا أنا مش عندي شقة فبإذن الله هتجوز في شقة إيجار لحد ما ربنا يرزقني وأقدر أشتري واحدة، بالنسبة للجهاز فأنا معايا مبلغ كده ميراثي من بابا الله يرحمه، ممكن يكفي الشبكة وشوية من العفش، وبإذن الله الباقي هحوش من مرتبي وأجيبه، بالنسبة للمرتب ومصاريف البيت فممكن نقول إن مستوانا قد يكون تحت المتوسط بشوية، وطبعًا ربنا قادر يفتحها علينا ويرزقنا من حيث لا نحتسب، ولكن ده المتوقع حاليًا، وبإذن الله الكلام ده هيتقال لعمي لو فيه نصيب.

كانت تريد أن تخبره بأنها توافق على تلك الإمكانيات وبشدة، وأنها لا تتمنى سوى رجلاً يعاملها بما يرضي الله، ولكنها استحت منه فأومأت برأسها مبتسمة وقالت:

- تمام.

- حابه تسألي عن حاجة تاني؟

هزت رأسها نفيًا، فضرب بكفيه على ركبتيه ونهض من مكانه قائلًا بأدب:

- طيب أستأذن أنا.

والتفت إلى أبيها الذي نهض من مقعده هو الآخر وبدأ في الاقتراب منه. انسحبت سلمى على استحياء ودخلت إلى الغرفة التي تجمع أم إسلام بأمها، ودّعتها وسارت في اتجاه غرفتها التي ما إن دخلتها حتى نزعت حجابها وارتمت على فراشها تفكر في كل ما حدث حتى راحت في سبات عميق.



- ٧ -

مضى الليل إلا أقله ولم يبق إلا انحسار الغطاء عن جبين الفجر، تناثرت النجوم اللامعة والمختلفة في أحجامها كحُلة براقة فوق جسد السماء، فتحت سلمى جفونها بهدوء وبدأت تمسح أثر النوم عن وجهها بكلتا يديها، لم تتبين إلا بصيص نور قد تسرب من أسفل باب غرفتها، تحسست الكومود بجوارها حتى أمسكت بهاتفها فوجدت أنه ما زال هناك ساعة كاملة تفصلها عن صلاة الفجر، فبدأت تسترجع تلك الجلسة التي جمعتها بإسلام قبل ساعات، كان شعورًا بالراحة والسعادة يغمر قلبها، أعجبها تفكيره وطريقة تعبيره عن رأيه في بعض الأمور، بدأت تفكر في أن إسلام قد يكون هو الشخص الذي لطالما حلمت به، ولكنها فجأة تذكرت صفة العصبية التي ذكرها كأحد عيوبه، شعرت بالخوف منه ومن ذلك المستقبل المجهول معه، فوجود تلك الصفة مع من مثل سلمى من الممكن أن يحيل حياتها إلى جحيم، زفرت زفرة قوية وأخبرت نفسها أن صراحته حتى في ذكر عيوبه تعتبر نقطة تحسب له، وأنها هي الأخرى لديها من العيوب ما لديها، قررت أن تقوم لتؤدي صلاة الاستخارة وتترك الأمر إلى ربها، فوحده يعلم بالخير.

توضأت وصلت ركعتي قيام ليل، ثم عقدت النية لتصلي صلاة الاستخارة، كانت تعلم أنه من السنة أن تقرأ بالركعة الأولى بعد الفاتحة بسورة «قل يا أيها الكافرون» وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة بسورة «قل

هو اللّه أحد»، انتهت من صلاتها ورفعت يدها متضرعة إلى اللّه وهي مستحضرة عظمته وقدرته، بدأت تحمد للّه عز وجل وتثني عليه، ثم قامت بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، ثم بدأت دعاءها قائلة:

«اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن زواجي من إسلام بن محمود خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن زواجي منه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري عاجله وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به»

نهضت من مكانها وهي متوكلة على اللّه حق توكله، نهضت وهي على يقين من أن اللّه سيختار لها الخير حيث كان، وعلى بُعد أمتار، كان إسلام يجلس نفس الجلسة على سجادة الصلاة رافعًا يده إلى اللّه بكل تضرع وخشية ويقول:

«اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن زواجي من سلمى بنت طارق خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن زواجي منها شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري عاجله وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به»



بعد ثلاثة أيام أرادت سلمى أن تخبر والدها بموافقتها بعدما فكرت جيدًا وارتضت تلك الصفات التي يتصف بها إسلام، وتوكلت في المجهول على ربها وهي على يقين من أنه لو كان خيرًا لها سيتيسر الأمر، ولو كان

شرًا لها سيحدث أي شيء يمنع استكمال تلك الزيجة، كانت في طريقها لغرفة والدها ولكنها تراجعت في اللحظة الأخيرة و قررت أولاً أن تتأكد من أمر ما في نفسها قبل النطق بقرارها الأخير، انتظرت حتى سمعت أذان المغرب وأدت صلاتها، ثم اتصلت على صديقتها هند وأخذت تحدثها في أي شيء وكل شيء، وفي وسط حديثهما قالت سلمى بذكاء:

– يا بنتي وطي صوتك شوية، كده أخوكِ هيسمعك وهتحرجيني.

– لا متخافيش، إسلام لسه مرجعش من المسجد.

قالتها هند ببراءة شديدة، بينما ارتسمت على وجه سلمى ابتسامة واسعة احتلت وجهها كاملًا حينما سمعت الإجابة التي كانت تنتظرها، بعدها أخذت تحدث هند لبعض الوقت ثم أغلقت الهاتف، لم تكن كافية تلك المرة بالنسبة لها، بل أنها انتظرت حتى صلاة العشاء، وقامت بأداء الصلاة وبدأت تفكر في طريقة أخرى تستفسر بها عن أمر صلاة إسلام دون أن تُشعر صديقتها بأي شيء، قامت بوضع بعض الأطعمة على الطاولة ثم اتصلت بهند وألقت عليها التحية، فقالت الأخيرة ضاحكة:

– أهلاً يا ستي، عاوزة إيه تاني؟ مش من عادتك يعني تتصلي مرتين ورا بعض كده.

– مفيش، كنت هتعشى فقولت أقولك تيجي تتعشي معايا، عندنا أكل حلو أوي.

– تسلمي يا سلمى، بالهناء والشفاء، أنا هستنى إسلام لما ييجي ونتعشى كلنا.

حاولت سلمى كتم ضحكاتها وهي تقول بدهاء:

– إيه ده! معقولة لسه مجاش من الشغل لحد دلوقتي!

وكالعادة أجابت هند بتلقائية شديدة:

- لأ جه من بدري، هو بس نزل يصلي وهيجيب العشاء معاه وهو جاي إن شاء اللّه.

- ماشي يا هنود، بالهناء والشفاء، عاوزة حاجة؟

وعندما أجابتها هند بالنفي وأغلقت المكالمة تنهدت سلمى بأريحية تامة وشعرت بسعادة كبيرة داخل قلبها، يبدو أن اللعبة قد أعجبتها، فقررت معاودتها للمرة الأخيرة، ولكن هذه المرة في صلاة الفجر، وبعدها فقط ستقرر قرارها النهائي.



الرابعة صباحًا وقبل صلاة الفجر بربع الساعة أطفأ إسلام منبهه ونهض من فراشه بتثاقل، ظل يترنح حتى وصل إلى دورة المياه وضرب وجهه بعدة دفعات من الماء وهو منحنٍ أمام الصنبور حتى شعر أنه قد أفاق قليلًا، توضأ وتسلل بهدوء باتجاه غرفة والدته، وجد باب الغرفة مفتوحًا ووجد والدته تمسك بمصحفها وتقرأ بعض آيات القرآن الكريم، حياها ومازحها قائلًا:

- يعني مفيش مرة كده يا حجة تخليني آخد الثواب وأصحيكِ أنا؟

- يا سيدي روح صحي أختك وريحني شوية.

قالتها مبتسمة، فابتسم إسلام كانعكاس لابتسامتها وهو يومئ برأسه إيجابًا، وسار في اتجاه غرفة هند، بدأ يوقظها عدة مرات حتى وعدته أنها ستنهض، ثم خرج من منزله متجهًا إلى المسجد القريب منه، أدى صلاته وتمشى في سكون الليل عائدًا إلى منزله واضعًا كفيه في جيبي بنطاله، و مسترشدًا بذلك الضوء الخجول الآتي من القمر، وصل إلى البناية فوقف

يتأمل القمر ومنظره الخلاب وتلك النجوم الجميلة التي تتلألأ من حوله، شرد قليلًا فيما حدث قبل ثلاثة أيام وبدأت ترتسم ابتسامة جميلة على وجهه دون أن يشعر، بعدها اتخذ قراره بالرد على والد سلمى، سيوافق، نعم سيوافق ويخبر والدها غدًا بذلك، وليكن بعدها ما يكن.

في نفس التوقيت تقريبًا كانت سلمى تنظر على استحياء من نافذتها إلى الشارع الخالي من المارة وهي شاردة، كانت تفكر في حيلة أخرى لكي تتصل بهند وتسأل عن إسلام، ولكنها وجدته هو شخصيًا أمامها يمر من أسفل البناية، فتسارعت دقات قلبها وشعرت أنه سيخرج من قفصها الصدري، عادت للخلف قليلًا خوفًا من أن يراها رغم ظلام غرفتها وعلوها الكبير عن الشارع، تنفست الصعداء واقتربت من النافذة مرة أخرى بهدوء فوجدت الشارع خالٍ من المارة كما كان، ووجدت أيضًا جوابًا لسؤالها على طبق من ذهب، أغمضت عينيها بأريحية واطمأنت لكونه يهتم بصلاته مثلها وربما أكثر، وقررت بعدها أن تخبر والدها صباحًا بموافقتها وتبدأ في التفكير في مستقبلها الجديد معه.



في اليوم التالي اتصل إسلام بوالد سلمى وبلغه بموافقته، فرد عليه والد سلمى وأخبره بموافقتها هي الأخرى وحددا معًا موعدًا بعد بضعة أيام للتحدث عن تفاصيل الزواج وإمكانيات العروسين وما إلى ذلك. رهبة شديدة كان يشعر بها إسلام تجاه تلك الجلسة، وخصوصًا بعدما أخبرته هند أن والد سلمى يهتم كثيرًا بالأمور المادية، ولكنه عندما تحدث مع والدته في الأمر ربتت على قلبه بكلماتها قائلة: ما تقلقش يا إسلام، لو ليكم نصيب في بعض هتتجوزوا مهما واجهتوا مشاكل، ومهما حصل،

توكل على الله يا بني وإن شاء الله خير. وبالفعل قرر إسلام التوكل على ربه وعدم التفكير في المجهول، فربما يحدث ما لم يكن يتوقعه.

في اليوم المحدد اصطحب إسلام عمه الوحيد وذهبا معًا إلى منزل سلمى، استمرت جلستهما مع أبيها ما يقرب من الساعة والنصف ثم انصرفا في هدوء، وفور عودة والد سلمى إلى غرفته إذا بها تهرول باتجاهه وتسأل بلهفة عمّا حدث، فأجابها والدها متسائلًا بعدما زفر زفرة ضيق:

- أنتِ موافقة على الولد ده فعلًا؟!

أومأت برأسها إيجابًا وقد بدأ طائر الخوف يحلق بعينيها، فتمتم والدها بعتاب:

- يا بنتي ما أنتِ كان متقدملك واحد هيعيشك ملكة وموافقتيش! اشمعنى موافقة على ده يعني!

نظرت له بعدم فهم وتمتمت:

- يا بابا أنا مش فاهمة حاجة، ماله إسلام؟ وإيه اللي حصل؟
- الولد مستواه مش قد كده وأنتِ هتتعبي معاه، مش عارف وافقتي عليه ازاي بس!
- وافقت عليه لأني حسيت إنه شاب كويس وبيخاف ربنا، ودي أهم حاجة عندي.

ضحك والدها وقال ساخرًا:

- والله أنتِ طيبة يا سلمى ومتعرفيش حاجة.

ثم استعاد بعضًا من جديته السابقة واستطرد:

- أنا وأمك تعبنا كتير في أول حياتنا لحد ما وصلنا للمستوى ده، ومش هسمح أبدًا إنك تتبهدلي مع واحد غريب وفي الآخر الله أعلم هيقدر ده ولا هيقولك أهلك باعوكِ بالرخيص.
- لأ يا بابا معتقدش إن إسلام يعمل كده بإذن الله لأنه فعلًا شاب بيتقي ربنا، وكمان مستواه مش عيب علشان نرفضه، وأنا موافقة أعيش معاه على قد مستواه ده لحد ما ربنا يرزقنا وساعتها أنا متأكدة إنه هيعوضني عن كل حاجة.

بقسمات حملت من الضيق ما حملته من العتاب أفصح:

- يعني أتعب عليكِ السنين دي كلها وفي الآخر تخيبي ظني في تعليمك وكمان جوازك!

نظرت له بحنان وهمست:

- ما تقلقش يا بابا، مش هخيب ظنك المرة دي بإذن الله، وكمان أنا صليت استخارة وتوكلت على الله ومتأكدة إن ربنا هيفعلي الخير.
- عمومًا ده اختيارك وأنتِ حرة، بس أنا مش هتنازل عن الطلبات اللي طلبتها.

وعندما سألته عمّا طلبه منهم أجاب:

- رغم إن الراجل المفروض بيكون عليه فرش البيت كاملاً، بس مراعاة لظروفه وظروف الشباب حاليًا أنا قولتلهم هنقسم البلد نصفين، احنا علينا المطبخ والأنتريه، وهم عليهم النوم والسفرة، طبعًا مع الشبكة ومصاريف كتب الكتاب والفرح، وكفاية أوي إني وافقت تقعدي في شقة إيجار.

ابتسمت سلمى بأريحية وسألت أبيها عن رأيهم في هذا الأمر، فأجابها بأنه أعطاهم فرصة أسبوع للتفكير، وبعدها من المفترض أن يخبروه برأيهم سواء بالقبول أو الرفض، فأومأت برأسها بتفهم، ثم استأذنت منه وغادرت إلى غرفتها.

وعلى مسافة ليست بالبعيدة كان يسير في الطرقات المجاورة وقد أثقل كاهله التفكير، فطلبات والد سلمى كانت أكثر مما يطيق، فالمبلغ الذي تركه له والده لن يكفي، وأيضًا راتب سنة كاملة لن يفي بالغرض، ماذا عساه أن يفعل؟ أيرفض ويغلق ذلك الباب برمته؟ أم يقبل وهو لا يعلم من أين يأتي بباقي الأموال! تنهد بيأس ثم عاد أدراجه إلى منزله ودخل في هدوء إلى غرفته وأغلق بابها مقررًا الهرب بالنوم، فاليوم كان شاقًا عليه من كل اتجاه سواء في العمل أو في النقاشات الكثيرة التي خاضها مع والد سلمى، ولكن هند حين سمعت صوت إغلاق الباب هرولت نحو غرفته، دفعت دفة الباب بلطف، أطلت برأسها من فرجة الباب، وقالت بسعادة واضحة:

- أيوة بقى يا عريس، كده الموضوع بقى رسمي.

ثم دخلت مسرعة لتمازحه كما هي عادتها، ولكن على غير المتوقع وجدت جسدًا مُلقى على الفراش ووجهًا وكأنما الهم يسري فيه مسرى الدماء، نظرت لأخيها بتعجب وسألت:

- مالك يا إسلام؟ حصل حاجة ولا إيه؟

في نفس اللحظة كانت والدته تقف عند الباب بعدما علمت هي الأخرى بمجيئه، فنهض من رقدته وجلس على حافة الفراش شابكًا يده بالأخرى وبدأ يقص عليهما كل ما حدث، أخبرهما بأن والد سلمى طلب منه شراء غرفة النوم وغرفة السفرة، وهو سيتولى أمر غرفة الصالون والمطبخ،

ولكن هذه ليست المشكلة، فالمشكلة تكمن في كونه طلب ذهبًا لابنته قد يكلفه كل ما يملك من أموال، وحينها لن يبقى معه أي شيء لمصاريف تجهيز المنزل أو الفرح، تنهدت والدته بحيرة وقالت:

- طيب يا بني ما عرفتوش تقللوا معاه عدد الجرامات شوية؟

- حاولت فعلًا، بس هو قال لي بنتي غالية ويجيلها الغالي، وهي مش أقل من بنات أعمامها.

نظر لوالدته وقد افترّ ثغره عن ابتسامة خفيفة وقال:

- واللّٰه أنا لو عليَّ أجيب لها الدنيا كلها، بس أعمل إيه ظروفي كده.

ربتت هند على كتفه بحنان وقالت:

- خلاص يا عم مش مشكلة، ممكن تاخد من فلوس ميراثي اللي أنت محتاجه.

- لأ طبعًا يا هند، اوعي تقولي كده تاني، أنا هتصرف بإذن اللّٰه.

- هتعمل إيه؟

قالتها بحيرة، فأجابها بتفكير:

- مش عارف بالظبط، بس ممكن أشوف كمان شغل بليل، وممكن أطلب نطول فترة الخطوبة شوية، سنتين مثلًا لحد ما أحوش باقي المبلغ، وكانوا بيقولوا إن عندنا في الشغل بيرقوا كل سنة موظف من الموظفين الجدد، فيمكن الترقية السنادي تكون من نصيبي ومرتبي يزيد شوية، اللّٰه المستعان.

اقتربت منه والدته ونظرت إليه بابتسامة حنونة وقالت:

- ما تقلقش يا إسلام، ربك قادر ييسرها من عنده ويتمم لكم فرحتكم على خير.
- يا رب يا أمي، يا رب.



مر يوم تلو الآخر وإسلام يعود من عمله يتناول طعام الغداء على عجل ثم يهبط مسرعًا للبحث عن عمل ليلي، ويعود في وقت متأخر يائسًا ليلقي بجسده المنهك على الفراش ويغط في نوم عميق، كانت والدته تشعر بالحزن الشديد عليه وهند أيضًا، فهو يحاول بشتى الطرق إيجاد حل لورطته قبل الموعد المحدد للرد النهائي على والد سلمى، ولكن إلى الآن كان الفشل هو سيد الموقف. ذات صباح اتصلت سلمى على صديقتها لتعاتبها على عدم السؤال عنها كل تلك الأيام الماضية، فوجدت ردًا خاويًا من هند، تعجبت وسألتها عن السبب بشيء من الحزن، فاعتذرت هند وأخبرتها بأنها تشعر بالضيق فقط مما حدث، ومن الحال الذي وصل إليه أخيها، وهنا سألت سلمى بعدم فهم:

- إيه اللي حصل؟ وإسلام ماله؟
- ويعني أنتِ متعرفيش!

قالتها باستنكار، فأجابت سلمى بقلق:

- يا بنتي والله ما أعرف حاجة، حصل إيه طمنيني؟

وهنا بدأت هند تقص على صديقتها كل ما حدث، وطلبات والدها المبالغ فيها، والحال الذي وصل إليه إسلام بسبب تلك الطلبات، فأطلت الدهشة من قسمات سلمى وسألت:

- هو بابا طلب الشبكة دي كلها فعلًا!

- أيوة للأسف.

- أنا كل اللي كنت أعرفه يا هند أنه وافق على موضوع الشقة الإيجار، وهيقسم معاكم الجهاز، وطبعًا الشبكة والفرح عليكم فقولت يبقى كده تمام، بس مكنتش أعرف أنه طلب حاجات بأسعار عالية كده.

صمتت للحظات ثم استطردت:

- عمومًا أنا هحاول أتصرف، وبإذن اللّه هرد عليكِ لو فيه أي جديد.

أُغلقت المكالمة وجلست سلمى على أقرب كرسي تفكر في ما حدث، وفيما يجب أن تخبر به والدها علّه يُخفف من حدة طلباته قليلاً، انتظرت حتى استيقظ من نومه وذهبت إليه وقالت بهدوء:

- بابا هو ليه حضرتك طلبت شبكة كبيرة كده من إسلام؟!

- مش كبيرة ولا حاجة، هو ده العادي دلوقتي.

تخضَّب وجهها بالضيق وقالت:

- يعني يا بابا العادي إننا ناخد كل الفلوس اللي معاه علشان نحطها في شبكة وفي الآخر ميلاقيش حاجة يجهز بيها، وفي الغالب الدهب ده كله أصلاً مش بيتلبس غير للمنظرة، وأنا مش بحب المنظرة.

أردف دون أن يبدر عنه أدنى اهتمام بضيقها:

- تلبسيه ما تلبسيهوش أنتِ حرة، ده حقك ولازم شبكتك تكون عندك حتى لو هتتشال في الدولاب سنين، وبعدين أنتِ مش رخيصة علشان أجوزك بالساهل كده، ولو هو مش قد الجواز مكنش يتقدم لبنات الناس.

أطرقت بوجهها تُواري تنهيدة مختنقة تنهدتها ثم قالت:

- يا بابا ما هو هيجيب شبكة بردو، بس مش لازم تكون كبيرة كده! حضرتك عارف ظروف الشباب دلوقتي، واحنا المفروض نقدر ظروفه، وكمان أنا أكيد مش هلبس ده كله فوق بعضه يعني.

نظر لها بقسمات جامدة وقال باقتضاب:

- سلمى خلاص الموضوع بالنسبالي منتهي، شبكتك من حقك ومش هتنازل عنها، وكمان أنتِ مش أقل من بنات أعمامك.

قالت وقد تلبدت عيناها بالغيوم وخفتت طبقة صوتها حتى درجة البوح:

- ماشي يا بابا، بعد إذن حضرتك.

انصرفت من غرفته واتصلت بعدها فورًا بهند تخبرها بما حدث، فأجابت هند بأنها كانت تتوقع ذلك، وبدأت تفكر معها في حل آخر للمشكلة، حينها اقترحت سلمى أن يتم مد فترة الخطبة حتى يستطيع إسلام تجميع باقي المبلغ المطلوب، فأجابت هند مبتسمة:

- سبحان الله، بتفكروا زي بعض، هو فعلًا قال لي كده بردو من ضمن اقتراحاته

تناست كل ما حدث وابتسمت بحياء وقالت:

- الحمد لله، لعله خير.

بعد يومين حضر إسلام لمنزل والد سلمى وأخبره بموافقته على كافة طلباته، وأخبره أيضًا أنه يبحث عن عمل ليلي، وطلب منه الموافقة على مد فترة الخطبة حتى يستطيع تدبير باقي المبلغ المطلوب، فوافق الأب على ألا تزيد المدة عن عامين، فابتسم إسلام وقال:

- بإذن اللّه يا عمي مش هنحتاج أكثر من كده، ولو ربنا يسرها ودبرت أموري قبل السنتين يبقى نعجل بالجواز بإذن اللّه.

ثم اتفقا على موعد حفل الخطبة، وهنا نهض الأب من مكانه وسار باتجاه غرفة سلمى، طلب منها الحضور للاتفاق مع عريسها على كافة التجهيزات المطلوبة في المرحلة القادمة، فرافقته على استحياء وطلبت منه أن يجلس على مسافة ما منهما بحيث يستطيع رؤيتهما، وهذا سيكون الحال في كل مرة يحضر فيها إسلام إلى منزلها إلى أن يتم عقد القران ويصبح زوجًا رسميًا لها، جلست العروس على بُعد مناسب من عريسها، وقالت بحياء:

- بعتذر بجد لو كنا تقلنا عليك في الطلبات، حقيقي حاولت أعمل اللي أقدر عليه بس محاولتي فشلت.

أومأ إسلام برأسه متفهمًا، وقال مبتسمًا:

- ولا يهمك، أنا خلاص اتفقت مع عمي على كل حاجة، خلينا بقى احنا في المهم دلوقتى، وبعد إذنك اسمعيني للنهاية وبعدين قوليلي تعليقك.

نظرت له باهتمام وهي تومئ برأسها موافقة، فاستطرد:

- أنا نفسي ارتباطي بيكِ يكون بداية جديدة في حياتي، بداية تقربني من ربنا وتكون كل خطوة فيها في ميزان حسناتي، مش العكس، وعلشان كده أنا حابب من اللحظة دي نبدأها صح و نساعد بعض إننا نقضي فترة خطوبتنا بالطريقة اللي ترضي ربنا.

عاد بظهره إلى ظهر كرسيه، وعقد ذراعيه أمام صدره وقال بجدية:

- سلمى، أنا قررت أحافظ عليكِ حتى من نفسي، واعملي زووم جامد على الجملة دي واوعي تنسيها، وبناءً عليه فأنا قرأت عن ضوابط الخطوبة وعرفت إن الخطوبة ما هي إلا وعد بالزواج وبالتالي فأنا دلوقتي أجنبي عنك وهتتعاملي معايا زي ما بتتعاملي مع أي شاب غريب بالظبط، مع الفرق بس إن أنا ممكن آجي أزورك وأقعد أتكلم معاكِ بحيث نقدر ندرس شخصيات بعض ونشوف هيكون فيه توافق بيننا ولا لأ، بإذن اللّه تعاملنا مع بعض الفترة الجاية هيكون كالآتي:

بالنسبة للكلام: فهيكون على قدر الحاجة بحيث نقدر نتعرف على بعض كويس، ومن غير خضوع بالقول أو أي كلام بشهوة، وطبعًا مفيش خلوة، يعني باباكِ دائمًا يكون قاعد وشايفنا زي النهارده كده، ومع التزامك بكامل حجابك ومحاولة غض البصر من الطرفين.

بالنسبة للتليفون: فهنحاول نخليه للضرورة بس، يعني حاجة مهمة لازم تتقال يبقى يا إما تتصلي على هند وهي تبلغني، يا إما تتصلي عليَّ وساعتها تكوني استأذنتي باباكِ الأول، وتتكلمي قدامه بصوتك العادي، أو مثلًا وأنتِ واقفة في الصالة قدام الناس كلها، ده هيساعد كتير إننا نقفل الباب في وش الشيطان وميعرفش يوقعنا، وكمان ميكونش فيه اتصال بعد الساعة٨ بليل.

بالنسبة للخروج: فرأيي نخليه بعد كتب الكتاب أفضل، ولو حاجة ضرورية زي إننا نروح مثلًا نتفرج على الشقة أو كده يبقى لازم يكون والدك معانا.

بالنسبة للزيارات: فممكن مثلًا نخليها مبدئيًا مرة في الأسبوع، وبعد ما نتعرف على بعض أكثر ونسأل ونتناقش في كل اللي جوانا نبدأ نقللها أو نمنعها خالص لحد كتب الكتاب.

وأخيرًا: أنا عارف إن الموضوع ممكن يكون صعب شوية عليَّ وعليكِ، لكن اللي عاوز يرضي ربنا وعاوز ربنا يباركله في حياته هيعمل أكثر من كده، وتأكدي إننا لو أخلصنا نيتنا لله ربنا هيعينّا وهتعدي الفترة دي على خير إن شاء الله، هاه قولتي إيه؟

عدة مشاعر تضاربت في نفسها الآن، ما بين فرحة وفخر، بهجة ودهشة، انبهار وعدم تصديق، كانت تريد أن تخبره أنها تفخر به وبتلك الكلمات التي ضاعفت من مكانته داخل قلبها، تريد أن تخبره أنها ظلت ليال طوال تحلم بذلك الشاب الذي يحافظ عليها حتى من نفسه، تريد أن تخبره أنها أصبحت تحترمه كل يوم عن اليوم الذي يسبقه، تريد أن تخبره بالكثير والكثير، ولكنها لا تستطيع أن تحدثه الآن بما يعتمل بداخلها، فاكتفت بإجابتها التي تحمل بين طياتها حماس شديد:

- موافقة، موافقة جدًا طبعًا، بإذن الله ربنا هيقوينا وهنقدر ننفذ الكلام ده.

ثم أضافت:

- كمان مش لازم ننسى إن فيه قاعدة فقهية بتقول «من استعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه» وأنا بصراحة بقى مش عاوزة أستعجل وآخد حاجة مش من حقي وبطريقة حرام، علشان ربنا أولاً، ثم لأن إحساسها في الحلال أكيد هيكون أحسن بكتير.

بعفويةٍ ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة وقال:

- عندك حق، وعلشان كده أنا عاوزك لو حسيتي في يوم إني ممكن أتنازل عن الكلام ده تقفلي باب الشيطان في وشي، لو كنت قاعد معاكِ ولاقيتيني هقول حاجة تغضب ربنا كلميني بجدية وذكريني باتفاقنا، ولو مفيش نتيجة يبقى حتى اطرديني مش مشكلة، ممكن أزعل شويتين بس طالما ده الصح يبقى ما تترددديش إنك تعمليه، ولو نفس الكلام حصل في التليفون يبقى اقفلي السكة وحاسبيني على الكلام ده بعد كده، أنا بجد محتاجك يا سلمى تساعديني علشان أحافظ عليكِ وأحس إن ضميري مرتاح وأنا بتعامل معاكِ، عاوز إسلام الجديد هو اللي يفوز، مش عاوز أبدًا الشيطان ينتصر عليَّ ويبدأ يرجعني لورا تاني.

لمست كلماته الصادقة وترًا حساسًا داخل قلبها، فوجدت نفسها تومئ بكل صدق وتقول:

- حاضر بإذن اللّه

ثم بدأت تتحدث معه عن تفاصيل حفل الخطبة بعد أن أخبرها بالموعد الذي حدده مع والدها وعلم بموافقتها فاطمأن قلبه، اتفقا على أن يكون الحفل في منزل سلمى ويتم حضوره من قبل الأهل والأصدقاء المقربين، سيتم حينها فصل الرجال عن النساء، وسيتم تشغيل أناشيد أفراح إسلامية، بعد انتهائهما من ترتيب كل شيء استعد إسلام للرحيل، وقبل أن يغادر الغرفة نظر إليها للحظات ثم حاول غض بصره وهو يقول:

- أي سؤال ييجي في بالك ابقي اكتبيه في ورقة، ولما آجي بصي في الورقة واسأليني عادي علشان أجاوبك على كل حاجة بتدور في دماغك، وأنا كمان هعمل كده علشان بصراحة لما باجي هنا بنسى حاجات كتير.

قالها وقد افتر ثغره عن ابتسامة وضّاءة، فابتسمت هي الأخرى بحياء وأجابته بالموافقة، حياها بعدها وسار باتجاه والدها الذي ربت على كتفه الأيمن بحنان أبوي لم يكن يتوقعه، وقام بإيصاله إلى باب المنزل.

هبط الدرج وهو يقفز بفرحة كالأطفال، فحقًا الحديث مع تلك الفتاة يبعث البهجة داخل قلبه من حيث لا يدري، بدأ يسير باتجاه منزله وهو ينظر إلى النجوم المتناثرة في كبد السماء، وقد لمع سنا القمر فوق صفحة وجهه، التقطت عيناه سحابة صغيرة كانت تسير بخجل وسط السماء الواسعة، خُيل إليه أنها تنظر إليه وتبتسم، فابتسم قلبه ثم راح يتمتم وبصره ما زال معلقًا بالسماء:

- يا رب قويني وقدرني على إني أكون قد المسئولية دي، يا رب وحدك عالم باللي جوايا، وعالم إني فعلًا نفسي أعيش خطوبتي بالطريقة اللي ترضيك وأحافظ على البنت اللي بقت أمانة عندي، يا كريم تمم لنا على خير وابعدنا عن كل التنازلات والذنوب اللي بيقع فيها معظم الناس دلوقتي، قدرنا إننا نحافظ على عفتنا ونواجه أي صعوبات لحد ما نكون مع بعض في الحلال، اللهم إني توكلت عليك وفوضت أمري كله إليك.



ذات صباح هادئ وجميل برزت الشمس من خدرها تنفض بيدها غبار الظلام عن وجه الأرض، كانت أميرة حفل اليوم تغط في نوم عميق عندما أرسلت الشمس شعاع أمل يداعب وجنتيها فبدأت تفتح عينيها ببطء، كانت رأسها على الوسادة وعيناها تنظران إلى سقف الغرفة وهي لا تكاد تصدق نفسها، فاليوم يوم خطبتها، اليوم هو اليوم الذي تحلم به كل فتاة وتظل تتخيل تفاصيله لسنوات عدة، أمسكت بهاتفها ونظرت لساعته فإذا بها التاسعة صباحًا، قامت فورًا بالاتصال على هند التي ستقابلها هي وفاطمة للذهاب معها إلى خبيرة التجميل التي ستهتم بها وببشرتها في ذلك اليوم، أجابت هند بحب:

- صباح الخير على أحلى عروسة، آه احنا في الجامعة، مفيش محاضرات دلوقتي، جهزي نفسك وكلميني ونتقابل سوا إن شاء الله.

نهضت من فراشها وهي مبتهجة كفراشة وسط حقول الزهور، وسارت باتجاه خزانتها وقامت بفتحها، تلمست بيديها ذلك الفستان الساتر الفضفاض الذي أحضرته خصيصًا لذلك اليوم، ثم تناولت خمارًا يليق به وقامت بوضعهما معًا على الفراش، خرجت من غرفتها لتتناول فطورها وتؤدي صلاة الضحى ثم تعود من جديد لترتدي ثيابها.

على الجانب الآخر، وفور إغلاق هند المكالمة مع سلمى، صاحت فاطمة بحماس وقالت:

- عقبالي بقى أنا كمان يا رب لما أعيش اليوم ده.

ضحكت هند وقالت:

- عقبالنا كلنا.

نظرت فاطمة إلى الأفق البعيد وقالت بشرود:

- قريب جدًا يا هند، قريب جدًا هيستسلم ويقع في حبي.

- هو مين ده؟!

قالتها هند وهي تنظر لصديقتها بتعجب شديد، فتمتمت فاطمة بلا تردد:

- كريم البحيري.

في البداية عقدت الدهشة لسان هند فلم تنطق بحرف، ثم بدأت تمني نفسها بأن ما فكرت به ليس صحيحًا، وسألت بتوجس:

- كريم البحيري المعيد بتاع البوتري؟

أومأت صديقتها برأسها إيجابًا، فصاحت هند بضيق:

- وما لقيتيش غير ده يا فاطمة!

هزت فاطمة كتفيها باستنكار وقالت:

- وهلاقي أحسن منه فين! فلوس ومكانة اجتماعية ووسامة، وفي عز شبابه وكل بنات الكلية بتتمناه!

- بس ده كل شوية أشوفه واقف مع بنت شكل!

تمتمت بها هند والضجر يملأ وجهها، فابتسمت فاطمة ابتسامة متحدية وقالت:

- وعلشان كده أنا حطيته في دماغي، وقررت أنا اللي أفوز بيه، وهتشوفي يا هند فاطمة لما بتحط حاجة في دماغها بيحصل إيه.

قالتها وسارت وهي ترفع هامتها إلى السماء ونظرة التحدي تند من عينها، كانت كالمغيبة فلحقتها هند وهي تضرب كفاً بكف، وتخبر نفسها بأن الكلام لن يجدي نفعًا مع صديقتها بعدما رأت تلك النظرة في عينيها.

بعد ساعتين تقابلت سلمى مع صديقتيها وذهبن معًا إلى مركز التجميل، بدأت خبيرة التجميل في عمل بعض الوصفات لتفتيح وتنعيم وجه العروس ثم أمسكت بإحدى أدوات إزالة الشعر، فأشارت سلمى بكفها وقالت بأدب:

- بعد إذنك بلاش تقربي من حواجبي.

نظرت لها السيدة الثلاثينية بعدم فهم وقالت:

- أُمال هعملهم ازاي!

ابتسمت سلمى بهدوء وقالت:

- لأ ما هو أنا مش هعملهم أصلاً.

وهنا تلفتت السيدة يمنة ويسرة ثم سألت متعجبة:

- مش أنتِ العروسة؟

أومأت سلمى برأسها إيجابًا، فألقت السيدة ما في يدها وقالت:

- غريبة!

ثم سارت باتجاه إحدى الغرف لتحضر بعض مستحضرات التجميل، وهنا نظرت فاطمة إلى سلمى وصاحت بغضب:

- إيه اللي أنتِ عملتيه ده يا سلمى! أحرجتي الست، وبعدين هتحضري الخطوبة بالمنظر ده يعني!

زفرت سلمى زفرة قوية، ثم حاولت ضبط انفعالاتها وقالت:

- وماله المنظر ده يا فاطمة؟ ده الشكل اللي ربنا خلقني بيه، وأنا بحبه ومعنديش أي مشكلة أفضل كده طول عمري، وكمان أنا من ساعة ما قريت الحديث اللي النبي عليه الصلاة والسلام بيقول فيه «لعن الله

النامصة والمتنمصة» وأنا قررت إني عمري ما هقرب من حواجبي مهما كان، لأن اللعن معناه الطرد من رحمة ربنا، ودي حاجة مش هينة أبدًا.

- يا سلمى دي خطوبتك، يعني يوم مش عادي، الناس هيقولوا عليكِ إيه بس! وكمان خطيبك نفسه أكيد هيتضايق.

همست سلمى بحكمة وهدوء:

- الحلال والحرام ثابت يا فاطمة سواء في يوم الخطوبة أو في أي يوم تاني، والناس مش هينفعوني في حاجة لما أقف أتحاسب قدام ربنا.

ثم نظرت لهند وأضافت:

- وخطيبي لو هيتضايق من اللي يرضي ربنا فأنا مش هينفع أكمل معاه أصلاً.

ابتسمت هند وهي تحرك رأسها علامة الرضا، فشعرت فاطمة بالضيق، وقبل أن تنبس ببنت شفة سمعت خطوات أقدام آتية من بعيد، حضرت خبيرة التجميل وقامت بوضع بعض مساحيق التجميل أمام سلمى وأمسكت بإحداها واقتربت منها، فأبعدت سلمى وجهها وسألت:

- هو ده كده آخر حاجة؟

ابتسمت السيدة، وأجابت وهي تومئ برأسها إيجابًا:

- ما تقلقيش هنخلص قبل العصر زي ما طلبتي.

نهضت سلمى من مكانها، وابتسمت للسيدة وهي تخبرها بأنها لن تضع أيًا من تلك المستحضرات على وجهها، فسألت السيدة من جديد وعلامات التعجب تملأ وجهها:

- أنتِ متأكدة إن أنتِ العروسة!

ضحكت سلمى بملء شدقيها وقالت:

- أيوة والله.

زمّت السيدة ما بين حاجبيها في دهشة وتمتمت:

- أول مرة أشوف عروسة تحضر خطوبتها من غير ميك أب!

- طالما لسه مفيش كتب كتاب يبقى ما ينفعش أحط ميك أب قدام خطيبي.

قالتها ببساطة، ثم أمسكت بحقيبتها وسألت السيدة عن حسابها، قامت بدفع الحساب وألقت التحية عليها، ثم نظرت إلى صديقتيها فتبعاها في صمت، فور خروجهن من مركز التجميل صرخت فاطمة بها قائلة:

- أنتِ أكيد مجنونة!

تنهدت سلمى براحة كبيرة لأنها بعد صراعات داخلية كثيرة انتصرت على نفسها الأمارة بالسوء، وابتسمت لصديقتها وهي تقول:

- مجنونة مجنونة، المهم أعمل اللي يرضي ربنا.



كان حفل الخطبة بسيطًا جدًا، حضر أفراد العائلتين والأصدقاء المقربين لكل من إسلام وسلمى، اجتمع الرجال سويًا في صالة المنزل، بينما تجمعت النساء مع بعضهن البعض في الغرفة المفتوحة على الصالة، وتم الفصل بينهن وبين الرجال بستار كبير أخفى كل شيء وكأنها حائط سميك وليست مجرد قطعة قماش، قامت سلمى بتشغيل بعض الأناشيد الإسلامية الخاصة بالأفراح على جهاز الحاسوب الخاص بها ثم جلست تتحدث مع النساء وتضحك وتمرح معهن لبعض الوقت، كان إسلام قد

خيّر سلمى ما بين أمرين: إما أن يتم شراء الحلي الخاص بها وترتديه في هذه الحفل بمساعدة والدته، وإما أن يتم تأجيل ارتدائه إلى ما بعد عقد القران حتى يستطيع هو بنفسه مساعدتها في ارتدائه -وهذا ما كان يتمناه هو- وبالفعل اختارت سلمى الخيار الثاني وستنتظر إلى ما بعد عقد القران حتى تستطيع الاستمتاع بتلك اللحظة مع عريسها.

بعد ثلاث ساعات تقريبًا هدأ البيت وتسرّب الضيوف واحدًا تلو الآخر وما تبقى إلا أفراد الأسرتين، وهنا قامت والدة سلمى بفتح الستار وأشارت لإسلام أن يتفضل إلى الداخل، نهض من مكانه وقلبه يقفز فرحًا، كانت سلمى في غرفتها في ذلك الوقت تُعدّل من هندامها وتحاول السيطرة على نبضات قلبها المتسارعة، وتتحسس بيديها الصغيرتين وجهها الدافئ ووجنتيها الورديتين من فرط خجلها، بدأت تسير بهدوء وكادت تطير مع الهواء لرقتها، دخلت إلى الغرفة وألقت التحية على إسلام وهي تنظر للأرض خجلة، حياها هو الآخر ثم همس بسعادة:

- ألف مبروك يا عروسة.

- اللّه يبارك فيك.

قالتها بنبرة تحمل كل آيات السعادة وعيناها تلمعان بشدة، فشعر إسلام بها وقبل أن ينطق بأي كلمة ذكّر نفسه بالعهد الذي اتخذه على نفسه، فحاول انتقاء كلماته بحرص شديد، وهمس بابتسامة ودودة:

- ودلوقتي بقى بما إننا بقينا مخطوبين رسمي فأحب أعرّفك آخر أخباري.

عادت سلمى بظهرها إلى ظهر كرسيها في انتباه، وعقدت ذراعيها أمام صدرها علامة التركيز وتمتمت:

- اتفضل.

- طبعًا أنتِ عارفة إني حاليًا بدور على شغل بليل، بصراحة لسه ملقيتش حاجة مناسبة، فدعواتك معايا.

التقط أنفاسه للحظات ثم استطرد:

- بالنسبة للشبكة، فأنا بقول إننا ممكن مثلًا نستنى لما تخلصي امتحانات وبعدين نشتريها وتخليها عندك لحد ميعاد كتب الكتاب، واحتمال أكون ساعتها خلاص لقيت شغل تاني وبالتالي نقدر نحدد فترة الخطوبة هتكون حوالي قد إيه، وده طبعًا بعد ما ننزل نتفرج على الفرش ونعرف الأسعار ونشوف هحتاج أحوش كام فوق الفلوس اللي معايا، طبعًا الكلام ده كله هيكون بالاتفاق مع عمي، أنا بس حبيت أديكِ فكرة عن اللي بفكر فيه.

- تمام مفيش مشكلة خالص.

هذا كل ما كان يستطيع إخبارها به في تلك اللحظة، لم يُخبرها أن هذه الملابس الفضفاضة واختيارها للألوان الهادئة تلك جعلها تزيد في عينيه براءة فوق براءتها، لم يخبرها أنه بدأ يشعر بحبها يتسلل إلى قلبه، وأن حديثه القليل معها كفيل بأن يجعل يومه كله ورديًا، لم يخبرها بكم المشاعر الممتزجة ببعضها البعض داخل قلبه، يومًا ما، يومًا ما سيخبرها بكل هذا وأكثر، فقط انتظري يا نفس الموعد المناسب ولا تتسرعي، فربك حتمًا سيجزيكِ بكل الخير على صبرك واختيارك رضاه أولًا وقبل أي شيء آخر.



انقشع الليل وانبثقت الشمس من رحم السماء تنثر قبلاتها في بقاع الأرض، تلقّى إسلام إحدى قبلاتها وفي عينيه نظرة أمل، أمل في الحصول على الترقية المنتظرة وازدياد راتبه مما يساعده على تدبير أمور بيت الزوجية بشكل أسرع، أنهى فطوره على عجل وارتدى ملابس أنيقة كعادته، ثم حلّق بصحبة طائر التفاؤل إلى عمله، فور وصوله وجد جميع من بالشركة في حالة من الترقب، بدأ عمله وهو يدعو الله أن تكون الترقية من نصيبه لأنه يبذل مجهودًا يضاعف مجهودات الجميع، ولأنه يرى أنه أكثر من يستحق تلك الترقية، مرت الساعات وحان موعد صلاة الظهر، ترك إسلام عمله وذهب لأداء الصلاة، وفور عودته أخبره زميله بأن المدير يدعوهم لمكتبه، اشتعلت الحماسة بداخل قلبه الذي ازدادت نبضاته بشكل ملحوظ، وتوهجت عيناه ببريق مميز، سار بخطوات واثقة نحو مكتب المدير، نهض المدير من مكانه وبدأ ينظر لإسلام وزملائه الستة مبتسمًا، ثم أخذ يقلب بعض الأوراق على مكتبه، وأخيرًا أردف:

- في الحقيقة، كانت المنافسة بينكم واضحة جدًا خلال الشهور الماضية مما وضعنا في موقف محير، ولكن بعد تفكير وتدقيق وجدنا أن المهندس...

وهنا خفقت قلوب جميعهم وازداد تركيزهم أضعافًا مضاعفة وكل منهم ينتظر أن يسمع أول حرف من اسمه حتى يطمئن قلبه.

- وجدنا أن المهندس زكي ماهر هو مستحق الترقية لهذا العام، وبالتوفيق للجميع في الأعوام القادمة.

اتسعت حدقتا إسلام عن آخرهما بدهشة وعدم استيعاب، فزكي هو آخر شخص كان يتوقع حصوله على الترقية نظرًا لعدم جديته الواضحة في العمل التي تصل إلى حد الاستهتار، نظر حوله وكأنه غائب عن الوعي من هول الصدمة، فوجد أن وجوه زملائه تحمل كل آيات الحزن والتذمر،

ضم أصابعه في باطن كفيه في محاولة منه للسيطرة على انفعاله وسار مغادرًا الغرفة كما سار الجميع، دخل مكتبه وارتمى على أقرب كرسي وهو في حالة غضب شديد حتى كاد الشرر أن يتطاير من عينيه، اقترب منه زميله وربت على كتفه وهو يقول:

- كنت عارف إن ده اللي هيحصل بس محبيتش أحبطك يمكن يكون نصيبك أحسن مننا.

نظر له إسلام بعدم فهم وسأل:

- كنت عارف منين؟

تنهد تنهيدة قوية وقال مفسرًا:

- والد زكي يبقى صديق المدير، فمن الطبيعي إن هو اللي ياخد الترقية.

نهض إسلام من مكانه بغضب وقال ثائرًا:

- ولما الموضوع كله بالواسطة واجعين دماغنا ليه بقى طول الوقت بموضوع الكفاءة والضمير وحب العمل والكلام الكذب ده كله!

ضحك زميله بحسرة وقال:

- وهو أنت بتصدق الكلام ده!

تأجج الغضب بصدر إسلام وتمتم:

- أستغفر الله العظيم، أستغفر الله العظيم، طيب وهنعمل إيه دلوقتي؟!

- مش هنعمل حاجة، كَمّل شغلك يا باشمهندس!

- ببساطة كده!

- وأبسط من كده كمان، لو فكرت تتكلم هيمشوك ويجيبوا عشرة مكانك، عادي جدًا!

- أنت كده بتحرق دمي زيادة يا مروان!

ربت صديقه على كتفه وقال بطيبة:

- أنا مش قصدي أضايقك يا إسلام، أنا بس حبيت أعرفك الحقيقة لأني بقالي خمس سنين شغال هنا وعرفت نظامهم خلاص، ربنا يعلم أنا حبيتك واحترمتك قد إيه، بس ده الواقع هنا وكان لازم أعرفك، وأنت حر في قرارك بعد كده.

زفر إسلام زفرة قوية وبعدها صمت طويلًا حابسًا تلك النار التي تغلي بفؤاده وبدأ يتذكر الآية الكريمة ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.



- ٨ -

طرقات خفيفة على باب غرفتها أتبعها بسؤال قصير: أنتِ صاحية يا هند؟ فألقت هند هاتفها على الفراش وقفزت مهرولة باتجاه الباب، فتحت الباب مبتسمة وقالت بحنان:

- ادخل يا إسلام.

بابتسامة تحمل خلفها الكثير من المشاعر المختلطة قال:

- كنت عاوزك بس تتصلي بسلمى وتعتذري لها عن زيارة بكره.

- ليه يا إسلام؟!

- مخنوق جدًا ومش عارف هقولهم إيه بعد موضوع الترقية ده.

- بس...

قاطعها وهو يشير بيده أمام وجهها قائلًا:

- بعد إذنك يا هند اعملي اللي بقولك عليه.

أومأت برأسها مستسلمة فابتسم إسلام وعاد لغرفته، بينما اتصلت هي بصديقتها وأبلغتها برسالة إسلام، فتعجبت سلمى واستفسرت عن السبب، ولمّا قصت عليها هند ما حدث في الشركة منذ يومين صمتت سلمى للحظات، ثم أخبرت هند بأنها ستعاود الاتصال بها بعد قليل، تعجبت هند من رد فعل صديقتها ولكنها لم تعد تملك سوى الانتظار، بعد مرور نصف ساعة تقريبًا اتصلت سلمى بهند وقالت بحماس:

- قولي لإسلام إن بابا عازمكم على الغداء بكره بإذن الله بعد صلاة العصر.

ضحكت هند بعدم استيعاب وقالت:

- أنتِ بتقولي إيه يا بنتي!

ببراءة مصطنعة كررت:

- بقولك قولي لإسلام إن بابا عازمكم على الغداء بكره بإذن الله بعد صلاة العصر.

- أيوة ما أنا سمعت والله، بس إسلام بيقول إنه مش هيقدر ييجي!

- دي أول مرة نعزمكم يا هند، وهنزعل بجد لو رفضتوا، يلا هنستناكم، سلام.

ألقت بجملتها الأخيرة وأغلقت الخط بعدها، فما كان من هند سوى أنها تركت هاتفها وذهبت لوالدتها لتقص عليها ما حدث.



بفستان بلون البنفسج تتناثر بأطرافه وردات صغيرة بيضاء اللون، وبخِمار يحمل اللون ذاته سارت بخطوات هادئة حَيِّية حتى وصلت إليه واستقرت جالسه في المقعد المقابل به، أطبق الصمت عليهما لدقيقة كاملة حتى قطعته سلمى متسائلة:

- عجبك الأكل؟

أومأ إسلام برأسه وأجاب:

- جميل ما شاء الله.

قالها وصمت مرة أخرى لا يدري فيما يتحدث، فشعرت سلمى به وهمست بهدوء:

- ممكن تحكيلي إيه اللي حصل في الشغل بالظبط؟

رغم علمها بالإجابة ولكنها أرادت أن تسمعها منه هو، شبك أصابع يمناه بيسراه وقال بضيق:

- باختصار كنت متعشم جامد إن الترقية هتكون من نصيبي، ولما أخدها شخص تاني اتصدمت، وخصوصًا لأنه تقريبًا أكثر واحد مبيشتغلش في الشركة!

- مش أنت عملت اللي عليك؟

- عملت اللي عليَّ وأكثر والله.

قالها بيأس، فابتسمت سلمى وقالت بثقة:

- خلاص يبقى متقلقش من حاجة، وخليك واثق إن ربنا هيدبرها من حيث لا تدري.

- المشكلة كمان إن كل الشغل الليلي اللي بلاقيه يا إما مواعيده مش مناسبة لمواعيد شغلي يا إما المرتب قليل جدًا!

صمت هنيهة ثم قال:

- عامة أنا مش عاوز أوجع دماغك بالكلام ده، بإذن الله هتصرف.

- بالعكس يا إسلام، أنا ببقى حابة أشاركك التفاصيل دي، وزي ما قولتلك أنا واثقة جدًا في ربنا ومتأكدة إن الأمور كلها هتتيسر، ودلوقتي تشوف بنفسك .

ابتسم للمرة الأولى منذ بداية جلستهما، فتنفست سلمى براحة وأخرجت ورقة مطوية من جيب فستانها وقالت بحماس وهي تضعها في مواجهة إسلام:

- الآنسة دي تقدر تقول إنها هتكون صديقتنا في كل المرات اللي هنتقابل فيها، لأني بكتب هنا كل المواضيع اللي حابة أناقشك فيها علشان منساش حاجة زي ما قولتلي.

بساطتها، حماسها، براءتها، رقتها، وأيضًا البهجة التي تنتشر في الأرجاء لمجرد سماع صوتها، كل ذلك ساهم في اتساع ابتسامته، وجعله يشاركها حماسها قائلًا:

- يلا اتفضلي، أنا مستعد.

- امممم، أول حاجة، أنا مش حابة أجيب تليفزيون ولا نيش في بيتنا.

- والسبب؟

- بالنسبة للنيش فأنا بصراحة شايفاه حاجة ملهاش لازمة، مجرد قطعة ديكور مش أكثر، يعني معظم الحاجات اللي بتتحط في النيش مش بنستخدمها، العروسة بتجيبها بس علشان شكلها قدام الناس، وأنا بصراحة مش بحب كده، أنا حابة أجيب الحاجات اللي هستخدمها وبس، ونفس المبدأ ده هطبقه بإذن الله في كل حاجة، يعني مش هجيب أعداد مهولة من كل حاجة علشان لما حد يسألني أقعد أفتخر بحاجتي، لأ أنا مقتنعة إن ده بيتي ومن حقي أجيب فيه اللي أنا عاوزاه وبس بغض النظر عن رأي الناس.

- جميل، أنا موافق جدًا على الكلام ده، طيب وبالنسبة للتليفزيون؟

- التليفزيون بالنسبالي ضرره أكبر من نفعه، معظم الحاجات اللي بتيجي عليه مش مفيدة أبدًا، في حين إني ممكن أستبدله بجهاز كمبيوتر مثلًا وأدخل على الإنترنت أتفرج على اللي يناسب اهتماماتي وينفعني بدل المسلسلات والكلام ده، وبالفعل أنا ماشية بالمبدأ ده بقالي سنة تقريبًا وفرق معايا جدًا الحقيقة.

- فكرة حلوة، أنا عن نفسي مش بتفرج على التليفزيون كتير بردو، بإذن الله هتكلم مع عمي في الموضوع ده وأقوله وجهة نظرنا، هاه إيه كمان؟

بدأت تنظر في الورقة التي بين يديها وكأنها تختار الموضوع التالي، ثم حسمت أمرها وقالت:

- عاوزة أسألك على حاجة بس تجاوبني بمنتهى الصراحة.

- صدقيني أنا بتكلم معاكِ بمنتهى الصدق، علشان ده كان اتفاقنا من البداية.

- إيه أخبار غض البصر معاك؟

- اممم، صعب السؤال ده!

قالها ضاحكًا وهو يحك رأسه بأطراف أصابعه، ثم تنهد بقوة وأردف:

- بصي مش هضحك عليك، الموضوع كل شوية بتزيد صعوبته وبيكون محتاج مجاهدة أكبر، البنات لبسها الفترة الأخيرة بقى سيئ جدًا جدًا، والإنترنت كل شوية تظهرلنا فيه إعلانات ملهاش أي لازمة تخلينا نشيل ذنوب وخلاص، فأنا بجاهد،

بجاهد كتير والله وكل شوية أفكر نفسي إن غض البصر فرض مهما الزمن اتغير والناس اتغيرت، فدعواتك معايا.

أومأت سلمى بتفهم وقالت:

- الموضوع بالنسبالي يمكن أسهل شوية، من صغري وأنا بتحاشى النظر للرجالة، تقدر تقول ببقى محرجة شوية، لكن من سنتين تقريبًا بدأت أستوعب الآية ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ وبقيت أقول لنفسي إن ده أمر من ربنا ولازم أطبقه سواء على الحقيقة أو وأنا بتفرج على التليفزيون، لدرجة إني كنت راسمة إيموشن مبتسم على ورقة وبلزقه في بعض الأحيان على وجه الداعية أو الشخص اللي بتفرج عليه علشان أريح نفسي.

نظرت إليه لبرهة فلاحظت ابتسامته المتسعة، فخفضت عينيها أرضًا وهي تقول بحرج:

- بس عامة يعني أنا بطلت الموضوع ده وبقيت بكتفي بإني أركز بقدر الإمكان على الحيطة أو الترابيزة أو أي حاجة تانية غير الشخص اللي بتفرج عليه.

- جميل، ربنا يثبتك.

سمعا أصوات أقدام تقترب منهما شيئًا فشيئًا، وبعدها ظهرت والدة سلمى ومن خلفها هند ووالدة إسلام، قام إسلام من مكانه ونظر لوالدته باستفهام، فقالت:

- هنستأذن احنا بقى، وخليك أنت مع عروستك.

- طيب هوصلكم.

قالها واقترب منها أكثر، فضحكت بهدوء وقالت:

- توصلنا فين يا بني! ده البيت في آخر الشارع!

ثم التفتت إلى والدة سلمى واحتضنتها، ثم ضمت سلمى إليها بحب وربتت على كتفها، وبعدها غادرت في هدوء، عادت سلمى إلى مكانها وتبعها إسلام.

- مامتك باين عليها حنينة قوي.

تمتمت بها سلمى بابتسامة، فقال إسلام:

- حنينة وعاقلة جدًا كمان، ربنا يباركلي فيها.

لحظات صمت قليلة مرت قبل أن يقطعها إسلام بقوله:

- كانت هند قالتلي قبل كده إنك خايفة جدًا من فكرة الجواز، وطول الوقت شايفة نفسك مش مستعدة لخطوة زي دي، يا ترى إيه السبب؟

- الموضوع بالنسبالي بيتلخص في نقطتين أساسيتين، الأولى: وهي إني شايفة الجواز ده مسئولية كبيرة خايفة مكونش قدها، وأنا حابة أكون زوجة ناجحة وعارفة كويس أوي حقوقها وواجباتها وبتعرف تدير شؤون بيتها كويس، والثانية: وهي انتشار حالات الطلاق حوالينا بشكل مبالغ فيه، الموضوع ده بيرعبني، يعني هو معقولة كل الناس دي بتنفصل وأنا اللي حياتي هتستمر وهعيش زي ما بتمنى! مش عارفة حقيقي.

عاد بظهره إلى مقعده وشبك أصابع يمناه بيسراه وقال بتفهم:

- طيب نمسك نقطة نقطة، بالنسبة للمسئولية فهي بتبدأ صغيرة وبعدها بتكبر، يعني في بداية الزواج بيكون البيت جميل ومترتب، فهتلاقي مطلوب منك حاجات بسيطة زي

الأكل مثلا وتنظيف البيت على السريع كده، وبما إن مفيش إلا شخصين بس في البيت فهتكون الدنيا طول الوقت نظيفة، بعدها لما ييجي طفل بتكوني أنتِ بقيتي بتعرفي تعملي شغل البيت أسرع وبحرفية أكثر، فبتضاف عليكِ مسئولية الطفل وهكذا، عاوزك كمان تكوني على يقين من حاجة، وهي إنك لما تستعيني بالله وتطلبي منه يساعدك حتمًا هتلاقي أمورك اتيسرت وربنا قواكِ على مسئولياتك.

- حاضر هستعين بالله وأطلب منه يعينني ويطمن قلبي بإذن الله.

- نيجي للنقطة التانية وهي انتشار حالات الطلاق، بصراحة الموضوع له أسباب كتير جدًا بس من أشهرها مثلًا إن الشاب بيكون حاطط في دماغه إن مراته علطول هتكون جميلة ورقيقة زي ما بيشوف الستات في التليفزيون، والبنت بتكون مستنية الزوج اللي يغرقها هدايا ويفسحها وتعيش معاه زي ما بتقرأ في الروايات، فلما بيتجوزوا هو بيلاقي إنها إنسانة عادية جدًا أوقات بتهتم بنفسها وأوقات بتنشغل ببيت وعيال، وهي تلاقيه يادوب بيصرف على البيت بالعافية وكل يوم يرجع من الشغل مخنوق ومش طايق كلمة، فهنا بتلاقي كل واحد بدأ يلوم في التاني، هو يقولها أنتِ مهملة ومش مالية عيني وكذا كذا، وهي تقوله دي صاحبتي جوزها بيجيبلها كذا وكذا وأنت بخيل في فلوسك ومشاعرك... الخ، فبتلاقي الحياة مع الوقت بتبقى أصعب، يعني حتى لو محصلش طلاق بتكون علاقتهم متوترة جدًا وعايشين وخلاص علشان الأولاد.

- والحل في الحالة دي إننا نكون واقعيين شوية وصادقين مع بعض كمان، بحيث منديش وعود ونعيش في عالم وردي في الخطوبة وبعد الزواج نتصدم بالواقع.

- بالظبط كده.

- طيب وإيه كمان؟

- عندك مثلًا نوع من الرجال بيكون شايف إنه لو بيصرف على مراته كويس وبيجيب لها كل طلباتها يبقى هو كده أعطاها حقها وزيادة، وبيغفل عن احتياجاتها العاطفية وبيكون جاف جدًا في مشاعره ومش شايف إنه غلطان في حاجة، ده بيأثر على نفسية الست وبيعمل فجوة كبيرة ما بينهم، وعندك كمان نوع من الستات مش بيكون عندهم مبدأ طاعة الزوج ده أبدًا، بتحس إنها ضعيفة لو قالت لجوزها حاضر وسمعت كلامه، وعلطول وقفاله النِّد بالنِّد وعاوزة كلمتها هي اللي تمشي، النوع ده حقيقي صعب الواحد يكمل معاه.

عقدت ذراعيها ووضعت يدها اليمنى تحت ذقنها مفكرة ثم قالت:

- افتكرت حاجة كمان بتعمل مشاكل كتير جدًا، وهي عدم تفهمنا لفكرة الاختلاف بين الراجل والست، يعني تلاقي الست بتفرح بحاجات بسيطة جدًا، وجوزها شايفها تفاهة فبيحرمها منها ويطلب منها بأسلوب حاد إنها تعقل شوية، وفي نفس الوقت ممكن تلاقيها حساسة وبتزعل بسرعة، فبدل ما جوزها يحاول يشوف إيه اللي مزعلها ويراضيها لأ بيفضل يقولها إنها نكدية، فتعيط أكثر وتكون نكدية أكثر وندخل في دوامة لا تنتهي، كمان ساعات الزوج بتكون فيه حاجات معينة بتضايقه بس الزوجة مش مقتنعة إن دي حاجات تضايق وشايفاها عادية، فبدل ما

تحاول تتفهم مشاعره باعتبار إن شخصياتنا مش زي بعض وتتعامل على هذا الأساس، لأ دي بتقعد تتريق وتسخر منه قدام صحباتها وأهلها وده بردو بيزود الفجوة ما بينهم.

- نقطة ممتازة ومهمة فعلًا يا سلمى، أحييكِ عليها.

ابتسمت بخجل وسألت وهي تشير إلى أكواب العصير الموضوعة أمامهما:

- تحب ناخد بريك شوية ونشرب العصير؟

أومأ برأسه وأمسك بكوب العصير وبدأ يرتشف منه في هدوء.



ذات صباح صافٍ وجميل خرجت سلمى من قاعة المحاضرات بصحبة صديقتيها هند وفاطمة، وقف ثلاثتهن أمام البناية الرئيسية للمحاضرات، وقالت فاطمة بتعب:

- يا بنات أنا جعانة جدًا، تعالوا نجيب سندويتشات قبل المحاضرة الثانية ما تبدأ.

وافقت سلمى وكذلك هند، وفي طريقهن إلى خارج الجامعة توقفت فاطمة عن السير وبدأت تنظر يمينها بتركيز، ثم قالت متلهفة:

- ثواني يا بنات ورجعالكم!

وفي لحظات كانت اختفت من أمامهما، نظرت هند إلى سلمى وسألت متعجبة:

- هي رايحة فين؟

- مش عارفة، أدينا مستنيين.

ومن بعيد وقف كريم البحيري بصحبة ثلاث فتيات، تسأله إحداهن عن بعض الأسئلة التي تشغلها بخصوص مادة الشعر، بينما تسخر منها صديقتها لسذاجة أسئلتها وتضحك الثالثة، اقتربت فاطمة منهن ووقفت صامتة حتى انتهت الفتاة مما تحتاجه وغادرت بصحبة صديقتيها، نظر كريم إليها منتظرًا حديثها، فتنحنحت وقالت بنعومة:

- أنا فاطمة دفعة سنة رابعة، كان بس فيه نقطة عاوزة أسأل حضرتك عليها علشان دايمًا بتلخبط فيها.

أومأ مبتسمًا دون أن يتحدث، فسألته فاطمة سؤالها الوهمي، وشرح لها في إيجاز ما تحتاجه، فلمعت عينيها وقالت بسعادة:

- ياااه هو ازاي حضرتك شرحتها بالوضوح ده! أنا طول الترم تايهة فيها، يا ريتني كنت سألت حضرتك من زمان.

- لو احتجتِ أي حاجة تاني ابقي تعالي.

- بجد؟ يعني مش هتقّل على حضرتك؟

قالتها بحماس، فأجاب كريم:

- لأ أبدًا.

- شكرًا جدًا لحضرتك، وآسفة لو عطلتك.

انسحبت من أمامه حتى لا يشعر بنبضات قلبها القوية، ها هي خطوتها الأولى قد نجحت، واستطاعت أن تجعله يسمح لها بمقابلته في أي وقت دون شروط، ودون أن تطلب، ستحاول جاهدة استغلال الفترة الأخيرة قبل تخرجها في توطيد العلاقة بينها وبين كريم حتى تجد بعد تخرجها حُجة لمقابلته، عادت إلى حيث تركت صديقتيها فلم تجد إلا هند، فسألت:

- أُمال فين سلمى؟

- رجعت المدرج علشان المحاضرة هتبدأ، المهم أنتِ كنتِ بتعملي إيه مع دكتور كريم؟

قالت بلا مبالاة:

- كنت بسأله على حاجة في المنهج.
- وهو اللي بيسأل على حاجة في المنهج بيرجع طاير من الفرحة كده!

أمسكت فاطمة يد صديقتها وبدأت تسير بها باتجاه قاعة المحاضرات وهي تقول:

- أصل متعرفيش يا هند السؤال ده كان شاغلني قد إيه.

نظرت لها هند بتوجس وعدم اقتناع وقالت:

- طيب مش هتشتري السندوتشات قبل ما تدخلي؟
- لأ خلاص شبعت!



مرت الأيام سريعًا واقتربت امتحانات نهاية العام، حالة من التوتر، التيه، والخوف أصابت سلمى، وسواس قوي يضرب برأسها ويخبرها مرارًا بأنها لن تنجح ولن تتخرج مثل زميلاتها، اتصلت بهند باكية وأخبرتها بمخاوفها، فبدأت هند تطمئنها ببعض الكلمات لتهون عليها الأمر، ثم خطر في بالها فكرة، فأنهت المكالمة وذهبت إلى أخيها، قصت عليه حوارها مع سلمى وطلبت مساعدته في حل هذه المشكلة، فأخبرها بأنه سيتدبر الأمر، غادرت هند وهي تدعو الله أن يبعث السكينة والراحة إلى قلب سلمى ويوفقها في اختباراتها، بعد عدة أيام علمت سلمى من والدها أن إسلام يريد تقديم موعد زيارة هذا الأسبوع لتكون في يوم

الثلاثاء بدلًا من يوم الجمعة، كانت في حالة لا تسمح لها بمقابلته، ولكنها أيضًا لم تستطع الرفض، فأخبرت أبيها بأنها ستكون جاهزة في الموعد المحدد بأمر اللّه.

وفي يوم الثلاثاء بعد صلاة العشاء بنصف ساعة سمعت سلمى طرقاته على باب منزلها، فخفق قلبها كجناح ذبابة وارتفعت دقاته حتى ظنت أنها تسمعها بوضوح، هرولت إلى المرآة وبدأت تنظر بيأس إلى وجهها الشاحب وعينيها الحمراوين من أثر البكاء، ثم سارت متعجلة إلى دورة المياه وضربت وجهها بعدة دفعات من الماء في محاولة بائسة منها لتبدو بشكل أفضل، ولكن لا فائدة، تنهدت بحرج ثم جففت وجهها بهدوء وسارت إلى غرفتها التي انتظرت بها حتى ناداها والدها.

بحرج بالغ وخطوات بطيئة وعينين مثبتتين بالأرض سارت حتى وصلت إليه، بدأت ترفع عينيها للأعلى فلمحت باقة من الورد الأحمر تحتضن بداخلها مجموعة من الزهور الوردية موضوعة على المنضدة، وبجوارها صندوق وردي اللون مُزين بطريقة أحبتها كثيرًا، فارتسمت ابتسامة تلقائية على وجهها وشعرت بمزيج من المشاعر الجميلة داخل قلبها، ولما انتبهت إلى ذاك الجالس أمامها التفتت إليه بحرج وقالت:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته، ازيك يا سلمى، أخبارك إيه؟

جلست في مكانها المعتاد وتمتمت بهدوء:

- الحمد للّه.

- بما إن امتحاناتك الأحد الجاي فأنا حبيت آجي النهارده بدل يوم الجمعة علشان وقتها أكيد هتكوني مشغولة، وبإذن اللّه

هنعتبر دي آخر زيارة الفترة دي، ونتقابل بعد ما تخلصي امتحاناتك تمامًا بإذن اللّٰه علشان مش حابب أعطلك.

- تمام، اللّٰه المستعان.

- قوليلي بقى، إيه أخبار المذاكرة؟

- كويسة.

- متأكدة؟

قالها بشك، فتنهدت سلمى بحزن وقالت:

- بصراحة أنا مرعوبة، حاسة إني نسيت كل حاجة ومش هعرف أكتب ولا كلمة.

صمت إسلام للحظات لترتيب أفكاره ثم قال:

- إحساسك ده طبيعي جدًا يا سلمى وبيحصل مع معظم الطلبة، بس عاوزك تكوني متيقنة من حاجة، وهي إنك طالما ذاكرتي كويس يبقى أكيد المعلومات كلها اتحفظت جوا مخك وهتخرج وقت ما تحتاجيها، حتى لو حاسة دلوقتي إن المعلومات كلها دخلت جوا بعضها بسبب توترك.

- أنا مش هنكر إني دايمًا ببقى خايفة قبل الامتحانات وبعرف أجاوب كويس بعدها الحمد للّٰه، بس فعليًا المرة دي خوفي زايد جدًا، ولو لا قدر اللّٰه نزلت في مادة مثلًا ومتخرجتش هزعل جدًا، وهتكون مشكلة كبيرة مع بابا.

- طيب ممكن نتفق على حاجة؟

حركت رأسها علامة الموافقة، فأردف:

- عاوزك الفترة دي تبذلي كل طاقتك في المذاكرة، متفكريش في الامتحان ولا النتيجة ولا أي حاجة، هدفك اللي تحطيه قدام عينك هو إنك تخلصي المادة وتراجعيها مرة سريعة على الأقل، لو في النص حسيتي بإحباط ظني بربنا خير وتأكدي إنه هيكون عند ظنك وكملي مذاكرتك، وبإذن الله هتتيسر.
- هحاول بإذن الله.
- طيب تمام، ندخل على الموضوع اللي بعده بما إني مش حابب الزيارة دي تكون طويلة علشان مذاكرتك أهم دلوقتي، فين الآنسة صاحبتك؟

نظرت له سلمى بعدم فهم وهي تضيق ما بين عينيها، ثم غضت طرفها وسألت:

- آنسة مين؟

ضحك إسلام وهو يجيب:

- الورقة.

شعرت بسذاجتها وتمتمت بخجل:

- بصراحة مكتبتش حاجة الأسبوع ده.
- تمام أبدأ أنا، بما إني واثق إنك هتتخرجي وبتقدير كمان بإذن الله، قوليلي بتفكري تعملي إيه بعد التخرج؟

ثم ضحك وهو يقول:

- غير إنك تتجوزي طبعًا.

انكمشت سلمى في مقعدها واحمرت وجنتاها خجلًا، وقالت بعد صمت قصير:

- بصراحة بفكر أشتغل بعد التخرج علطول بإذن اللّٰه، ونسيت أتكلم معاك في النقطة دي قبل كده.

قال وسحائب الضيق تظلل ملامحه:

- ليه؟ هو أنتِ فاكرة يا سلمى إني مش هقدر أصرف على بيتي!

سكنت الدهشة مقلتيها وأجابت مسرعة وكأنها تريد أن تثبت أنها بُراء من تلك التهمة التي رماها بها:

- واللّٰه أبدًا يا إسلام، أنا مش قصدي كده خالص، كل الفكرة إني حبيت جدًا الشغل مع الأطفال لما جربته في التربية العملي، وحاسة إني بجانب شرح الإنجليزي ممكن أقدر أغرس فيهم مبادئ وقيم يعيشوا بيها حياتهم بعد كده.

- لو ده هدفك الأساسي فأنا معنديش مشكلة، بس بشرط.

- إيه هو؟

- إن أسرتك وبيتك يكونوا هما رقم واحد عندك، يعني لو قدرتي توفقي بين الشغل والبيت فأنا هبقى مبسوط لنجاحك، إنما لو الشغل كان سبب في إنك تقصري تقصير ملحوظ في البيت يبقى ساعتها لازم تتنازلي عنه في مقابل إنك تحافظي عما هو أهم.

- هو ده نفس رأيي على فكرة، اتفقنا.

- تمام، نفسك تعملي إيه كمان؟

- بصراحة بقالي كام شهر مسيطرة عليَّ جدًا فكرة إني ألبس النقاب وبابا رافض تمامًا، من أسبوعين تقريبًا خطرت على بالي فكرة تانية ومتحمسة ليها جدًا، وهي إني ألبس النقاب

يوم الفرح بإذن الله، ومن ساعتها وأنا فرحانة وحاسة إن فيه أمل بعد ما كنت يئست إن بابا يوافق.

- هبقى فخور بكِ جدًا لو عملتي الخطوة دي على فكرة، ربنا يوفقك.

لمعت عيناها وقالت بحماس:

- الله المستعان.

ساد الصمت بينهما، فكل منهما كان يحاول تجميع أفكاره قبل الدخول إلى النقطة التالية، قطعت سلمى ذلك الصمت قائلة:

- هقولك على موقف قد يكون تافه شوية، بس وراه موضوع مهم حابة أناقشك فيه.

نظر لها إسلام بانتباه، فاستأنفت:

- امبارح بابا طلب مني كُباية شاي، عملتها ووأنا رايحة أديهاله وقعت بدون قصد على السجادة وبهدلت الدنيا، وطار منها بعض النقط على رِجل بابا، ساعتها بابا اتضايق جامد وزعق وقالي كلمتين لسه مأثرين فيَّ لحد دلوقتي...

تنهدت بحزن عندما تذكرت الموقف وأكملت:

- ومن هنا فأنا حابة أتفق معاك على حاجة، يا ريت يا إسلام منحاسبش بعض على حاجة ملناش ذنب فيها، أصل أنت بتلومني على إيه! دي حاجة غصب عني ووارد تحصل في أي وقت، المواقف اللي زي دي لو اتكررت كتير واتكرر معاها اللوم والعتاب اللي بيصل في بعض الأحيان لغلظة شديدة ساعتها لازم هشيل منك والفجوة بيننا هتكبر، وأنا مش عاوزة كده أبدًا.

- أنا متفهم جدًا كلامك، وإن الواحد لما بيغلط غلط غير مقصود زي ده بيكون هو نفسه متضايق ومش ناقص إن حد يقعد يلوم عليه ويضايقه أكثر.

- من المواقف بردو اللي مش قادرة أنساها، كنت في المدرسة مرة ولقيت والدة طالب عندي في ثانية ابتدائي بتقولي إن ابنها عنده تبول لا إرادي وكل يوم بيقوم من النوم وسريره غرقان، وبتسألني أعاقبه ازاي علشان يبطل!

ظهر الغضب جليًا على وجهها وهي تتابع:

- أنت متخيل يا إسلام! عاوزة تعاقب الولد علشان مش قادر يتحكم في نفسه! علشان مش قصده! طيب هتعاقبيه على إيه! الولد مريض يا ناس ومحتاج علاج مش محتاج ضرب وعقاب! حاولت ساعتها بقدر الإمكان أرد عليها بالراحة، بس حقيقي كنت بغلي من جوايا.

- عندك حق يا سلمى، هي أكيد بتقول كده علشان الموضوع مرهق بالنسبالها، وعلى فكرة كلنا بنعمل كده باختلاف المواقف، يعني بنتعصب ونتضايق ونلوم من غير ما نفكر أصلًا هل الشخص اللي قدامنا ده غلط غَلط حقيقي يستاهل نلومه عليه ولا لأ، أوعدك إني هحاول آخد بالي من النقطة دي في حياتي معاكِ، وفي تعاملي مع الناس عامة بإذن الله.

ابتسمت سلمى بامتنان، فقال إسلام بتردد:

- طيب بالمرة خلينا نتفق على حاجة كمان.

استمعت إليه سلمى بتركيز وهو يقول:

- عاوزين نتفق إننا منحاسبش بعض على أي غلطة، أي تقصير في حق ربنا أو في حق نفسنا عملناه في الماضي، عاوزين ننسى اللي فات وأنت تحكمي على تصرفات إسلام من أول ما عرفتيه، وأنا أَحكم على سلمى اللي قدامي دلوقتي بدون ما أقعد أفتش وراها علشان أدور على غلطاتها السابقة، وربنا يغفر لنا زلاتنا.

- أنا موافقة جدًا يا إسلام، أنا قصرت في حق ربنا كتير زمان، ومش حابة فعلًا إنك تحاسبني على حاجة زي دي، وربنا يعفو عنا.

ابتسم إسلام بارتياح وقال:

- تمام اتفقنا، وضيفي مع الاتفاقات كمان إننا منطلعش أسرار بيتنا بعد الزواج أبدًا لأي حد، يعني حتى لو اتخانقنا أو زعلنا من بعض لازم زعلنا يفضل ما بينّا لحد ما نتصافى، لأن احنا هنتصالح وهننسى، لكن الناس مش بتنسى، وكمان لما الناس بتِدَّخَل ساعات المشكلة بتكبر أكتر.

- نقطة ممتازة يا إسلام وكنت فعلًا حابة أكلمك فيها، ربنا يقدرنا.

ابتسم وسأل:

- فيه موضوع تاني حابة تتكلمي فيه؟

- بصراحة مفيش حاجة في بالي حاليًا.

نهض من مكانه وقال مبتسمًا:

- طيب أنا هستأذن دلوقتي علشان معطلكيش أكثر من كده، ونتقابل بعد ما تخلصي امتحانات بإذن الله.

عندما لاحظ والدها الذي كان يشاهدهما من بعيد أن إسلام نهض من مكانه عَلِمَ أنه سيغادر، فاقترب منهما واصطحب إسلام إلى باب المنزل وهو يودعه، ثم ذهب إلى غرفة نومه ليستريح، في تلك اللحظة نظرت سلمى إلى الصندوق الرائع الموضوع على الطاولة وانتشلت غطاءه بلهفة، فلمعت عيناها وتلبدت بالغيوم وهي تقلب بين يديها قطع الشيكولاتة التي اختارها إسلام بعناية شديدة، يبدو أن هند أخبرته بالأنواع التي تفضلها فلم يترك نوعًا واحدًا إلا وأحضر منه قطعة حتى ملأ الصندوق بعشرة قطع مختلفة، أعادت سلمى قطع الشيكولاتة إلى الصندوق ونظرت إلى باقة الزهور الساكنة على الطاولة، تناولتها وجلست تنظر إليها بفرحة وتمرر أصابعها على زهورها زهرة زهرة، ثم احتضنتها بين ذراعيها وقد صرح قلبها بحب إسلام... للمرة الأولى.



أثناء عودتها من امتحان المادة الأولى كانت تخفيه بداخل حقيبتها، وصلت إلى منزلها وطرقت بابه مبتهجة، فأصدرت صوتًا أشبه بالنغمات الموسيقية، فتحت والدتها بلهفة وسألتها عما فعلت في الامتحان، فأجابت بأن الامتحان جاء أفضل مما توقعت، سُرت الأم لذلك الخبر كثيرًا، احتضنت ابنتها ثم طلبت منها أن تذهب لتبديل ثيابها، وعادت هي إلى المطبخ لتنهي عملها، سارت سلمى إلى غرفتها وقلبها ينبض بقوة، دخلت وأغلقت الباب خلفها، فتحت حقيبتها وأخرجته منها ووضعته أمامها على الفراش وبدأت تتأمله، دفتر وردي اللون تزينه من الأمام وردات صغيرة بعدة ألوان، وأطراف صفحاته من الداخل تزينها مجموعة ألوان تشبه قوس قزح، جلست على فراشها وأخرجت قلمها وبدأت تكتب:

حان وقت البوح

عزيزي إسلام، لا أخفيك سرًا لم أعد أستطع كتمان ما بداخلي أكثر من ذلك، بداخلي الكثير من المشاعر تجاهك، لا أعلم كيف حدث ذلك، ولكن كل ما أعلمه أنني أحببتك كثيرًا، سأقولها صريحة ولن أنكرها بعد اليوم، أنا أحبك يا إسلام وأتمنى أن يجمعنا الله على خير حتى أستطيع أن أخبرك بكل ما يدور بداخلي بلا قيود، وحتى يحين ذلك الوقت سيكون هذا الدفتر هو مكاني لأتحدث معك بكلمات غير الكلمات، وستراني هنا بصورة مختلفة عما تراها في الواقع.

أتعلم؟ قلبي ينبض بشدة منذ اشتريت هذا الدفتر، وابتسامتي ما زالت مرسومة على وجهي، طوال الطريق أنتظر بلهفة عودتي إلى المنزل حتى أكتب لك كلماتي الأولى، بالله عليك يا إسلام كيف استطعت أن تريح قلبي بحديثك معي في كل مرة إلى هذا الحد؟ كيف استطعت أن تجعلني أنتظر زيارتك حتى أستمع إلى كلماتك التي ترضي عقلي وقلبي؟ كيف استطعت أن تجعلني أصدقك وأثق بك إلى هذا الحد؟

أعلم أننا ما زلنا في البداية، ويجب عليَّ أن أتريث ولا أعلق نفسي بك كثيرًا حتى أعرفك أكثر بمرور الأيام، ولكنني لا أستطيع أن أوقف تدافع تلك المشاعر بداخلي، لذلك رأيت أن ذلك الدفتر هو الحل الأمثل لتفريغها، ومن اليوم سأنتظر تلك اللحظة التي سأهديك فيها هذا الدفتر بعد عقد قراننا مباشرة، وأرى في عينيك فرحة بزوجتك التي سعت بكل طاقتها حتى تحافظ على قلبك ولسانك عفيفًا طوال فترة الخِطبة، يا رب، يا رب أعنا على مرور تلك الفترة على خير دون أن نعصيك.

سأذهب الآن لأساعد أمي في تحضير الغداء، وسأعود في وقت آخر بإذن الله لأحدثك بالكثير، السلام عليك.

ذيّلت الصفحة بتاريخ اليوم والساعة والدقيقة، ثم خطفت نظرة سريعة إلى الكلمات المكتوبة وعينيها تشع بهجة وسرور، أغمضت عينيها واحتضنت الدفتر ثم تركته على الفراش وبدأت بتبديل ثيابها، بعد ارتدائها ملابس المنزل تناولت الدفتر وسارت به باتجاه خزانتها لتخبئه بها، ولكنها عادت مرة أخرى وفتحت صفحة بيضاء تلي الصفحة التي كتبت بها مسبقًا وكتبت:

لقد عدتُ من جديد، هل اشتقت إليَّ؟ هاها أمزح بالطبع، فقط تذكرتُ شيئًا ما وأريد أن أخبرك به.

أتذْكُر عندما أتيت لزيارتي في المرة الأخيرة قبل امتحاناتي؟ أتذْكُر باقة الورد التي أحضرتها، وصندوق الشيكولاتة أيضًا؟ مهما أردتُ أن أصف لك فرحتي بتلك الهدية فلن أستطيع، ومهما شكرتك على كلماتك العذبة التي تحدثت بها وقتها لتطمئن قلبي فلن أوفيك حقك، ومهما أظهرت لك امتناني لأنني لم أرَ في عينيك نظرة واحدة تُبين ضيقك من شحوب وجهي وسوء حالتي حينها فلن أوفيك حقك أيضًا، أشكرك بشدة يا إسلام، أشكرك على كل شيء، حفظك الله لي يا عزيزي.

للمرة الثانية ذيلت الصفحة بتاريخ اليوم والساعة والدقيقة، ثم أغلقت الدفتر وخبأته في خزانتها بين كتبها، وأثناء خروجها من الغرفة سمعت رنين هاتفها، أمسكت بحقيبتها وأخرجت الهاتف، ولما رأت اسم إسلام ينير الشاشة ارتعشت يداها، خرجت من الغرفة ووقفت في صالة المنزل ثم أجابت بتوتر ممزوج بالسعادة:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ازيك يا سلمى ؟أخبارك إيه؟

- الحمد للّه في أحسن حال.

- طمنيني عملتي إيه في الامتحان؟

- الحمد للّه، كان أفضل مما توقعت يا إسلام.

- يعني افتكرتي الإجابات أهو.

ابتسمت بخجل وقالت:

- في البداية مكنتش عارفة أجاوب خالص، وبعد مرور ربع الوقت تقريبًا افتكرت كل حاجة وكأن الكتاب كان مفتوح قدامي، الحمد للّه.

شعر إسلام بسعادة لا توصف، لأنه في ذلك الوقت بالتحديد كثّف الدعاء لها ولهند، علم أن اللّه تقبل دعاءه فابتسم، ثم قال:

- هو بابا موجود؟

- لأ لسه مرجعش من الشغل.

- خلاص هبقى أكلمك تاني في وقت يكون موجود فيه بإذن اللّه، عامة أنا كنت عاوز أقولك إني رايح النهارده بعد الشغل انترفيو في مطعم كبير محتاج شخص في الحسابات، وأنا متفائل المرة دي، ادعيلي.

- حاضر بإذن اللّه.

- يلا سلام عليكم.

ردت السلام وأغلقت الخط، ثم نظرت إلى الهاتف وشردت، انتشلها نداء والدتها التي تطلب منها مساعدتها في نقل الأطباق إلى المائدة قبل

عودة والدها من شرودها، وضعت الهاتف جانبًا وسارت مسرعة تلبي نداء والدتها وهي تحمد الله على نعمة وجود إسلام في حياتها، وتدعوه أن يحفظ قلبه ويديم عليه عفته.



- أيوة يا دكتور كريم، أنا مستنية حضرتك جنب العربية.

وقفت تلك الشقراء التي ترقرق في وجهها ماء الجمال تنتظر محاضر مادة الشعر بلهفة كبيرة، وضعت هاتفها في حقيبتها وبدأت تفكر في الطريقة المناسبة التي ستبدأ بها حديثها، مرت دقائق قليلة قبل أن تجده ماثلًا أمامها مبتسمًا ويقول:

- خير يا فاطمة، كنتِ محتاجة حاجة؟
- حضرتك عارف إن النهارده آخر يوم في الامتحانات، وكان نفسي أبدأ الإجازة وأنا مبسوطة، بس للأسف فيه كام سؤال هتجنن وأعرف أنا جاوبتهم صح ولا لأ، يا إما هفضل خايفة لحد ما النتيجة تظهر، أنا عارفة إني تقلت على حضرتك كتير الفترة اللي فاتت، بس دي هتكون آخر مرة.
- طيب ما هو أنا كنت واقف مع الطلاب بعد الامتحان علطول وجاوبت على كل الأسئلة، ليه مكنتيش معاهم؟

لم تتوقع سؤاله، توترت وبدأت حبات العرق تتندى على جبينها، قالت متلعثمة:

- أصل ماما اتصلت بيَّ وكانت محتاجة علاجها ضروري لأنها اكتشفِت أنه خلص، روحت بسرعة اشتريت غيره وأديتهولها وبعدين رجعت تاني.

صدقها، وسأل:

- أنتِ بيتك قريب من هنا؟

- آه شوية.

فتح باب السيارة المجاور لهما، ألقى حقيبته الجلدية الصغيرة في المقعد الخلفي ثم قال:

- عامةً أنا كنت هروح أتغدى دلوقتي وأرجع الجامعة تاني علشان لسه عندي شغل، لو تحبي تيجي معايا ونرجع سوا تاني أنا معنديش مشكلة، وفي الطريق اسألي اللي أنتِ عاوزاه.

مندهشة سألت:

- آجي فين؟

ضاحكًا أجاب:

- في المطعم، أنا بتغدى في مطعم، واعتبريها عزومة بمناسبة انتهاء الامتحانات.

هل أخبرته أن قلبها الآن يرقص من الفرحة، أم أن عينيها قامتا بالمهمة على أكمل وجه؟ تصنّعت التردد، ولكنها لم تُفلح هذه المرة واستطاع كريم أن يرى كل شيء في عينيها، أشار إليها أن تركب دون أن يتحدث، فاستجابت وانطلق بها إلى مطعمه المفضل.

أمسك كريم قائمة الطعام وتخيّر منها ما يحبه ثم سألها عما تريد، فأجابته بحرج وقالت بأنها ستختار نفس اختياره، نظر لها بابتسامة واسعة ثم أمر النادل بإحضار الطعام، وفي وقت الانتظار بدأ يسألها عن والدتها المريضة، فأخبرته أن والدتها تعاني من بعض الآم العظام، وأنها هي فقط من ترعاها بعدما توفى والدها وتزوج أخواها، ابتسم كريم

بحزن عندما تذكر والدته المتوفاة، وأخبرها بأن والدته توفيت وهو ابن تسع سنين، وبعدها تزوج والده بسيدة طيبة بدأت ترعاه حتى اشتد عوده، ثم طلب منه والده أن ينتقل للطابق الثاني ويقيم فيه لأن زوجته أصبحت تشعر بالحرج منه ولا تستطيع أن تتحرك في بيتها بأريحية في وجوده، ومن يومها وهو على هذه الحالة، يجلس وحيدًا في شقته معظم اليوم، ويهبط من وقت لآخر ليرى والده وأخيه الصغير وأحيانًا قليلة يتناول معهما الطعام، شعرت فاطمة بالشفقة تجاهه، ظهر ذلك في عينيها، تمنت لو استطاعت إخباره بأنها على أتم استعداد ألّا تتركه وحيدًا بعد اليوم، ولكنها لم تستطع، أحضر النادل الطعام المطلوب، وفي أثناء تناول الطعام تحدثا معًا في أمور عدة، ثم خرجا من المطعم يسير أحدهما بجوار الآخر، ركبت السيارة معه، استغلت انشغاله بالقيادة وبدأت تدقق النظر في ملامحه، كانت لديه مسحة من الوسامة، بشرته القمحية، عيناه العميقتان وحاجباه الكثيفان جعلا لنظراته أثرًا محببًا على نفسها، شردت للحظة ورأت نفسها تقف إلى جواره بفستانها الأبيض، حلم بعيد يراودها كل يوم، ولكنها عزمت على تحقيقه مهما كلفها الأمر، مرت الدقائق حتى اقتربت من منزلها، تركت أحلامها جانبًا وبدأت تصف له المكان حتى وصلت إلى بيتها، تركها أمام البناية مودعًا وعاد إلى عمله مرة أخرى.



وضعت والدة إسلام طعام الفطور على الطاولة وجلست في انتظاره حتى ينتهي من ارتداء ملابسه التي سيذهب بها إلى عمله، طال انتظارها فشعرت بالقلق، نهضت وسارت بهدوء نحو غرفته، طرقت الباب مرتين فقال إسلام:

- اتفضلي يا ماما.

أمالت المقبض وحركت الباب، ثم نظرت إلى ولدها الذي يجلس وحيدًا بزاوية غرفته وقالت بتعجب:

- قاعد بتعمل إيه يا إسلام؟ مجيتش تفطر ليه؟

- كنت بفكر في حاجة كده، عامة متشغليش بالك يا حبيبتي، يلا نفطر.

اقتربت منه والدته وابتسمت، جلست على الفراش أمامه وقالت:

- طيب ممكن تشاركني معاك؟

تنهد بحيرة وأردف:

- بما إن سلمى خلصت امتحانات فالمفروض إني هروح الزيارة الجاية أتفق على اليوم اللي هنجيب فيه الشبكة زي ما وعدتها، دلوقتي أسعار الذهب بقت عالية أوي يا أمي وكده معظم فلوسي هتخلص، مش عارف بجد أتصرف ازاي وهكمل باقي الجهاز منين!

- لسه محدش كلمك من المطعم اللي عملت فيه المقابلة آخر مرة؟

زم شفتيه وحرك رأسه نافيًا، قالت والدته بحسم:

- مش أنت متمسك بالبنت؟

- جدًا يا أمي.

- يبقى هتكون راجل قد كلمتك وهتجيب الشبكة زي ما اتفقت مع والدها، وبعدها تثق إن ربك هيدبرها من حيث لا تحتسب.

ثم غمزت له وقالت:

- مش أنت بردو اللي دايمًا تكلمنا عن الثقة في الله، ولا أنا غلطانة؟

- عندك حق يا ماما، أنا هعمل اللي عليَّ من سعي ودعاء وهتوكل على الله، وربنا ييسرها.

نظرت له والدته مؤيدة، ثم اصطحبته إلى الطاولة لتناول فطوره.

بعد ثلاثة أيام وأثناء عودته من عمله سمع رنين هاتفه المحمول، أخرجه بفتور، ولما علم أنها سلمى نُقشت ابتسامة كبيرة على وجهه، شعر بالحنين إليها، فإنه لم يستمع إلى صوتها منذ عدة أيام، ولم يرها منذ أكثر من شهر، حاول ضبط انفعالاته قبل أن يرد عليها كما حاولت هي الأخرى السيطرة على ارتعاشة يدها، أجابها وحياها، سألها عن أحوالها وأحوال أسرتها، وفعلت هي مثل ما فعل، ثم قالت:

- عاوزة أقولك على خبر هيفرحك بإذن الله.

استمع لها بانتباه فأردفت:

- بابا وافق إنك تجيب نصف الشبكة دلوقتي والباقي لما ربنا يرزقك بإذن الله.

إنه يتخيل، هكذا أكد لنفسه، أو ربما لم تلتقط أذنيه الكلمات بدقة، طلب منها التكرار متحججًا بأنه لم يسمعها بوضوح، ولما أعادت جملتها وكانت تمامًا مثل سابقتها، اتسعت عيناه وخفق قلبه، سألها:

- أنتِ بتتكلمي بجد؟

قالت بفرحة:

- أيوة والله.

- ازاي وافق فجأة كده؟!

- يمكن علشان استخدمت سلاحي!

قالتها ببساطة، بينما نظر والدها إليها بذهول، وكذلك فعل إسلام وسأل:

- سلاح إيه؟!

أجابت بثقة:

- سلاحي اللي هو الدعاء، كنت بدعي ربنا كتير الفترة اللي فاتت علشان الموضوع ده، وكنت واثقة إنها هتتيسر، وبصراحة زنيت على بابا شوية بردو، والحمد للّٰه النهارده قالي أكلمك وأقولك إنه موافق.

أراد إسلام أن يتحدث مع والدها ليشكره بنفسه، أعطت سلمى الهاتف لذلك الجالس إلى جوارها، فقال إسلام:

- بصراحة يا عمي أنا مش عارف أشكر حضرتك ازاي، وأوعدك إني هجيب باقي الشبكة اللي اتفقنا عليها أول ما ظروفي تسمح بإذن اللّٰه.

- شوف يا إسلام، أنا مكنتش هعمل كده لولا إني اتأكدت بنفسي من أخلاقك ولقيتك بتحاول تحافظ على بنتي وتراعي ربنا فيها حتى في مكالماتك، فطول ما أنت كده أنا هقف معاك زي ما تكون ابني، بس لو جيت في يوم وظلمتها فتأكد إني أول واحد هيقف قدامك ويجيب حق بنته.

- سلمى طيبة وتستاهل كل خير يا عمي، أوعدك إني هحاول دايمًا أراعي ربنا فيها علشان خوفي من ربنا قبل أي شيء.

- تمام يا إسلام، هستناك بكره علشان نتفق على اليوم اللي هننزل نجيب فيه الشبكة.

- بأمر اللّه يا عمي.

أعطى السيد طارق الهاتف لابنته، فقال إسلام بامتنان:

- أنا بشكرك جدًا يا سلمى على كل حاجة.

- الشكر للّه، أنا معملتش حاجة، ربنا ييسرلك أمورك.

- يا رب، نتقابل بكره بإذن اللّه، سلام عليكم.

ردت السلام وأغلقت الخط، ثم هربت إلى دفترها لتكمل حديثها معه هناك.



مساء اليوم التالي أدى إسلام صلاة المغرب في المسجد القريب من منزله ثم عاد وارتدى ملابسه، تعطر وصفف شعره، بعدها هبط إلى الشارع وسار وهو يحمل هديتها بين يديه حتى وصل إلي منزلها، صعد إلى البناية، طرق الباب ففتح والدها وجلس معه لبعض الوقت ليتناقشا في بعض الأمور، بعدها حضرت العروس، كانت أفضل حالًا من المرة السابقة، فابتسم إسلام بتلقائية ووقف وحياها، نظرت له بامتنان وردت السلام ثم خفضت بصرها وجلست في مكانها المعتاد، بدأ إسلام حديثه قائلًا:

- الموقف اللي أنتِ عملتيه معايا ده أنا عمري ما هنساه بإذن اللّه.

ابتسمت ابتسامة دافئة ممتنة ولم تتحدث، فاستأنف إسلام:

- كنت بتكلم مع عمي من شوية واتفقنا إننا هنروح يوم الخميس إن شاء اللّه نشتري نصف الشبكة، وبعدها نبدأ نجهز الشقة علطول، يعني نقدر نقول إننا ممكن نعمل الفرح بعد سبع شهور

مثلًا بدل ما كانوا هيبقوا سنة ونص، إيه رأيك في الكلام ده، موافقة؟

بحيائها المعتاد وحرجها الواضح تمتمت:

- موافقة.

- فيه حاجة كمان فكرت فيها من بعد مكالمتك امبارح وكنت حابب أقولك عليها.

أطل الاهتمام من عينيها محمولًا على مِحَفّة الفضول، قال إسلام:

- في الفترة اللي فاتت أنا شوفت فيكِ مميزات أي شاب يتمناها في زوجته، وتقريبًا عرفت عنك كل الحاجات الضرورية اللي كنت محتاج أعرفها، علشان كده أنا متطمن ومستعد من دلوقتي إني أكتب الكتاب.

تسارعت نبضاتها وتوردت وجنتاها نتيجة لكلماته تلك، استأنف إسلام بعد وهلة:

- هستنى موافقتك على خطوة كتب الكتاب في أي لحظة، الموضوع مفيهوش أي مجاملات، فكري براحتك وخدي وقتك، اسأليني عن كل اللي أنتِ عايزاه واعرفيني كويس، ولما تحسي إنك خلاص مرتاحة وموافقة بلغيني، وأنا وقتها هقول لعمي ونشوف هنعمل إيه.

- حاضر بإذن الله.

سمعا معًا النداء لصلاة العشاء، قالا مثل ما قال المؤذن ثم هبط إسلام إلى الصلاة بصحبة السيد طارق، أطل الشغف من عين سلمى وهي تنظر إلى ذلك المغلف الذي وضعه إسلام على الطاولة، أرادت بشدة أن تعرف محتواه ولكنها آثرت الانتظار حتى يغادر إسلام، بجوار المغلف

لمحت سلمى هاتف إسلام فتذكرت تلك الجملة التي قالتها هند منذ فترة وهي تضحك:

- ما أنتِ لو شُفتي اسمك على موبايله هتعرفي إنه عايش الدور فعلًا.

أرادت بشدة أن تعرف ما هذا الاسم الذي تتحدث عنه هند، ولكن هند أبت وضحكت مرة أخرى لتثير غيظها، وها هي الفرصة جاءت أمامها ولن تتركها، هرولت مسرعة إلى غرفتها، أمسكت بهاتفها وقامت بالاتصال على إسلام، وأثناء عودتها إلى صالة المنزل سمعت نغمة رنين هاتفه:

أنا ليه بتوه وسط البشر ناسي وأشيل الآخرة من راسي

وعارف إني بكره هكون ذكرى وفي التراب مدفون

طب ليه مبعملشِ حساب ليها مفيش في إيديا أعديها

دى لحظة أنا وأنت هنشوفها تروح الروح لباريها

دابة مسيخ دجال والمهدي صراط منصوب وعلى النار عدي

وعلى الفردوس تروح وتشوف نبينا في سكتك

موت وقيامة بعث ونار جنة خوف وعطش وتقف تستنى

ثواب وعقاب ألم وعذاب يا رب رحمتك(١)

نسيت سلمى ما جاءت لأجله وانشغلت بسماع كلمات الأنشودة، أعجبتها بشدة ولامست قلبها، أرادت أن تسمعها مرة أخرى وتحفظ ولو جزءًا يسيرًا منها حتى تستطيع البحث عنها على شبكة الإنترنت، قامت

---

(١) كلمات وإنشاد: أحمد وجدي

بالاتصال بإسلام مرة أخرى، استمعت للمقطع الأول للأنشودة، حفظته، ثم استقرت عيناها على شاشة الهاتف الذي أنار بجملة (رفيقتي إلى الجنة)، وهنا اتسعت عيناها، اتسعت بشدة، شعرت بفرحة حقيقية اجتاحت قلبها، أرادت أن تُخبره بأنها تحلم طوال الوقت أن تكون رفيقته في الدنيا والآخرة حتى من قبل أن ترى اسمها المنقوش على هاتفه، ولكنها الآن علمت أنه يحلم بالحلم ذاته، فزادت عزيمتها وزاد إصرارها، وقررت أن تبذل قصارى جهدها حتى تحافظ على هذا الكنز الثمين، وتعينه على التقرب أكثر من الله عز وجل، خُيل إليها أنها تسمع خطوات أقدام أحدهم تقترب من باب المنزل، وتذكرت أنها لم تؤدِ صلاتها، فهرولت إلى غرفتها لتأدية صلاتها ومن ثم تعود لتستأنف حديثها معه من جديد.

- ٩ -

وبعد انتظار دام لسنوات، وبعد أحلام كانت لساعات، وبعد صبر وشوق لتحقيق تلك الأمنيات فقد اقتربت اللحظة، اقتربت اللحظة التي ظل يتخيلها فاروق ربما لمئات المرات، تلك اللحظة التي سيمسك فيها بيد نهى ويقبض عليها بقوة وهو يعلن للعالم أجمع أنها من الآن ما عادت أجنبية عنه، نعم فقد أصبحت زوجته ورفيقته التي لن يتركها أبدًا مهما حدث، ساعات قليلة فقط تفصله عن تحقيق حلمه، ساعات ويراها أمامه ويخبرها عن كل شيء خبأه عنها منذ أن نبض قلبه بحبها، لا يستطيع أن يغمض له جفن من فرط سعادته، يشعر وكأنها حوله في كل مكان، يشعر بأنها تضحك هنا وهناك وتخبره هي الأخرى بما يعتمل قلبها من مشاعر، لم يشعر بوالده الذي يقف أمامه منذ خمس دقائق ويراقب انفعالاته وتعبيرات وجهه بسعادة، استغاثت قدما الوالد طلبًا للراحة فجلس على الفراش بجوار فاروق الذي أفاق فجأة وهو ينظر إلى والده بدهشة، ابتسم الأب وقال بمرح:

- مش هننام النهارده ولا إيه يا عم فاروق؟ الفرحة نستتك إن عندك شغل الصبح!

- حاضر هحاول أنام دلوقتي إن شاء الله.

قالها وقد نطق وجهه بجزء يسير مما يشعر به من فرحة، فربّت الأب على كتفه وابتسم مرة أخرى ثم غادر الغرفة، صبيحة اليوم التالي ذهب

فاروق إلى عمله كعادته ولكنه عاد بعد صلاة الظهر مباشرة بعدما أعطاه مدير الشركة ما تبقى من اليوم إجازة كمباركة له على عقد قرانه، تناول طعامًا سريعًا ثم بدأ يستعد ليظهر أمام عروسه بأبهى صورة.

الثالثة عصرًا قبل صلاة العصر بربع الساعة امتلأ الطابق الأول بالمسجد القريب من منزل فاروق بالرجال، بينما اكتظ مصلى النساء الصغير الذي يعلو المسجد بالنساء من أهل العروسين، كانت نهى ترتدي فستانًا وردي اللون، وتغطي رأسها بحجاب قصير وتضع القليل من مستحضرات التجميل، تلك الفتاة الودودة رقيقة القلب كانت تقف في أحد أركان المسجد وقلبها يخفق بشدة، بدأت تستمع إلى كلمات الشيخ ونصائحه للعروسين وهي تنوي من كل قلبها أن تنفذ ما يقوله وأكثر، انتهت الخُطبة سريعًا، ووجدت نفسها بعد لحظات تسمع نفس الصوت وهو يقول: بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير. وجميع من بالمسجد يرددون خلفه، تلك الأحاسيس التي شعرت بها وقتها لا يمكن أن تصفها كلمات، وجدت أحضانًا ومباركات تأتيها من كل مكان فدمعت عيناها، وارتسمت على شفتيها ابتسامة جميلة، بالأسفل وقف فاروق ينظر حوله بدهشة، هل ما التقطته أذناه قبل قليل واقع بالفعل! أم أن هذا مجرد حلم من أحلامه التي لا تنتهي! وقف يسأل إسلام الذي كان يقف إلى جواره هل حقًا أصبحت نهى زوجته؟ هل يستطيع الآن أن يخبرها بتلك المشاعر التي كان يكتمها عنها منذ سنوات؟ هل يستطيع أن ينظر إليها وقتما شاء ويحدثها كيفما شاء؟ ولما أجاب إسلام بالإيجاب لم يصدقه وذهب يسأل والده نفس الأسئلة، فضحك الوالد وبدأ يدفعه بيديه وهو يقول:

- اطلع طيب خد عروستك من فوق وأنت تصدق بنفسك.

سمع فاروق تلك الجملة واختفى من أمام والده، سار بسرعة باتجاه مصلى النساء، بدأ يصعد الدرج وقلبه يدق مع كل خطوة، وفي عينيه لهفة لرؤيتها تكاد تخرجهما من محجريهما، كانت نهى تقف بانتظاره على الدرجة العُليا من السُلّم، ولما التقت عيناه بعينيها وقف لبرهة مشدوهًا، كيف أصبحت جميلة إلى هذا الحد! وقف يتأملها لبعض الوقت حتى سمع صوتها الرقيق يقول:

- آجي أنا طيب؟

هز رأسه ليستفيق ثم تابع صعوده حتى وصل إليها، وقف أمامها مباشرة، اقترب منها كما لم يقترب من قبل، أمعن النظر في وجهها وعلى وجهه ابتسامة وضاءة، ثم أمسك برأسها ولثم جبينها وتمتم بحب:

- وأخيرًا بقيتي ليَّ، اللهم لك الحمد.

ارتجف فؤادها، انتفض جسدها وشعرت بحرارة تجتاحه كله، اضطربت وتلعثمت حروفها، استجمعت قواها ونطقت وفي عينيها تلألأت الدموع:

- الحمد لله يا فاروق، الحمد لله.

حضرت والدته التي كانت تقف خلف العروس واحتضنته وهنأته على عقد قرانه، وبجوارها وقفت والدة نهى وهنأت فاروق وطلبت منه أن يضع ابنتها في عينيه، وعدها بذلك، فابتسمت نهى بامتنان، ثم دخلت المسجد وارتدت غطاءً لرأسها ووجهها، ثم وضعت يدها المرتعشة بيد زوجها، وسارت إلى جواره حتى وصلت إلى منزلها.

دخلت نهى إلى غرفتها، نزعت خمارها ونقابها وعدلت من هيئة حجابها ثم عادت إلى زوجها، ولما رآها والدها استأذن من فاروق واصطحب زوجته وغادرا المكان ليتركا لهما مساحة من الحرية، جلست

نهى على مقربة منه ونظرت أرضًا، كانت تشعر بالحرج الشديد من جلوسها إلى جواره بهذه الطريقة، أمسك بذقنها ورفع وجهها إليه، نظر إليها بعيون تشع فرحة وهمس:

- أنا بحبك يا نهى، بحبك من زمان أوي.

شعرت بدقات متزايدة بخافقها، ارتعش جسدها بطريقة ملحوظة، لاحظ فاروق توترها فأمسك بكفيها وضمهما بداخل كفيه، رسم على وجهه ابتسامة حنونة وهو ينظر إليها ولم يتحدث، فنزلت السكينة على قلبها، وشعرت بسعادة عارمة تغمر كيانها، مزَّقت الصمت بسؤال قذفه الفضول إلى عقلها:

- يعني إيه بتحبني من زمان أوي؟

- دي قصة طويلة، طويلة جدًا، تحبي تسمعيها دلوقتي؟

أومأت برأسها بحماس، فتنفس فاروق بعمق وقال:

- من واحنا صغيرين لما كنت باجي ألعب مع محمد قدام بيتكم، كنت دايمًا بشوفك واقفة من بعيد بتتفرجي علينا، ولما كنت بقولك تعالي العبي معانا كنتِ بتتكسفي وتجري على جوا، كنت بحب أشوفك وأنتِ مكسوفة وبتعمد كل مرة أقولك تلعبي معانا علشان أشوفك بالشكل ده، لما كبرنا شوية وبقينا في إعدادي لقيتك اتحجبتي ومبقيتيش تخرجي تتفرجي علينا زي الأول، حسيت إن ناقصني حاجة، فكنت بتعمد آجي من المدرسة بدري وأقف عند بيتكم علشان أشوفك وأنتِ جاية من المدرسة، بعدها بسنتين مثلًا عرفت من الشيخ في صلاة الجمعة إن فيه حاجة اسمها غض البصر، وإن ربنا أمرني مبصش على أي بنت أو ست مش من محارمي، كان الموضوع صعب جدًا عليَّ

ﬁ البداية، بس كنت كل مرة أبص عليكِ أرجع أستغفر ربنا وأقول لنفسي إن رضا ربنا أهم من أي حاجة وأرجع أجاهد من تاني، لما دخلت ثانوي بدأت أفهم مشاعري أكثر، بدأت أحس إن نهى دي هي البنت اللي نفسي أكمل معاها حياتي، بدأت أتأكد إن حبك عمال يكبر جوايا، قعدت اسأل نفسي طيب وأنت هتعمل إيه دلوقتي؟! لقيت إني مش قدامي غير إني استنى لما أتخرج وأشتغل علشان أعرف أتقدملك، ومن يومها أخدت عهد على نفسي إني أحافظ عليكِ من نفسي ومن نظراتي ومحاولش ألفت انتباهك بأي طريقة، وكنت على يقين من إن ربنا هيراضيني ﬁ النهاية.

تناول كوب المياه الموضوع على المنضدة وارتشف منه رشفة ثم أردف:

- كان دايمًا محمد الله يرحمه بيحكيلي عن حنانك عليه وعن أخلاقك وصفاتك الطيبة، كان بيشكر فيكِ كتير أوي قدامي، كنت ببقى عاوز أصرخ وأقوله كفاية حرام عليك أنا صابر بالعافية أساسًا، كلامه كان بيخليك تكبري ﬁ نظري أكثر وحبي وتعلقي بيكِ يزيد، كنت وقتها بقول البنت الطيبة دي تستاهل شخص طيب زيها، وكنت بتمنى من كل قلبي أكون أنا الطيب ده.

أدلهمت عيناها بسُحب تنذر بهطول دمعها، نظر إليها فاروق بحب وقال:

- حتى واحنا مخطوبين كنت بقول البنت دي نقية وقلبها نضيف، فمستحيل آجي أنا بعد ما حافظتِ عليه السنين دي كلها وألوثه، علشان كده كنت بحاول أقلل الزيارات ومكالمات التليفون على قد ما أقدر، كنت خايف جدًا أتنازل، الموضوع كان صعب عليَّ

جدًا يا نهى وخصوصًا وأنتِ قدامي ومش قادر أعبرلك عن اللي جوايا.

نظر إلى عينيها المغرورقتين بالدموع وقال:

- أنا حقيقي مش مصدق إني قاعد قدامك دلوقتي وبحكيلك عن حاجات كاتمها جوايا بقالي سنين.

مسحت بكفها عينيها المغشيتين بالدموع التي انهمرت وحدها، ثم قالت بتأثر:

- أنا اللي مش مصدقة إن كل الكلام ده علشاني، حقيقي يا فاروق أنا مش قادرة أستوعب كل اللي بيحصل ده، ومش عارفة أشكر ربنا عليه ازاي، ولا عارفة ممكن أعوضك ازاي عن صبرك ده.

- وجودك جنبي وإنك تعامليني بما يرضي الله هيبقى أجمل عوض بالنسبالي، وربنا يقدرنا على شكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

نظرت إليه، ثبتت عينيها في عينيه هذه المرة ولم تسمح لحرجها أن يغلبها وهمست:

- أوعدك يا فاروق إني هحاول أعمل كل اللي أقدر عليه علشان أسعدك.



«عزيزي إسلام...

ها أنا قد عُدت إليك من جديد، لا أخفيك سرًا، فكرتُ كثيرًا في طلبك في الأسابيع الماضية، استخرت الله عدة مرات، وفي كل مرة أشعر

بطمأنينة عجيبة تملأ قلبي وروحي، أنتظر بشدة تلك اللحظة التي سأقف فيها إلى جوارك وأعترف لك بكل ما يعتمل بقلبي من مشاعر، أتشوق لرؤية نظرة عينيك حينها، وابتسامتك التي ستعني لي الكثير.

أتعلم؟ برغم أنك لم تفصح طوال الشهور الماضية بحقيقة مشاعرك تجاهي ولو بكلمة واحدة، إلا أنني أشعر أنك تُكِنُّ لي الكثير من المشاعر الطيبة، هكذا أخبرني قلبي وأنا أصدقه.

سأتصل بك الليلة بعد عودتك من عملك وأخبرك بموافقتي، وبعدها ستتولى أنت مهمة إخبار أبي بالأمر، وأسأل الله أن ييسر لنا كل الخير، في أمان الله»

أغمضت عينيها وتنهدت براحة، أغلقت دفترها وخبأته كعادتها بين كتبها، ثم بدأت تتابع قرص الشمس الذي مال إلى الغروب، وأخذت تدعو لإسلام لبضع دقائق حتى اختبأت الشمس في أحضان السماء.

وفي المساء، عندما علم إسلام بموافقة سلمى على عقد القران، كانت سعادته غامرة، انتظر زيارتها القادمة بفارغ الصبر حتى يفاتح والدها في الأمر، ولكن حدث ما لم يكن يتوقعه، فقد جاء رد والدها بالرفض التام، لن يسمح لهما بعقد القران إلا قبل موعد الزفاف بشهرٍ واحد، حاول إسلام أن يتناقش معه في الأمر ويوضح له بعض الأمور، ولكنه أشار له بيديه أن يتوقف، وأخبره بنفاد صبر أن الأمر غير قابل للنقاش، ظهرت علامات الضيق والصدمة على وجه إسلام، أشفقت سلمى عليه، ولكن ما باليد حيلة، عليهما الانتظار حتى الموعد الذي حدده والدها، حاولت أن تتحدث معه في بعض الأمور الأخرى ولكن كلماته كانت قليلة مفتقرة للحماس الذي تعودت عليه منه، وبعد وقتٍ ليس بطويل استأذنها وغادر.

عاد إلى منزله، دخل غرفته وصفق الباب خلفه، أمسك بهاتفه وقرر الاتصال بفاروق، فهو فقط من سيفهمه ويشعر به، ولكن خذله فاروق دون قصد منه عندما قرر التحدث مع زوجته في نفس اللحظة، ألقى إسلام هاتفه بملل على الفراش وجلس ينظر إلى اللا شيء، بعد نصف ساعة سمع رنين هاتفه، أجاب على المتصل متمتمًا بتحية الإسلام، فقال فاروق:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، معلش يا إسلام كان معايا مكالمة مهمة.
- ماشي يا عم، عقبال ما يكون عندنا مكالمات مهمة احنا كمان.

حاول المزاح ولكن نبرة صوته كانت مختلفة هذه المرة، فقال فاروق:

- صوتك مش عاجبني، هو فيه حاجة حصلت؟
- حمايا رفض إننا نكتب الكتاب دلوقتي، وأنا مبقيتش قادر أصبر يا فاروق!

وقبل أن ينطق فاروق بكلمة أردف إسلام:

- أنا حاسس إني متقيد يا فاروق، جوايا كلام كتير أوي نفسي أقوله ومش هينفع أقوله دلوقتي، أنا حبيتها يا فاروق، حبيتها جدًا كمان ونفسي أعبرلها عن اللي جوايا وساكت علشان مغضبش ربنا، نفسي أبصلها براحتي وأشوفها كويس وهي بتتكلم ودايس على نفسي وبحاول أغض بصري، بس حقيقي الموضوع كل مرة بيبقى أصعب، كل مرة أروحها بحس إني بجاهد جامد علشان كلامي معاها يكون منضبط، كان نفسي حمايا يوافق علشان آخد راحتي شوية، بس للأسف هو مش قابل حتى النقاش في الموضوع ده، أعمل إيه دلوقتي؟

- أنا مقدر إحساسك جدًا جدًا يا إسلام، وعارف قد إيه المرحلة دي صعبة ومحتاجة مجاهدة عالية، بس صدقني كله يهون علشان رضا ربنا، عن نفسي اتفقت مع نهى إننا نقلل الزيارات شوية ونخليها للضرورة بس لأني فعليًا كان فاضلي تكة وأعترفلها بكل حاجة، فقولت أحسن حل أخلي وجودي عندهم في أضيق الحدود لحد ما نعقد وساعتها أروحلها براحتي.

- أنا فكرت في الموضوع ده فعلًا، بس مش عارف هقوله لسلمى ازاي.

قالها بحيرة، فتمتم فاروق:

- اتكلم معاها بمنتهى الصراحة يا إسلام، أنتوا من البداية اتفقتوا أنكم هتحاولوا تعيشوا الخطوبة دي بما يرضي الله، ولازم تساعدوا بعض وتيجوا على نفسكم علشان تحققوا الهدف ده، أنا واثق إنك لو وضحت لها الموضوع بطريقة كويسة هي هتتفهم قصدك وتساعدك.

- هي بصراحة سلمى متفهمة جدًا ومتعاونة، هحاول أتكلم معاها في الموضوع وأشوف هنوصل لإيه، شكرًا جدًا يا فاروق.

- الشكر لله يا إسلام، تحت أمرك في أي وقت.

- المهم طمنّي عليك، حددتوا ميعاد الفرح ولا لسه؟

- هيكون قريب بإذن الله، هخلص بس دهانات الشقة وبعدها نحدد اليوم.

- طيب ومراتك هتعمل إيه في السنة الأخيرة ليها في الجامعة؟

- عادي هتكملها وهي في بيتي بإذن الله.

- استقريتوا هتعملوه فين؟

- لسه واللّه يا إسلام، بس بشكل عام الميزانية الحالية لا تسمح إننا نأجر قاعة، فلو عندك أفكار حلوة نقضي بيها اليوم ده بلغني.

وعده بأنه سيفكر معه ثم أنهى المكالمة وأغلق الهاتف ووضعه بجواره، شعر ببعض السكينة تتسلل إلى قلبه بعد تلك المحادثة القصيرة، قرر أن يصمد ويجاهد ولا يسمح للشيطان أن ينتصر عليه، سيبذل ما بوسعه حتى تمر تلك الفترة بما يرضي اللّه مهما كلفه الأمر.



المرة الخامسة أو ربما السادسة التي تذهب فيها لتناول الغداء بصحبته في مطعمه المفضل، أحب حديثها، رقتها، وابتسامتها الجميلة، وأحبت أناقته، كرمه، حزمه وجديته، تطورت العلاقة بينهما كثيرًا في الفترة الماضية، أصبحت تناديه باسمه مجردًا بلا ألقاب، وأصبح يمزح معها في بعض الأحيان مستخدمًا كفيه ولا تعترض، شعرت أنها اقتربت من حلمها رغم أنه أخبرها ذات مرة بأنه لا يفكر في الزواج إلا بعد الانتهاء من رسالة الدكتوراه، ولكنها لن تنتظر كل هذا الوقت، ستظل إلى جواره حتى يتعلق بها بشدة، لن تسمح لأي فتاة أخرى الاقتراب منه، وحينما يتيقن من أنه لن يستطيع العيش بدونها سيأتي هو من تلقاء نفسه ليطلب الزواج منها.

أثناء انهماكه في تناول الطعام سألت:

- قولّي صحيح يا كريم، هي إيه المواصفات اللي بتحبها تكون موجودة في البنت؟

لحظات من الترقب مرت قبل أن يقطعها كريم بقوله:

- بحب البنت اللي بتهتم بنفسها طول الوقت وتبقى حلوة في كل حالاتها، كمان البنت اللي تسمع كلامي من غير ما تجادلني أو تستفزني بكلامها، وأكيد متكونش نكدية ولا زنانة.

ثم غمز لها وقال:

- وتقريبًا كل الصفات دي لقيتها فيك، علشان كده ببقى مبسوط لما بتيجيلي الكلية، وببقى مبسوط أَكتر لما بكون فاضي وبنخرج سوا بدل ما أنا معظم اليوم قاعد لوحدي كده.

شعرت فاطمة بسعادة غامرة وقالت:

- طيب ما تتجوز علشان متكونش لوحدك!

فهم ما ترمي إليه ولكنه تظاهر بغير ذلك، وقال بعدم اكتراث:

- لا لا جواز إيه دلوقتي، أنا مش فاضي خالص للكلام ده.
- وهو الجواز هيعطلك في إيه؟! بالعكس، أنا شايفة إنك لما ترجع من شغلك كل يوم تلاقي مراتك مستنياك بلهفة وعملالك أكله حلوة ده أكيد هيسعدك ويشجعك أكثر على مذاكرتك ورسالتك.
- الجواز مسئولية وتقييد ووجع دماغ، على إيه ده كله، ما أنا عايش مَلك زماني أهو وبعمل كل اللي أنا عايزه براحتي.
- أعتقد لو اتجوزت واحدة بتحبك هتكون فرحان معاها ومش هتحس بالتقييد ووجع الدماغ اللي بتقول عليه ده.

ضحك كريم وقال بخبث:

- طيب لو عندك عروسة حلوة كده وبتحبني وتكون بتعرف تطبخ أهم حاجة ابقي عرفيني.

شعرت فاطمة بالحرج الشديد، أغضبها عدم اهتمامه بها بالشكل الذي كانت تتمناه، غارت على نفسها وبدأت بيأس تلملم ما تبقى من كرامتها، ثم قررت أن تغير مجرى الحديث إلى أي موضوع آخر.



أسبوعًا كاملًا قضاه إسلام وهو يفكر في الطريقة المُثلى التي سيتحدث بها مع سلمى بخصوص أمر تقليل الزيارات، فكر في عدة أفكار، ولكنه اختار في النهاية المصارحة، ولا شيء غير المصارحة، في زيارته التالية وفور خروج سلمى إليه، قال بعد القاء التحية:

- كنت حابب أتناقش معاكِ في موضوع بما إن عمي موافقش على كتب الكتاب.

استمعت سلمى إليه بكامل انتباهها، فاستانف:

- كنت قولتلك قبل كده في مرة قبل خطوبتنا إني قررت أحافظ عليكِ حتى من نفسي، وكنت متفق معاك إننا هنحاول نعين بعض ونعيش فترة خطوبتنا بما يرضي اللَّه، صح كده؟

أومأت سلمى بعدم فهم، فقال:

- وكنت قولتلك وقتها كمان إن زياراتي الهدف الأساسي منها إننا ندرس شخصيات بعض كويس، وبصراحة أنا شايف إننا في الشهور اللي فاتت فهمنا بعض بشكل كبير.

تنهد ثم قال بعد لحظات صمت قصيرة:

- حفاظًا عليكِ وعليَّ، وعلشان نقدر نكمل الخطوبة دي بدون تنازلات، كنتَ بقترح إننا نقلل الزيارات شوية، يعني نخليها

لما يكون فيه سبب معين ليها، أو نخليها مرة كل شهر مثلًا، زي ما تحبي.

لاحظ نظراتها القلقة فقال:

- وطبعًا الكلام ده مش إجباري، يعني في أي وقت تحسي إنك محتاجة تتكلمي معايا في حاجة أو تسألي عن حاجة مكالمة صغيرة وهتلاقيني عندك بإذن اللّٰه.

ثم ضحك وهو يقول:

- بس بشرط، لازم الآنسة ورقة صاحبتك يكون مليان نصفها على الأقل.

انتشلتها ضحكته ومزحته الأخيرة من حالة الحزن التي انتابت قلبها، تحب جلسته وكلماته، تنتظر زيارته بفارغ الصبر رغم أنها تُظهر ثباتها أمامه، ستشتاق إليه كثيرًا وإلى حديثه الذي يُزهر قلبها، ولكنها ستصبر وتتحمل حتى يأتي الفرج والفرح من عند اللّٰه، حاولت ضبط انفعالاتها حتى لا يُكشف أمرها وقالت بحسم:

- فكرة إني أقضي خطوبتي بما يرضي اللّٰه تعتبر تحدي بالنسبالي، تحدي معظم الناس دلوقتي بيخسروا فيه للأسف، علشان كده أنا مستعدة أعمل أي حاجة علشان أفوز في التحدي ده.

ثم ابتسمت وقالت:

- أنا ممتنة لك جدًا يا إسلام إنك بتساعدني إني أكمل طريقي صح وعمرك ما بتكون عائق قدامي، بالعكس دايمًا بتشجعني وتقويني، أنا موافقة على كل اللي قولته.

استطاعت بأسلوبها وصدقها وتفهمها أن تزيح جبل الهم الجاثم على صدره طوال الأسبوع، انتهى الأمر وتم الاتفاق بسهولة لم يكن يتوقعها، شكر الله من كل قلبه على نعمة وجود سلمى في حياته، وشكره أيضًا على نعمة التيسير، فكلما فكر في التقرب إلى الله بشكل ما وتجلّد بالعزيمة والصبر وجد العوائق تتلاشى من أمامه تدريجيًا حتى تختفي بلا رجعة، فاللهم لك الحمد على نعمك التي لا تعد ولا تحصى.



وتمر الأيام، الأسابيع، والشهور، ويزداد الشوق، رغم أن الفترة الماضية كانت مليئة بالأحداث الهامة بالنسبة لها ولكنها لم تنسه ولم تنشغل عنه أبدًا، كانت دائمًا تحدثه في دفترها، حين علمت بنجاحها وتخرجها من الجامعة هرولت إليه وشكرته من كل قلبها على نصائحه التي ألقاها على مسامعها قبل البدء في الامتحانات، أخبرته أن كلماته حينها كانت داعمًا كبيرًا لها، شكرته أيضًا على زيارته المفاجئة لها بعد تخرجها، وتلك الباقة المميزة من الزهور التي أحضرها معه، والتي اختبأت خلف كتاب سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وكأنها تستحي من عظمته، كانت تلك الهدية لها جميل الأثر على نفسها، كتبت إليه كثيرًا حينما بدأت تبحث عن عمل وذهبت إلى مشارق المحافظة ومغاربها حتى استطاعت أن تفوز بوظيفة في إحدى المدارس الخاصة، رغم أن الراتب بالكاد يكفي تسديد ثمن مواصلاتها إلا أنها كانت سعيدة بعملها مع هؤلاء الصغار، حدثته أيضًا عن حفل زفاف فاروق، كم أعجبها بساطة ويسر تلك الزيجة، شكرته بشدة على دعوتها لحضور ذلك الحفل بصحبة هند، أخبرته أنها سُرّت كثيرًا بالفقرات البسيطة التي قامت بها صديقات نهى في المنزل، وحينما صعد فاروق إلى الأعلى ليرى

زوجته قبل ارتداء النقاب غَضّت الطرف عنه، ولكن هند أخبرتها أن بهجة العالم كله جُمعت في وجهه في تلك اللحظة، وتمنت من كل قلبها أن يرزقها الله بمن يحبها وترى في عينيه مثل هذا الحب، أخبرته أيضًا أنها أحبت تلك الألعاب النارية الكثيرة التي انطلقت فجأة بمجرد هبوط نهى إلى الشارع بصحبة زوجها، أحبت الورود التي وضعت على السيارة بشكل مميز، وأكثر ما شعرت أنه مبهج في تلك الليلة هي فكرة قيادة فاروق سيارة الزفاف بنفسه، شعرت حينها أنه كالفارس الذي يخطف محبوبته ويهرب بها بعيدًا، كانت تودعهما بعينيها وتدعو لهما بكل الخير، ثم ابتسمت وهي تتخيل نفسها في ذلك الموقف فخجلت وأغلقت الدفتر.

لم يكن أقل منها شوقًا، بل أن الشوق وقف بكامل سطوته وركّز رايته فوق قلبه، يشعر أن حبها يزيد في قلبه يومًا بعد يوم، ومكانتها عنده أصبحت في أعالي السماء، ذات يوم دخل غرفة هند وأخبرها أنه يتمنى بشدة رؤية سلمى، نظرت له هند بتعجب، أو ربما بشك، وسألته عما يمنعه، فأخبرها أن حبها في قلبه وصل إلى القمة، ويخاف كثيرًا من ألا يستطيع أن يخفي بداخله كل هذا الحب، ويجد نفسه قد أفصح عن بعضه بعد كل هذا الصبر، فضحكت هند لتغيظه وأخبرته ألا يُتعب نفسه، ستتولى هي أمر إخبارها بكل شيء، حينها نظر إلى النافذة بتمعن، ثم عاود النظر إليها وأخبرها بحزم بأنها إن فعلت ما قالت ستجد نفسها مُلقاة من تلك النافذة في اليوم التالي، تظاهرت هند بالخوف، ثم ضحكت ووعدته أن تحفظ السر بداخلها حتى يقرر هو بنفسه إخبار سلمى بكل ما يخفي، وطمأنته بأن الوقت المتبقي حتى موعد عقد القران ليس بكثير، وسألت الله أن ييسر لهما الأمر على خير.



«عزيزي إسلام،

انتظرنا طويلًا تلك اللحظة، صبرنا وتحملنا الكثير، ساعات قليلة تفصلنا عن الحدث الأكبر، وبعدها بإذن الله سأعترف لك بكل شيء، أشعر أن قلبي سيخرج من قفصي الصدري من شدة دقاته، أشعر بفرحة عارمة تجتاح روحي، أنتظر بشوق أول لقاء بيننا بعد عقد القران، ذلك اللقاء الذي تخيلته عشرات المرات.

بعد ساعات يا إسلام سيكون هذا الدفتر ملكك، وسترى فيه وجهًا آخر لسلمى لم تكن تعرفه، سلمى التي نبض قلبها بحبك منذ التقت بك، سلمى التي لم تسمح لأي شاب أن يطرق باب قلبها سواك، ها هي الآن تهدي إليك شيئًا من أغلى ما تملك، وهي على يقين من أنك ستحافظ عليه.

هذه كلماتي الأخيرة هنا، المرة القادمة سأخبرك بكل ما يدور بداخلي وجهًا لوجه وبلا خوف، أسأل الله أن يبارك لنا وييسر لنا كل أمورنا».

ذيّلت الصفحة بتاريخ اليوم والساعة والدقيقة، ثم أخذت تقلب صفحاته بفرحة، وبعدها أغلقته بهدوء حتى لا تُفسد ذلك الغلاف الرقيق الذي غلفته به بالأمس، تنفست بعمق ثم بدأت ترتدي ملابسها لتذهب إلى خبيرة التجميل.

قبل صلاة العصر بساعة وقف إسلام يهندم ملابسه أمام المرآة ويصفف شعره، وبعدها وضع عطره الخاص ونظر إلى نفسه بفرحة حقيقية، كذلك كانت نظرات والدته التي احتضنته وهنأته ودعت له بالبركة، بدأت هند تمزح معه والتقطا معًا بعض الصور، ثم أخذا بيد والدتهما وهبطا بها إلى الشارع، ساروا قليلًا حتى اقتربوا من بيت سلمى، وفي نفس التوقيت نزلت سلمى من منزلها بصحبة عائلتها، لاح السرور

على محياه عندما شاهدها بذلك الفستان الذي صُبغ بلون السكر، وذلك الخمار الجميل الذي حمل اللون ذاته، أما عن تلك الفراشات الصغيرة وردية اللون التي زينت أطراف الفستان وأطراف أكمامه فإنها أضافت على ملابسها بهجة فوق بهجة، لمحت سلمى ابتسامته فخجلت وأكملت السير وهي تنظر أرضًا، وكلما اقتربت من المسجد زادت دقات قلبها بشكل ملحوظ حتى ظنت أنه أُفتُضِح أمرها، وصل الجميع إلى المسجد الكبير في الحي والذي يتكون من طابق واحد، اختفت النساء في مكانهن المخصص خلف الستار، وبدأ الرجال في إتمام إجراءات العقد، بعد دقائق مليئة بالمشاعر المتضاربة بين توتر، فرحة، تفاؤل، وشوق، قال الشيخ:

- بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير.

انهالت المباركات على كل منهما وكثُرت الأحضان والقبلات، بعد دقائق قليلة وأثناء اختلاس سلمى النظر إليه من خلف الستار، رأته يقترب منها، فخرجت ووقفت أمام الستار وابتسمت وهي تتابع خطواته إليها، ولما وقف أمامها مباشرة مد يده إليها وفي عينيه استقرت نظرة دافئة وفرحة لو وُزِّعت على العالم لكفته، نظرت سلمى بحرج ليده الممدودة، وبدأت بارتباك تقترب منها، ولما لامست كفها كفه شعرت برعشة شديدة تجتاح جسدها كله، فقبض إسلام على يدها بقوة وهمس:

- خايفة ليه؟ ممكن متخافيش من حاجة طول ما أنا جنبك؟

كانت نبرته حانية ودافئة، رفعت سلمى بصرها إليه، ولما التقى نظرها بنظره احمر وجهها حمرة الخجل، ونزف جبينها ماء العرق، ثم فرت عيونها منه فرار الداء من الدواء، أمسك إسلام بذقنها وأعاد نظرها إليه مرة أخرى، ثم همس بحب:

- مبارك يا عروسة.

كادت أن تبكي من ذلك الإحساس الذي لا يوصف، دمعت عيناها بالفعل، كان صمتها ونظرة عيناها في تلك اللحظة أبلغ من أي كلام، قرأ إسلام في عينيها الدامعتين حبًا جارفًا له فابتهج قلبه، وقرر أن يهرب بها إلى أي مكان ليستطيع إخبارها بكل ما كتم عنها طوال الشهور الماضية.

اصطحبها إلى إحدى الحدائق العامة، طلب لها مشروبًا دافئًا ثم بدأ يراقب ذلك الارتباك الظاهر جليًا على وجهها ويضحك، قال بعد صمت قصير:

- تسمحيلي أقولك إن شكلك حلو أوي؟

اعتلت شفتيها ابتسامةٌ خجلى، واشتعل الوهج الأحمر في وجنتيها من جديد، فقال إسلام:

- أول مرة أشوف عروسة تكون حلوة كده وهي مش حاطة مكياج.

نظرت له بفرحة وقالت:

- بجد يا إسلام؟

ثم ضحكت وهي تقول:

- أصل الكوافيرة قالت عليَّ مجنونة لما قولتلها إني مش هحط ميك أب.

نظر إلى عينيها باسمًا وهمس:

- أنتِ زي القمر من غير أي حاجة.

تخضَّب وجهها بالارتباك، واصطبغ خداها بحمرة الشفق، لاحظ إسلام ارتعاشة خفيفة في كفيها فقال ضاحكًا:

- خلاص خلاص أنا آسف، هسكت أهو.

ضحكت ضحكة خفيفة من أسلوبه المرح، فنظر إسلام إلى عينيها وقال:

- سلمى، أنا حقيقي مش مصدق إنك دلوقتي بقيتي حلالي وأقدر أقولك كل اللي جوايا بدون خوف أو تأنيب ضمير.

رفعت بصرها إليه فصوبت الشمس سِهامها نحو بؤبؤي عينيها العسليين، فأُضرِمت فيهما خيوط النيران لترسم مشهدًا لا يبدع في صنعه سوى خالقِ الأكوان، لوحة فنية تأسر كل من ينظر إليها كما أسرت ذلك الجالس أمامها، تنفس بقوة وتمتم:

- عارفة يا سلمى؟ أنا لما اتقدمتلكِ كان كل هدفي ألاقي بنت بتخاف ربنا تكمل معايا الطريق، أعجبت بكِ في البداية بسبب لبسك المحتشم، ولما سألت هند عليكِ قالتلي حاجات كتير حلوة خلتني قعدت فترة كبيرة أفكر فيكِ لحد ما أخدت قراري وجيتلك.

تناول رشفة من الكوب الموضوع أمامه وأكمل:

- لما أتكلمت معاكِ في الرؤية الشرعية حسيت براحة رهيبة، ولما اتعاملت معاكِ في الخطوبة بعدها حبيت شخصيتك جدًا، بقيت بقول لنفسي دايمًا إني معايا كنز ولازم أحافظ عليه، أنتِ يا سلمى بالنسبالي إنسانة مليانة مميزات، لما بلاقيكِ قبل ما بتعملي أي حاجة بتسألي نفسك هل هي ترضي ربنا ولا لأ، وبشوفك بتتنازلي عن حاجات كتير نفسك فيها علشان ترضي ربنا ببقى فخور بكِ أوي، أنا متأكد إنك بتستحملي سخافات من ناس كتير وبتيجي على نَفسك علشان تعملي الصح حتى لو كل اللي حواليكِ انتقدوكِ.

نظرت له بامتنان، فأرسل إليها نظرة حب وتمتم:

- بعد خطوبتنا بشوية حسيت بحبك بدأ يسكن قلبي، كنت حابب الإحساس ده، وفي نفس الوقت كنت خايف مقدرش أكمل بنفس الثبات والجدية، عاوز أقولك إنك ساعدتيني كتير أوي إني أتجاوز الفترة دي ويارب نكون مشينا فيها بما يرضي اللّه فعلًا، لقيت فيكِ شخصية متفهمة ومريحة إلى أقصى درجة، لقيت إنسانة عاقلة بستمتع وأنا بتناقش معاها، كنت بستنى يوم الجمعة بفارغ الصبر علشان أشوفك وأسمع كلامك وأفهمك أكثر، لما لقيت إني بدأت أتعلق بكِ جامد كنت بجاهد أكثر وأكثر علشان أحافظ عليكِ، سميتك على موبايلي (رفيقتي إلى الجنة) علشان كل ما أتصل عليكِ أفتكر العهد اللي أخدته على نفسي وأحاول أنضبط في كلامي معاكِ، ولما حسيت إني في زياراتي لكِ ممكن أبدأ أتنازل قولتلك إننا هنقلل الزيارات، يمكن دي كانت أصعب خطوة بالنسبالي، بس كنت بصبر لحد ما ييجي اليوم ده يا سلمى، دلوقتي خلاص أنت بقيتي مراتي ومش هحتاج أكتم أي مشاعر جوايا تاني أبدًا، أنا حقيقي بحبك جدًا.

كانت الدموع تتلألأ في عينيها بَيد أنها حاولت أن تخفيها، ما تشعر به الآن تعجز الحروف عن وصفه، إنها فرحة الحلال، فرحة الصبر والشوق ثم اللقاء، أغمضت عينيها وتنفست بقوة، ثم قالت بصدق ظهر جليًا في كلماتها:

- ياااربي، أنا بجد عاجزة عن الرد، لما أنت بتقول عليَّ كده أمال أنا أقول عليك إيه بس! أنا من أول يوم اتكلمت معاك فيه وأنا مرتاحة بطريقة غريبة، لقيت تفكيرك قريب جدًا

من تفكيري، لقيت شخص بيحترم رأيي وبيسمعني بتركيز وبيخليني أتناقش معاه في كل اللي بفكر فيه بمنتهى الأريحية، بمرور الأيام شوفتك وأنت بتحافظ عليَّ يا إسلام وبتحميني وبتقفل أي باب ممكن الشيطان يدخلنا منه، حسيت قد إيه إنك بتحاول بكل قوتك تمشي صح ولمست فيك تصرفات رجولية نادرة اليومين دول، علشان كده اتمسكت بيك لأقصى درجة، يااه يا إسلام لو تعرف أنا كنت بدعيلك قد إيه، أنا كنت بدعيلك أكثر ما بدعي لنفسي، ولما كنت بكلم هند وألاقيها قالت اسمك كان قلبي بيرفرف وببقى نفسي جدًا أشوفك أو حتى أسمع صوتك، وكنت بخبي ده كله جوايا، الحمد لله إن الأيام دي عدت يا إسلام، الحمد لله إننا مع بعض دلوقتي وربنا يقويني وأعوضك عن كل لحظة صبرت فيها وجيت على نفسك علشان تمشي صح.

كانت نظراته تتابع حركة يدها وتعبيرات وجهها الصادقة، فابتسم قلبه ولفته سحابة من السكون والطمأنينة، ففاضت عينه بحب دفع السعادة إلى قلبها، تذكرت شيئًا ما فقالت بحماس:

– على فكرة، فيه حاجة بجهزلك فيها بقالي شهور، ممكن تيجي معايا البيت علشان تشوفها؟

انتقل حماسها إليه، فلمعت عيناه وقال بنبرة محببة لها:

– يا سلام! ده شيء يسعدني، تحبي نروح دلوقتي؟

أومأت برأسها موافقة، فاسترق النظر إلى ساعته وقال:

– طيب خلاص المغرب قرب، تعالي ندور على مسجد نصلي فيه وبعدها نمشي.

ترك مقعده ووقف أمامها، مد يده إليها مبتسمًا، فنهضت من مكانها وشبكت أصابعها بأصابعه وقد تسلل بعض الدفء لثنايا روحها، ثم سارت بالقرب منه للبحث عن أقرب مسجد.

وقفت أمام باب منزلها تنظر إلى ذاك الواقف بجوارها بعدم تصديق، ثم طرقت الباب بخفة وعلى شفتيها نُقشت ابتسامة جميلة، فتحت والدتها الباب واحتضنتها، ثم صافحت إسلام للمرة الأولى وهنأته، دخلا معًا إلى الغرفة المفتوحة على الصالة، جلس إسلام على أحد المقاعد بينما قالت سلمى بحماس:

- هستأذنك بس خمس دقايق وجاية بإذن اللّه.

- لأ خمس دقايق كتير، هم اتنين كفاية!

قالها وضحك، فضحكت سلمى هي الأخرى وقالت:

- حاضر هحاول آجي بسرعة بإذن اللّه.

تركته ودخلت إلى غرفتها، نزعت خمارها وأسدلت شعرها البني الذي اهتمت به خبيرة التجميل ليظهر في أبهى صوره، ثم حوّطت مقدمة رأسها بطوقٍ من الورود التي صُبغت بلون السكر كفستانها، وضعت القليل من مساحيق التجميل على وجهها، نظرت إلى نفسها في المرآة بفرحة كبيرة، ثم أغمضت عينيها وتنفست بعمق، حملت دفترها وسارت بخطوات خجلة حتى وصلت إليه.

أسند ظهره إلى ظهر مقعده وعقد ذراعيه أمام صدره وبدأ يسترجع ما حدث في الساعات الأخيرة وقد ارتسمت على وجهه أمارات السعادة، وفي لحظة ما وجدها تقف أمامه مبتسمة بحياء بالغ، ففُغِر فاه دهشة واتسعت عيناه ناظرًا إليها بذهول، بالتأكيد هو يحلم، هكذا ظن، فحرك

رأسه مرارًا ليستفيق من حلمه فوجدها ما زالت أمامه، دنا منها وما زال الذهول يتراقص على صفحة وجهه، ولما تأكد من أنها حقيقة همس:

- أنتِ ازاي كده!

- إيه رأيك؟

- معقولة ده كله علشاني!

قالها يُظلُّ قوله بحاجبيه المتقاربين يعكسان دهشته، فتمتمت سلمى:

- ربنا يقدرني وأعمل كل اللي أقدر عليه علشان أسعدك يا إسلام.

أحاط وجهها بكفيه ولثم مقدمة رأسها وقال:

- ربنا يباركلي فيكِ يا سلمى.

نظرت له بامتنان، ثم جذبته من يده وأجلسته على الأريكة، جلست إلى جواره وبسطت يديها بالدفتر أمامه وقالت:

- خلاص دلوقتي بقى ملكك.

نظر إسلام للدفتر بتعجب وسأل:

- إيه ده؟

قبضت سلمى على الدفتر بقوة وكأنها تودع شيئًا غاليًا وأردفت:

- هنا هتشوف جانب تاني من شخصية سلمى مكنتش تعرفه قبل كده، هنا العالم اللي كنت عايشة معاك فيه طول الشهور اللي فاتت، كنت بكلمك وبقولك كل اللي بحس بيه بدونٍ تردد، دي الهدية اللي بجهزهالك بقالي كتير، وبتمنى فعلًا إنها تفرح قلبك وتكون ذكرى حلوة لينا نفرح لما نشوفها فيما بعد.

أمسك إسلام الدفتر بحماس وهم بفتحه، ولكن سلمى أوقفته بسرعة وقالت بحرج:

- لأ لأ مش دلوقتي، لما تروَّح!

ضحك إسلام وقال:

- هشوف أول صفحة بس حتى.

ضغطت بيديها الصغيرتين على الدفتر لتضمن أنه لن يفتحه وقالت:

- مش هينفع بجد يا إسلام، لما تروَّح اقرأه براحتك.

- طيب أنتِ خدودك بقت طمطماية ليه دلوقتي!

قالها بمرح وهو يركز نظراته في عينيها، فسحبت سلمى الدفتر من يده وأسرعت الخطى نحو غرفتها بعدما قالت:

- هروح أحطلك الكشكول في الشنطة بتاعتك وجايه.

ضحك إسلام، ضحك كثيرًا من ردة فعلها تلك، أحب خجلها واحمرار وجنتيها الواضح والذي يُضفي على وجهها براءة ورقة فوق رقتها، وسأل اللّه من كل قلبه أن يديم الود بينهما ويجمع بينهما على خير.



في أحد المطاعم الشهيرة وقف أمامها مبتسمًا، ثم سحب مقعدًا وأشار إليها بطريقة مسرحية أن تجلس، شعرت بأنها كالأميرة، سارت بخطوات واثقة وهي تجر خلفها ذيل فستانها الأزرق وجلست حيث أشار، اختار المقعد الذي يقابلها مباشرة وجلس عليه، ثم قال بوجه مشرق:

- إيه رأيك في المكان؟

تلفتت حولها وخافقها يضخ بقوة السعادة وقالت:

- حلو أوي يا إسلام، بس باين عليه غالي جدًا.
- مفيش حاجة تغلى عليكِ، وبعدين النهارده أول يوم أقبض وأنتِ مراتي، مكنش ينفع أعدي المناسبة دي بسهولة كده.

ثم ضحك وهو يقول:

- ومتقلقيش، بعد كده العزومة دي هتكون كل سنة مرة.

ضحكت هي الأخرى وقالت:

- اللّه يطمن قلبك يا إسلام، خلاص أنا هحاول آخد حقي المرادي تالت ومتلت بقى.
- بصراحة فيه سبب كمان.

قالها وسكت متابعًا نظرات عيناها الملتهفة، ثم قال بعد وهلة:

- أنا خلصت قراءة الكشكول النهارده الفجر، كل يوم كنت بقرأ ساعة أو اتنين قبل ما أنام، النهارده مقدرتش أسيبه إلا لما خلصته.

خالج قلبها شيء من السعادة، سألته بعينيها عن رأيه، فتذكر ذلك الإحساس المدهش الذي كان يشعر به في كل مرة يمسك بها بهذا الدفتر، لم يكن يتوقع أنها تُكِنُّ له كل هذه المشاعر، لم يكن يتخيل أنها أحبته إلى هذا الحد، تذكر عندما كان يقرأ بعض العبارات بسعادة كبيرة ثم يعيد قراءتها بتمهل وكأنه أراد لروحه أن تتشرب الكلمات، كانت عيناه في كل مرة تلتهم الأسطر بشوق جارف، وكانت منزلتها ترتفع في قلبه كل يوم عن اليوم الذي يسبقه، قال بعدما أفاق من شروده:

- هتصدقيني لو قولتلك إني مش لاقي كلام يوصف إحساسي؟ أنا لحد دلوقتي مش مستوعب إن كل الكلام ده كتبتيه علشاني!

أنا كنت ببقى طاير من الفرحة وأنا بقرأ كلامك يا سلمى، كنت بحس إن ربنا رزقني بنعمة كبيرة أوي لازم أفضل أشكره عليها طول عمري.

شعرت بنبضاتها قوية متسارعة، حاولت أن تبدو هادئة، وسألت:

- طيب قولّي إيه أكثر حاجة عجبتك في اللي كتبته؟

رفع حاجبه الأيمن وضيق عينيه بتفكير ثم قال:

- أكثر حاجة عجبتني إنك عمالة كل شوية تقولي: «بعد عقد القران سأعترف لك بكل شيء»، وأنا مشوفتش أي اعترافات منك لحد دلوقتي!

قالت بحرج:

- مش أنا قولتلك إني ببقى فرحانة لما بشوفك؟

عقد حاجبيه وزم شفتيه وقال بيأس:

- امممم... عظيم الاعتراف ده الحقيقة!

- إيه ده بُص وراك!

قالتها فجأة، فنظر خلفه بعدم فهم ثم عاود النظر إليها وسأل:

- أبص على إيه؟

- الجارسون هناك أهو، نادي عليه بسرعة علشان أنا جعانة جدًا.

قالتها وهي تحاول كتم ضحكاتها، فنظر إسلام إليها بغيظ مصطنع وقال:

- حاااضر حاااضر يا سلمى.

نادى على النادل وطلب منه الطعام الذي اختاره، تبادلا أطراف الحديث حتى أتى إليهما الطعام، ساد الصمت بينهما أثناء تناول الطعام، فكل منهما كان ينعم بالانشراح الروحي الذي جعله يهيم في عالم مزهر بداخل نفسه. كان إسلام يتوقف عن الطعام في بعض الأحيان ويختلس النظر إليها ليتأكد من أنها معه بالفعل، وكانت سلمى تفعل ما يفعل في أحايين أخرى، بعد نصف ساعة تقريبًا توقفت سلمى عن الطعام ونظرت بذهول إلى تلك التي ولجت من باب المطعم وهي متعلقة بيد أحد الرجال وتمشي إلى جواره بثقة وعلى وجهها رُسمت ابتسامة فخر، ظنت أنها تتخيل، ففركت عينيها بكفيها وعاودت النظر إليها لتجدها تجلس أمامه على الطاولة وتضحك، شعرت بغصة في قلبها، تركت الملعقة من يدها وعلت وجهها غيمة حزن، لاحظ إسلام توقفها عن الطعام وقال:

- كملي أكلك يا سلمى.

ابتسمت ابتسامة تخفي بها تجاعيد الضيق والحزن وقالت:

- شبعت الحمد لله.

لاحظ طيف الحزن الذي لاح بعينيها، فمَشَطَ المكان بعينيه ثم قال:

- هو فيه حاجة ضايقتك هنا؟

- هو فيه حاجة ممكن تضايقني وأنا معاك؟!

نظر إليها بامتنان وابتسم، ثم تمتم:

- خلاص أنا قربت أخلص أهو، وبعدها هنخرج نتمشى شوية سوا.

أومأت برأسها موافقة، وانتظرت حتى أنهى طعامه ثم غادرت المكان وهي تحمل في قلبها همًا كبيرًا لم تدركه تلك التي جلست تمزح مع ذاك الشاب حتى ضحك بملء شدقيه، استمر يضحك بطريقة جنونية ثم قال في لحظة وهو يحاول التقاط أنفاسه:

- يا بنت الإيبه، أنا أول مرة حد يضحكني بالشكل ده!

غمزت إليه بعينها اليسرى وقالت:

- احنا تحت أمرك في أي وقت يا كريم بيه، المهم تبقى مبسوط.

- أنا شكلي هتجنن وآجي أخطبك علشان أضمن إنك هتكوني معايا علطول.

قفزت من مكانها وسألته بلهفة تكاد تُخرج عينيها من محجريهما:

- بجد يا كريم؟

- بصراحة أنا مكنتش ناوي أرتبط دلوقتي خالص، بس بدأت أغير رأيي الفترة الأخيرة بعد ما قربت منك، يعني بنت زي القمر وكل الناس هتحسدني عليكِ، كمان دمك خفيف ومطيعة ومتفتحة وببقى مبسوط في الوقت اللي بقضيه معاكِ، يبقى ليه أأجل الخطوة دي أكثر من كده!

قالت بسعادة:

- بصراحة عندك حق.

أشار لها بسبابته وقال محذرًا:

- بس اوعي تتغيري بعد الجواز، أنا عاوزك زي ما أنتِ كده لأني بحب أعيش حياتي براحتي بدون قيود، وأهم حاجة تفضلي واخدة بالك من نفسك وحلوة كده طول الوقت، علشان زوجة كريم البحيري مينفعش تكون واحدة عادية.

أومأت بعينها موافقة وقد ترقرق وجهها بالبهجة وقالت:

- من عينيا يا كريم.
- خلاص أنا هكلم والدي في الموضوع وأبلغك بالجديد، بس أهم حاجة لما نيجي أهلك يوافقوا على كل حاجة علشان متحرجش قدام والدي.

قالت بسرعة:

- هيوافقوا أكيد.

رفع أنفه بغرور وقال ضاحكًا:

- واضح إني عريس لُقطة.

تداركت فاطمة الموقف وحاولت أن تنقذ ما يمكن إنقاذه وقالت:

- أنا غالية جدًا عند أهلى، وهم مستعدين يعملوا أي حاجة ممكن تفرحني، علشان كده لو أنا وافقت هم كمان هيوافقوا.
- وأنتِ موافقة طبعًا.

قالها وغمز إليها بعينه، فقالت على استحياء:

- هبقى أقولك رأيي لما تيجي.

ابتسم كريم إليها بثقة ثم شرع في تناول طعامه.



- كنتِ بتعملي إيه مع دكتور كريم في المطعم النهارده يا فاطمة!
قالتها سلمى بانفعال شديد في محادثة تليفونية أجرتها مساء نفس اليوم، فقالت فاطمة بتعجب:

- وأنتِ عرفتي منين!
- أنا شوفتكم بنفسي يا فاطمة.
- طيب أنتِ بتتكلمي معايا بالطريقة دي ليه!

زفرت سلمى بقوة، تمالكت نفسها وتمتمت بهدوء:

- أنا آسفة يا ستي، حقك عليَّ، بس أنا اتصدمت لما شوفتكم مع بعض!

قالت ساخرة:

- وهو أنتِ شوفتينا بنعمل إيه يعني! احنا كنا في مكان عام والناس كلها حوالينا!

اكتنفتها دوامة الحيرة، قالت بعدم فهم:

- يعني أنتِ مش شايفة إن فيه حاجة غلط في الموضوع!

زفرت فاطمة بملل وقالت:

- لأ مش شايفة يا سلمى، اتنين بيحبوا بعض وخارجين مع بعض، إيه المشكلة يعني! وعامة هو قريب جدًا هييجي يتقدملي.
- دكتور كريم هيتقدملك أنتِ!

أطلت الدهشة من عينها وقالت بعصبية:

- مستغربة ليه كده! شايفاه كتير عليَّ مثلًا!

تنفست بعمق وهي تغلق عينيها وتضغطهما بقوة، تنهدت ثم قالت بهدوء:

- لأ، شايفاكِ أنتِ كتيرة عليه يا فاطمة!

توقف الحوار فجأة وخيّم عليهما الصمت لبرهة، تجمعت بعض الدموع الخرساء بين أهداب سلمى، أمسكتها بانضباط وقالت:

- أنا بحبك وخايفة عليكِ يا فاطمة، أنتِ مش أول ولا ثاني ولا حتى عاشر بنت تقضي فترة مع دكتور كريم وبعدها يسيبها ويروح لغيرها، أنتِ عارفة إني مبحبش أتكلم على حد، بس حقيقي أنا مش متطمنة أبدًا لعلاقتكم دي، حتى لو هتتجوزوا في النهاية فمش هو ده الزوج اللي أتمناه لكِ.

- كريم قالّي النهارده إنه هييجي يتقدملي، وأنا تعبت كتير علشان أسمع منه الكلمة دي، فمستحيل بعد ده كله أتنازل يا سلمى علشان مجرد تخيلات في دماغك.

صمتت هنيهة ثم تابعت:

- أنا عارفة كريم كويس يا سلمى، هو كان بتاع بنات فعلًا بس من ساعة ما قربت منه وهو مفيش في حياته غيري، كمان بعد الجواز أكيد هيتغير ويشيل المسئولية أكثر من كده.

- متأكدة إنه هيتغير!

- أيوة متأكدة يا سلمى، ومن فضلك أنا مش متقبلة كلام تاني في الموضوع ده لا منك ولا من هند.

- هي هند كانت عارفة!

قالتها بصدمة لم تفلح في إخفائها، فقالت فاطمة:

- أيوة عارفة من زمان، بس أنا قولتلها متقولكيش علشان عارفة إن دماغك مختلفة عني وهتقعدي تديني ـيـفـ محاضرات مش هتفيدني بأي حاجة.

سالت دمعة على خدها، كفكفتها بألم وقالت:

- عامة أنا هفضل جنبك يا فاطمة، لو حسيتي إنك حابة تتكلمي ـيـفـ أي وقت هتلاقيني مستنياكِ.

ودّعتها وأغلقت الخط وـيـفـ قلبها حزن وألم وخوف كبير من المستقبل.



- ١٠ -

أسفر الصبح، ضحيت الشمس وطرقت أشعتها أبواب عينيها، فرفعت جفنيها بهدوء وابتسمت لتلك التي كانت تشاكسها بنورها، ثم قفزت من فراشها بحماس وبدأت تدور في غرفتها مبتهجة وكأنها فراشة وسط حقول الزهور، ذهبت للمرآة ونظرت إلى وجهها الرائق الذي اهتمت به خبيرة التجميل كثيرًا في الليلة الماضية وابتسمت بسعادة، ثم خرجت لتناول فطورها مع عائلتها قبل الذهاب لخبيرة التجميل مرة أخرى لتضع لها اللمسات الأخيرة، لم يكن قلبها الوحيد الذي يرقص فرحًا في تلك اللحظة، بل أن إسلام منذ أن استيقظ لصلاة الفجر وهو يشعر بسعادة لا توصف، أدى صلاته وجلس يذكر الله ويقرأ قرآنًا حتى طلعت الشمس وارتفعت في الأفق، ثم صلى ركعتي الضحى وجلس بعدها يدعو الله أن يتمم زواجه على خير ويمتعه بالحلال، وبعدها عاد لمنزله وأكمل نومه حتى موعده مع مصفف الشعر، مرت الساعات التالية مليئة بالمشاعر المختلطة، فرح، دهشة، توتر، قلق، انبهار، وعدم تصديق، كل ذلك يتضارب في الآن نفسه، وخصوصًا في عقل سلمى التي ما إن رأت نفسها بفستانها الأبيض حتى تجمعت الدموع في عينيها وارتسمت على شفتيها ابتسامة تعني الكثير، سمعت إحداهن تهمس إليها ضاحكة ببعض الكلمات فسارت تجر خلفها ذيل فستانها حتى وصلت إلى باب مركز التجميل ووقفت هناك، صعد إسلام الدرج وما أن رآها حتى توقفت قدماه فجأة وظل ينظر إليها بعينين متسعتين تطل منهما الدهشة، أشارت سلمى بيديها ضاحكة،

فتمالك نفسه وتابع السير حتى وصل إليها، عقدت الدهشة لسانه فلم ينطق بحرف، ظل ينظر إليها لدقيقة كاملة بعدم استيعاب، ثم سحب كفها الأيمن ولثمه، وبعدها انفكت عقدة لسانه وأخبرها أن جمالها اليوم لا يوصف، تنحنحت هند التي جاءت من خلف سلمى وغمزت بعينيها لهما ضاحكة، فشعرت سلمى بالحرج وأخبرتهما أنها ستذهب لاستكمال ارتداء ملابسها، انتظراها بضع دقائق حتى ارتدت خمارها ووضعت على وجهها النقاب للمرة الأولى كما كانت تحلم، ثم أمسكت بذلك التاجٍ الذي استقرت فوقه الفصوص البيضاء اللامعة التي أضفت عليه جمالًا خلابًا ووضعته فوق رأسها، وأخيرًا أدخلت كفيها الصغيرين في القفازات وخرجت إليهما باسمة، تعلقت بيد زوجها ودخلت معه إلى السيارة التي تلفها الورود البديعة من كل مكان، تحركت السيارة حتى وصلا إلى إحدى الحدائق العامة وبدأت هند بالتقاط العديد من الصور الجميلة لهما، كانت الشمس تتابعهما بحماس وتأبى الغروب، ولما انتهوا غادرت خشبة المسرح بنفسٍ راضيةٍ واختبأت في أحضان السماء.

في بقعة تجلّى فيها ضوء القمر كاملًا دون نقصان هبط إسلام من السيارة بصحبة زوجته التي لف ذراعها حول ذراعه وسار إلى جوارها حتى دلف إلى قاعة عُرسه، كانت القاعة كبيرة الحجم، يفصلها من المنتصف ستار كبير يفصل الرجال عن النساء، دخلت سلمى إلى الجزء المخصص للنساء ونزعت نقابها، سارت في ممر طويل ينتهي بالأريكة المخصصة للعروس، ومن حولها سارت مجموعة من الفتيات الصغيرات ترتدي كلٌّ منهن فستانًا أبيضًا وتعقص شعرها بطوق أبيض وتقوم بإلقاء العديد من الورود الحمراء والزهرية على العروس، كان استقبالًا حافلًا ومبهجًا، جلست سلمى على الأريكة وبدأت تستقبل الأحضان والقبلات الآتية من أقاربها وأصدقائها، ثم عاد الجميع إلى مكانه وبدأت فرقة

الفتيات الإسلامية بتقديم عروضها، كانت الفرقة مكونة من سبع فتيات، إحداهن تهتم باختيار الأناشيد المناسبة لكل فقرة، أما البقية فمهمتهن تقديم عروضهن بطريقة لطيفة تجذب الحاضرين، كانت بعض العروض حماسية ويتفاعل معها الجميع، كعرض تم تقديمه باستخدام أطواق كبيرة الحجم يتبادلنها مع بعضهن البعض بطريقة مميزة، وعرض آخر أضحك الجميع حيث قدمت إحدى الفتيات هدية لسلمى، فلمعت عينا العروس بفرحة، وما إن فتحت الهدية حتى وجدتها تحوي ثمرة بطاطا وسكين! كان الأمر غريبًا جدًا، ولكن الفتاة أخرجت لوحة كانت مُخَبأة خلف أريكة العروس كُتب فيها بأنه مطلوب من سلمى أن تقشر هذه الثمرة بطريقة احترافية لتأكد لهن أنها طباخة ماهرة، ضحكت النساء كثيرًا وأيدن الفكرة، فرضخت سلمى لمطالبهن وبدأت تقشر الثمرة الصغيرة ومن حولها موجة من الضحك الجماعي استمرت لعدة دقائق، وعلى الجانب الآخر من الستار بدأ فاروق يلف حول الحاضرين ويهمس لكل منهم بشيء في أذنه، ولما انتهى أشار لهم بعينيه، فهجموا جميعًا على إسلام ودفعوه نحو مكبر الصوت، نظر إليهم بعدم فهم فأمروه أن يغني لزوجته، ضحك ساخرًا من تلك النكتة الغريبة، ولما وجد إصرارًا شديدًا منهم أخبرهم بجدية أن صوته لا يصلح لذلك أبدًا، توقفت أصوات الأناشيد، رجع كل منهم إلى مقعده ونظروا إليه منتظرين التنفيذ، فوجد أنه لن يستطيع أن يخرج من هذا المأزق فاستسلم، وقال وهو يرفع حاجبه:

- افتكروا إن أنتوا اللي اخترتوا، اللي هيتريق على صوتي مش هيروح من هنا سليم، اللهم بلغت.

ضحك فاروق وبعض الحضور، بدأ إسلام يفكر لعدة ثوانٍ ثم قال:

- يلا استعنا بالله، هقولكم أنشودة أجمل فرحة لماهر زين.

أغمض عينيه وهو يتذكر سلمى وقال:

أجمل فرحة هيَّ يوم فرحنا ده شيء أكيد

ذكريات الليلة ديَّ حاضرة مش ممكن تغيب

إحساس اليوم ده مين فينا ينساه علطول تجمعنا أحلى حياة

أجمل فرحة في حياتنا الليلة

حلوين والله الله الله

ما شاء الله ما شاء الله

يا سلام يا سلام ما تباركوا يا أهل الله

احنا على سُنة نبينا جينا وكتبنا الكتاب

واحنا طايرة الفرحة بينا والليلة دي القلب داب

إحساس اليوم ده مين فينا ينساه علطول تجمعنا أحلى حياة

أجمل فرحة في حياتنا الليلة

حلوين والله الله الله

ما شاء الله ما شاء الله

يا سلام يا سلام ما تباركوا يا أهل الله

قولوا ما شاء الله ويا رب تعيشوا أحلى سنين

قولوا ما شاء الله ويا محلى زوجين صالحين

ربنا يجمعنا ويا بعض في الجنة ربنا يجعلنا طول العمر متفاهمين

أجمل فرحة في حياتنا الليلة

حلوين والله الله الله

ما شاء الله ما شاء الله

يا سلام يا سلام ما تباركوا يا أهل الله

أنهى الأنشودة وبدأ يُعدّل من هيئة رابطة عُنقه وهو ينظر إليهم بغرور، ثم قال ضاحكًا:

- يا رب تكونوا استمتعتوا بصوتي ومحدش فيكم جاله أزمة قلبية ولا حاجة.

ضحك بعضهم بينما صفّق البقية بحرارة وبدت السعادة على وجوههم، نظر إسلام إليهم بامتنان لاعتقاده بأنهم يجاملونه، وهو لا يدري أن إحداهن تجلس على بُعد أمتار منه وقد تلبدت عيناها بالغيوم وتسارعت ضربات قلبها منذ أن بدأ إنشاد، ورغم أن صوته لم يكن عذبًا بما يكفي إلا أنها أحبته أكثر من أي صوت آخر، فقط لأنه صوت زوجها وحبيبها، عاد إسلام إلى مقعده بعدما ترك مكبر الصوت من يده، بدأ النادل بتوزيع المشروبات على الحضور ثم استمرت الفقرات مرة أخرى حتى انتهى الوقت المحدد للعرس، وحينها خطف الفارس زوجته وهرب بها إلى بيته.



صعدا معًا إلى الطابق الرابع، ذكرا الله ودلفا إلى بيتهما، أغلق إسلام الباب ونظر إلى زوجته بحب وهمس:

- نورتي بيتك يا حبيبتي.

- ده نورك يا إسلام.

نطقت بها وفي صوتها رجفة تنذر ببكاء قريب، شعر إسلام بها فأمسك بيدها بحنان وسار بها إلى الأريكة التي تتوسط غرفة الضيوف، أشار إليها أن تجلس وقال:

- لحظة واحدة وجاي بإذن الله.

أومأت برأسها بابتسامة خفيفة وجلست وقد بدت عليها أمارات التوتر، عاد إسلام وهو يخفي يمناه خلف ظهره، حاولت أن تتبين ما يحمله خلف ظهره ولكنها فشلت، فابتسم إسلام وأشار إليها بقطعة شيكولاتة كبيرة الحجم من النوع الذي تفضله وقال ضاحكًا:

- أنا عارف إنك بتفرحي بالحاجات التافهة دي.

ضحكت رغمًا عنها، نظرت إليه بغيظ وقالت:

- ماشي يا إسلام، شكرًا.

بدأت بفتح المغلف والتهمت أول قضمة من الشيكولاتة بتلذذ، نظر إسلام إليها بابتسامة هادئة، ما زالت تحمل بين جنباتها قلب طفلة ولن تتغير، مسح على رأسها بحب وقال:

- هروح أتوضى عقبال ما تخلصي أكلك.

بدل ثيابه وجدد وضوءه، ثم عاد إليها فوجدها جالسه متربعة على الأريكة وقد أسندت كوعيها على ركبتيها، ضمت كفيها وأسندت ذقنها عليهما، وتنظر إليه بابتسامة ممتنة، جلس إلى جوارها وقال:

- عجبتك؟

- أوي يا إسلام، شكرًا جدًا.

ربت على كتفيها وأشار إلى الممر الطويل المؤدي إلى دورة المياه وقال:

- يلا روحي اتوضي وتعالي علشان نصلي سوا.

أومأت برأسها وغادرت الغرفة، تابعها إسلام بعينيه حتى اختفت، ثم أخرج ورقة من جيب بنطاله وبدأ يهمس عدة مرات: «بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا» ذلك الدعاء الذي يجب أن يقوله في كل مرة قبل جِماع أهله كما وصانا النبي صلى الله عليه وسلم،

تأكد من أنه حفظه بشكل جيد ودس الورقة في جيبه مرة أخرى، وانتظر حتى خرجت إليه زوجته وهي ترتدي ملابس الصلاة، نظر إليها ضاحكًا فانكمشت في نفسها حياءً منه، وبدأت بارتباك تضع سجادتي الصلاة على الأرض، وقف أمامها وكبر فشعرت برجفة جميلة في قلبها، وكبرت وراءه، صلى بها ركعتين ثم التفت إليها، وضع يده على مقدمة رأسها وقال:

- اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جُبِلتْ عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جُبِلتْ عليه.

ثم رمش بعينيه وقال بحب:

- ربنا يباركلي فيكِ يا سلمى.

ارتسمت بسمة صغيرة على ثغرها تَبِعتها رجفةٌ خفيفة اجتاحت جسدها كله، فنظر إليها إسلام رافعًا حاجبه الأيمن وقال:

- ممكن تقوليلي أنتِ خايفة كده ليه؟

- هاه! لأ أنا مش خايفة خالص.

- لأ ما هو واضح فعلًا.

قالها ضاحكًا، ثم نظر في عينيها بحنان وهمس:

- عاوزك تعرفي إن من أهم أهدافي في علاقتنا سوا إنك تكوني متطمنة ومرتاحة طول ما أنا جنبك، إني مشوفش نظرة الخوف دي في عينيكِ مرة تانية؛ لأني راجلك وسندك وأكثر واحد هيخاف عليكِ علشان أنتِ أمانة عندي، عاوزك كمان تعرفي إني مش أناني يا سلمى، وعمري بإذن الله ما هكون الشخص اللي بيفكر في مصلحته وبس وينسى مراته، أنا مُقدر مخاوفك وتوترك وإحراجك، علشان كده أنا هراعي النقاط

دي كلها بإذن الله في تعاملي معاكِ لحد ما تتعودي تمامًا على حياتك الجديدة معايا.

بعد سماعها لتلك الكلمات قذف الله الطمأنينة والسكينة في قلبها، هدأت نفسها وتوقفت ارتعاشة جسدها، تمتمت بهدوء:

- بجد شكرًا جدًا يا إسلام، ربنا يباركلي فيك.

حرك رأسه بمرح وقال مازحًا:

- الشكر لله يا ستي، المهم سيبك دلوقتي من الكلام العميق ده وخلينا في المهم، كنتِ بتقولي إن والدتك عاملالنا أكل حلو أوي النهارده، أنا لحد دلوقتي مشوفتش أي أكل، خبيتيه فين؟ اعترفي!

ضحكت حتى بدت نواجذها ثم نهضت من مكانها وسارت باتجاه المطبخ لتجهز العشاء.



صبيحة اليوم الخامس بعد زواجهما اتصلت هند بأخيها لتخبره بأنها ستحضر مساءً بصحبة والدتها وخالتها وزوج خالتها لزيارتهم، فاستعد كل من إسلام وسلمى لتلك الزيارة بحماس شديد، بعد صلاة العشاء بساعة تقريبًا سمعا طرقات متفرقة على باب منزلهما، فتح إسلام الباب وسلم عليهم بحرارة ثم دعاهم للدخول، جلست خالته على أحد المقاعد وبدأت تتلفت ذات اليمين وذات الشمال وتدقق النظر في كل ما يحيط بها، حضرت سلمى ووضعت أكواب العصير التي كانت تحملها على الطاولة، ثم اقتربت من النساء واحتضنت كل منهن وحيتهن ببهجة، ثم جلست بجوار زوجها، قالت الخالة شكرية باستنكار وهي تشير إلى نقاب العروس:

- وأنتِ يا بنتي لابسالنا البتاع ده ليه! هو فيه حد غريب! ده عمك حسين قد أبوكِ.

ثم نظرت لها بجدية وقالت:

- اخلعيه يا بنتي واقعدي براحتك، والله أنا ما عارفة لازمته إيه البتاع اللي خانقين نفسكم بيه ده!

شعرت سلمى بالحرج الشديد وردت عليها بالصمت، بينما تدارك إسلام الموقف ونظر إلى خالته وقال بأدب:

- النقاب ده نعمة من ربنا يا خالتي، وسلمى بتحبه وأنا كمان مبسوط إنها لبساه وحابة تلتزم بيه، ادعيلها بالثبات.

ثم ابتسم وقال مغيرًا مجرى الحديث:

- المهم قوليلي إيه رأيك في الشقة؟

أخذت رشفة من كوب العصير الذي بين يديها ثم ضحكت وقالت ساخرة:

- وهو أنا شوفت حاجة علشان أقول رأيي!

نهض إسلام من مكانه وأشار إليهم بيديه قائلًا:

- طيب اتفضلوا اتفرجوا على الشقة.

نهض الجميع عدا السيد حسين الذي رفض الدخول معهم، تمشت السيدة شكرية على مهل وأخذت تدقق النظر في الأثاث والديكور، ثم عادت بصحبة أختها وبنتها إلى غرفة الضيوف، استأذنت منهم سلمى وذهبت لإحضار بعض أنواع الحلويات فمالت السيدة شكرية على أختها وهمست في أذنها:

- أُمال النيش حطينه فين؟

ابتسمت والدة إسلام وقالت بطيبة:

- الولاد قالوا مش عاوزين نيش.

- وده ينفع يعني! أُمال هتحط حاجتها فين! ولا هي مش جايبة إلا على القد!

- تحط حاجتها في المكان اللي يعجبها يا شكرية، ده بيتها وهي حرة فيه، وكمان ما شاء اللّه عليها جابت حاجات جميلة ورقيقة زيها.

- طيب والتسريحة بتاعتها فاضية كده ليه هي كمان! يا دوب شوية حاجات حطاهم في النص كده وخلاص، ده أنا بناتي كانوا بيملوا التسريحة كلها ومش بيلاقوا مكان يحطوا فيه باقي حاجتهم.

زفرت والدة إسلام وقالت:

- وبناتك بردو يا شكرية ملحقوش يستخدموا كل الحاجات دي، وفي الآخر الصلاحية بتاعتهم انتهت واضطروا يرموهم، صح ولا لأ؟

رمقتها بنظرة باردة ولم ترد، فتابعت والدة إسلام:

- سلمى بنت ذكية وعاقلة يا شكرية وعارفة كويس المفروض تجيب إيه وامتى، وكمان أنا مش مهم عندي كل الكلام ده، أنا كل اللي بتمناه إن ابني يكون مبسوط ومرتاح معاها وبس.

همت شكرية بالرد ولكن قطعها دخول سلمى وهي تحمل صينية مليئة بأصناف الحلويات بين يديها، نهضت هند وساعدتها في توزيع الأطباق على الجميع، تناولوا ما حوته الأطباق أثناء حديثهم في مواضيع شتى ثم استأذنوا من إسلام وغادروا على الفور.



كانت سعادتها عارمة، تسارعت دقات قلبها وشعرت أنه سيخرج من قفصها الصدري، دعاها أخوها للخروج للجلوس مع العريس، فلما سمعت اسمه شعرت وكأنها حلقت بجناحيها إلى آفاق بعيدة في أعالي السماء، اقترب منها أخوها أكثر وكرر عليها طلبه فاستجابت وخرجت معه، كانت تلك الجلسة تضم كريم ووالده من جهة، وفاطمة ووالدتها وأخيها الأكبر من جهة أخرى، تمت الاتفاقات بيسرٍ شديد، وذلك بعدما ألحت فاطمة على أخيها أن يستجيب لكل مطالب العريس، وأخبرته أنه على خُلق وله سُمعة طِيبة في الجامعة وهي موافقة على الزواج منه، بعدها بفترة بسيطة أُقيم حفل الخِطبة في إحدى القاعات الفاخرة، كانت فاطمة ترتدي فستانًا بلون الذهب وقد أظهرت بعض الخصلات الشقراء من أسفل حجابها، كانت تبدو جميلة وفاتنة، شعر كريم بالفخر عندما رآها، وأخذ يرقص معها طيلة الليل، كانت الفتيات يلتففن حولهما وكل منهن تتمنى لو كانت مكانها، إلا تلك المسكينة التي وقفت في آخر القاعة وقد انزوى في عينيها حزن شديد، وفي اللحظة التي وقفا فيها أمام الكعكة المكونة من خمس طبقات وبدأ المصور يطلب منهما أن يقوما ببعض الحركات أثناء تناول الكعكة حتى يلتقط لهما أجمل الصور، لم تستطع التحمل وهرولت بقهر إلى باب القاعة، لمحتها هند فهرولت خلفها وحاولت منعها من المغادرة، ولكنها نظرت إليها بعينين دامعتين وقلب ممزق وأخبرتها أنه لا بد من المغادرة، فرضخت هند لرغبتها وعادت

هي لتكمل الحفل، انتهى الحفل في الواحدة صباحًا، فعانقت العروس ذراع عريسها وخرجت من القاعة، جلست إلى جواره بفخر وذهبت بهما السيارة إلى بيتها.

كانت فترة الخطبة من أروع الفترات التي مرت بها في حياتها، ففي كل مناسبة كان يفاجئها كريم بهدية أثمن وأجمل من التي سبقتها، خرجت معه إلى كل مكان، حتى أنها ظنت أنه طاف بها العاصمة كلها، بل أنها أخبرت أهلها ذات مرة أن هناك رحلة ستقام في الجامعة للطلاب وحديثي التخرج وسافرت معه ثلاثة أيام كانوا في رأيها الأروع على الإطلاق، كانت تشعر بسعادة كبيرة وهي تجلس بجانبه أثناء قيادة السيارة وتجده قد أمسك بكفها وقبض عليها بقوة وربما لثمها أيضًا، تلك المواقف كانت تثبت لها حبه، لا تنكر أنها في بعض الأحيان كانت تشعر بانقباض قلبها وتؤنب نفسها على ما تفعل، وخاصة عندما وقعت عيناها ذات مرة أثناء قراءة والدتها للقرآن على هذه الآية ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ**﴾، شعرت حينها وكأن الأرض تميد من تحت قدميها، شعرت بأنها رسالة موجهة لها، فانتابها الخوف لعدة أيام وأخذت تلوم نفسها على أنها تخشى أن يُكشف أمرها أمام أخويها ولا تخشى ممن خلقها، ولكنها سرعان ما تجاهلت هذا الإحساس حتى لا يفسد عليها فرحتها، اقتربت من كريم في تلك الفترة كما لم تقترب من قبل، لم تغب عنه يومًا واحدًا، ملأت حياته بشكل كامل، وذهبت معه إلى مناسبات عدة خاصة بأهله وأصدقائه، حتى أن الجميع كان يضرب بهما المثل في الحب والغرام، شعرت أنها أخيرًا وجدت السعادة التي كانت تحلم بها، انتظرت بلهفة مرور الأشهر الستة المتفق عليهم للخطبة حتى ترى نفسها بفستانها الأبيض، وتضمن أنها ستظل إلى جواره إلى الأبد وتغرف من فيض حبه وكرمه.

ذات يوم أخبرها كريم أنه لا يريد الإنجاب منها قبل ثلاثة أعوام على الأقل، فهو غير مستعد نهائيًا لتحمل مسئولية كتلك، كما أنه يود أن يستمتع بحياته معها ويريدها ألا تنشغل بأي شيء عنه، استجابت فاطمة لمطلبه وأكدت له بأنها ستأخذ مانعًا للحمل منذ يوم زواجهما الأول، ورغم أن الطبيبة حذرتها من تلك الخطوة إلا أنها استجابت لإلحاحها في النهاية ووصفت لها بعض موانع الحمل وطلبت منها أن تختار من بينها، ولما علم كريم بتلك الأخبار سرد على مسامعها بعض عبارات الامتنان والحب، وأخبرها أن مكانتها تعلو في قلبه بمقدار طاعتها له، مرت الأيام سريعًا وأتى يوم زفافهما، لم تختلف تلك الليلة عن ليلة الخِطبة، فقد كان الزفاف في إحدى القاعات الفاخرة أيضًا، وكانت الفقرات المقدمة تشبه فقرات الخِطبة، إلا أنها كانت أكثر عددًا، وفي نهاية المطاف لفت فاطمة ذراعها حول ذراع زوجها ودخلت إلى سيارته لتنتقل إلى عالمها الجديد.



دموع حارقة تحرق وجنتيها، تحاول السيطرة على شهقاتها المتلاحقة التي تصارع وتأبى التوقف، سكت زوجها قليلًا وهو يرى الدمعات التي تبعت الدمعة الأولى تند قافزة من حواف عينيها تلحق بها إلى الوسادة في سباق لا ينتهي، كان يمرر أصابعه على شعرها وهو يتلو بعض آيات القرآن الكريم ويسأل الله أن يصبرهما على ما حدث ويرزقهما من حيث لا يحتسبا، احتضن خديها بكفيه ونادى باسمها، قال هامسًا:

- كفاية أرجوكِ.

رفعت وجهها إليه بنظرة قهر لم يرها من كثرة الدموع التي تغطي وجهها والتي تفيض بكرم من ينبوع عينيها، وقالت بنبرة مذبوحة وذابحة من أثر البكاء:

- أنا السبب يا فاروق، أنا اللي قتلته!

حاول أن يبدو هادئًا، لكن صوته المرتعش فضح خبايا قلبه وهو يجيب بصوت يتصدع حسرة:

- ده قضاء ربنا واحنا راضيين يا نهى، رددي دايمًا اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها.

حاولت أن تجلس فخرجت منها ندة ألم، أسندها زوجها حتى استقامت جلستها، ثم قالت بعصبية لم تفلح في إخفائها:

- أنا ازاي كنت غبية كده! يعني إيه أبقى حامل والطفل يموت في بطني وأنا ده كله مش حاسة بأي حاجة!

لمحت دمعة تتراقص على أعتاب عينيه فقالت بندم:

- أنا آسفة يا فاروق، آسفة على كل حاجة.

شعر بالشفقة تجاهها لما سمع نبرة صوتها المتألمة، فرسم ابتسامة على وجهه وهمس:

- آسفة على إيه بس! أنتِ ملكيش ذنب في كل اللي حصل، الحمد لله يا نهى، أكيد اللي حصل ده حصل لحكمة يعلمها ربنا، وأنا واثق إن ربنا هيعوضنا خيرًا عن الطفل اللي راح.

نظرت إليه بضعف وقالت:

- يعني أنت مبقيتش بتكرهني يا فاروق؟ معقولة تكون لسه بتحبني زي الأول؟

نظر في عينيها طويلًا وقال بحنان:

- اللي بيني وبينك يا نهى أكبر من الحب بكتير، أنا عمري ما حسيت براحة وسكينة زي اللي حسيتها معاكِ.

مسحت كلماته بيدٍ من لطف على قسماتها، فرسمت بسمة مطمئنة على وجهها وسألت:

- هو إيه اللي ممكن يكون أكبر من الحب يا فاروق؟

- المودة والرحمة.

نظرت إليه بتعجب وسألت:

- يعني إيه الفرق؟ ما هو طبيعي يكون فيه بيننا مودة ورحمة طالما بنحب بعض، مش المودة دي اللي هي المحبة؟ واللي بيحب حد أكيد هيكون رحيم بيه.

- مش دايمًا يا نهى، فاكرة قصة سيدنا يوسف؟ فاكرة لما ربنا قال ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ شوفتي التعبير الدقيق «قد شغفها حبًا» ومع ذلك لما تعفف سيدنا يوسف وحاول يبعد عنها تحول حبها ده لعنفٍ وقسوة وسجن، شوفي قالت بعدها إيه «قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

نظر إلى عينيها مبتسمًا وتابع:

- علشان كده لما ربنا ذكر في القرآن العلاقة بين الزوج والزوجة قال ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ مقالش حب، وده لأن المودة والرحمة أعم وأشمل بكتير من الحب.

- يااه يا فاروق، أنا عمري ما فكرت فيها بالشكل ده، عندك حق فعلًا، لو اللي بيننا ده مجرد حب فممكن مع أول مشكلة يتحول الحب ده لكره أو قسوة أو ما شابه.

وضعت كفها على كفه وقالت بحب:

- في اليومين اللي فاتوا أنا شوفت قد إيه أنت كنت رحيم بيَّ وقت ضعفي، وفي كل الشهور اللي فاتت عيشت معاك المعنى الحقيقي للمودة، ربنا يباركلي فيك يا فاروق.

مسح على شعرها بحنان، نظر إليها مبتسمًا وقال بلطف:

- وفيكِ يا حبيبتي، ممكن بقى نرضى بقضاء الله ونقول الحمد للّٰه مِن قلبنا؟

أومأت بعينيها وهمست:

- الحمد للّٰه.



أشرقت الأرض بنور ربها، تسللت أشعة شمسها وداعبت وجه تلك الحورية النائمة ففتحت جفنيها بهدوء، ألقت نظرة على ذلك النائم إلى جوارها وابتسمت، ثم سارت كفراشة رقيقة واتجهت نحو المطبخ لتعد له فطوره قبل أن يستيقظ من نومه للذهاب لعمله، أعدت أشكالًا وألوانًا من الطعام، رتبت المائدة بشكل مبهج ثم أيقظته بنبرة حنونة أسعدته، ساعدته في ارتداء ملابسه ثم جلست معه على الطاولة تطعمه بيديها، كان يشعر بالسعادة لذلك الاهتمام، أيقن أنه لم يخطئ في قراره بالزواج منها، ها هي تهتم به بنفس الحماس حتى بعد انتهاء ما يسمى بشهر العسل، أنهى طعامه، ودعها مبتسمًا، وهبط ذاهبًا إلى الجامعة.

أغلقت الباب وراءه، جلست على مقعدها الوثير وبدأت تسترجع ذكريات ليلة زفافها، وبالتحديد نظرات الحسد والحقد التي رأتها في

عيون الفتيات، رفعت هامتها عالية وضحكت بانتصار، ها هي قد فازت به وحدها في النهاية، وستعيش سعيدة معه إلى الأبد.



بعينين متسعتين نظرت إليه بعدم تصديق، قربته من عينيها أكثر، وبدأت تدقق النظر فيه أكثر وأكثر وفمها مفتوح من هول الدهشة، ذلك المستطيل الأبيض الذي يبتلع في منتصفه شاشة صغيرة، وقد رُسم على هذه الشاشة خطٌ أحمر يعلوه خطٌ آخر بنفس اللون، سارت كالتائهة حتى وصلت إلى زوجها النائم، حركت ذراعه عدة مرات لتوقظه، التفت إليها بنعاس شديد، فقربت ما تحمله في يديها إلى وجهه، نظر إليه بعدم فهم، ثم عاود النظر إليها وسأل:

- إيه ده؟

- ده اختبار حمل منزلي يا إسلام، هو اللي أنا شايفاه ده حقيقي؟

قال بلا وعي:

- جبتي الاختبار ده بكام؟

نظرت إليه بذهول، ثم ضحكت رغمًا عنها وقالت:

- بكام إيه يا إسلام! أنا عملت اختبار حمل وطلع إيجابي، أنت متخيل يعني إيه الكلام ده!

وضع الوسادة فوق رأسه وهمهم:

- إن شاء الله هتبقي كويسة.

وقبل أن تنطق بكلمة سمعت أصوات شخيره تعم المكان، فجلست باستسلام على حافة الفراش وبدأت تنظر للاختبار مرة أخرى وقد تسارعت دقات قلبها، قررت أن تتصل بوالدتها لتتأكد من ظنها فتناولت

الهاتف وأخبرت والدتها بالأمر، فبكت الأم بفرحة، وبكت سلمى لبكائها ثم أغلقت الخط، حمدت الله كثيرًا، وبعدها نامت حتى موعد عملها.

في السابعة صباحًا استيقظت من نومها، أعدت فطورًا خفيفًا ثم عادت إلى زوجها النائم، جلست إلى جواره وبدأت تربت على ذراعه وتنادي باسمه، فتح عينيه بهدوء وهو يتثاءب، ابتسم إليها وقال:

- صباح الخير يا سلمى.

نظرت إليه بغيظ وقالت:

- صباح النور يا سيدي، يلا علشان حضرتلك الفطار، مع إني المفروض معملش أي حاجة النهارده، بس كله بثوابه بقى.

- ليه؟!

سألها متعجبًا، فقالت بحماس:

- علشان هجيب نونو بإذن الله.

نظر إليها بعدم فهم وسأل:

- هتجيبيه منين؟

أشارت إلى موضع حملها وهمست مبتسمة:

- من هنا.

انتفض من مكانه، أمسك أعلى ذراعيها بكفيه، بدأ ينقل بصره بينها وبين موضع حملها لعدة مرات ثم سأل بعدم تصديق:

- سلمى أنتِ حامل؟

أومأت برأسها وقد حمل وجهها كل آيات السعادة، فانفرجت أساريره، عانقها وتمتم:

- يا ربي لك الحمد، الحلم اللي مستنيين تحقيقه بقالنا شهور، مبارك يا حبيبتي.

تذكرت ما حدث بعد صلاة الفجر فقالت بغيظ:

- على فكرة أنا قولتلك أول ما عملت الاختبار علشان أفرحك، بس أنت صدمتني برد فعلك.
- ليه؟ هو أنا عملت إيه؟
- حطيت المخدة على راسك ونمت!

انخرط في الضحك فكورت كفها وكادت أن تلكمه في وجهه، أمسك بكفها الصغير وقال ضاحكًا:

- خلاص أنا آسف، حقيقي محسيتش بأي حاجة من اللي بتقوليها دي.
- ماشي هسامحك وأمري لله، يلا بقى علشان متتأخرش على الشغل.

تناولا فطورهما معًا ثم ارتدى كل منهما ملابسه، أخبرته سلمى بأنها ستغادر حتى لا تتأخر على الطابور الصباحي، فوقف على الباب مودعًا إياها وقد كانت عيونه تشع فرحة، نظر إليها طويلًا ثم قال بحب:

- مش عاوزك تقلقي من أي حاجة، بإذن الله هقبض خلال كام يوم، اسألي على دكتورة كويسة وأول ما المرتب ييجي هنروح لها علطول علشان نتطمن عليكِ.

أومأت برأسها بابتسامة مطمئنة ثم ودعته وأغلقت الباب.



كانت تراقب عقارب الساعة وتشعر وكأنها تدق فوق رأسها، شعور مزيج من الحماس والتوتر ينتابها، دارت عدة مرات في البيت ثم همست لنفسها أخيرًا باطمئنان: كل شيء جاهز. جلست على أحد المقاعد وظلت تراقب عقارب الساعة حتى سمعت طرقاته على باب المنزل، نبض قلبها بفرحة، هرولت نحو المرآة وعدلت من هندامها ثم فتحت الباب ووقفت خلفه، دخل زوجها وألقى التحية، ثم ضحك عندما رأى هيأتها، فقد كانت ترتدي تنورة سوداء يعلوها قميص أبيض، وقد لفت حول عنقها إحدى رابطات عنقه التي حملت اللون الأزرق، ثم رفعت شعرها لأعلى ووضعت القليل من مساحيق التجميل، ابتسمت إليه وقالت بشيء من الجدية:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أهلًا بحضرتك يا فندم في مطعم الأكلة السعيدة.

تناولت وردة حمراء من على الطاولة، أعطته إياها وتمتمت:

- حضرتك أول مرة تشرفنا، مش كده؟

- مش عارف، تقريبًا!

ابتسمت المرأة وأشارت إليه أن يجلس على رأس الطاولة، وقالت:

- احنا لسه فاتحين المطعم جديد، ونتمنى إن الخدمة تعجب حضرتك وتكرر الزيارة مرة تانية.

- إن شاء الله.

تمتم بها مبتسمًا وقد أعجبته اللعبة، فتناولت المرأة قائمة الطعام التي قد أعدتها مسبقًا، قدمتها إليه وقالت:

- دي الوجبات اللي بنقدمها حاليًا، يا رب تنال إعجاب حضرتك.

أمسك فاروق بقائمة الطعام التي تكونت من وجهين زينتهما زوجته بشكل مميز، قلبها بين يديه بحماس ثم فتحها وبدأ يقرأ ما فيها بعينيه:

(الوجبة العائلية)

خروف مشوي على الفحم، أرز، سلطة، طحينة

السعر: عشرة آلاف جنيه.

(الوجبة السوبر)

طبق محشي كرنب مميز، فراخ مشوية، شوربة، سلطة، صنفان من الحلويات

السعر: بعشرة جنيه لب وسوداني من عند أبو محمد.

(الوجبة العادية)

صينية بطاطس بالفراخ، أرز، سلطة، شوربة

السعر: رحلة إلى إحدى الدول الأوروبية لمدة عشر أيام.

(وجبة الدايت)

كوب زبادي، ثمرة فاكهة، كوب ماء

السعر: مئة دولار

كانت تتابع تعبيرات وجهه طوال الوقت وتستمع إلى ضحكاته الخفيفة التي أصدرها أثناء القراءة، أغلق فاروق قائمة الطعام وقال ضاحكًا:

- الأسعار بتاعتكم رهيبة.

حاولت كتم ضحكاتها وقالت بجدية مصطنعة:

- حاولنا بقدر الإمكان إنها تكون في متناول الجميع، المهم حضرتك قررت هتاكل إيه؟

قال بشك:

- يعني أنتِ مش عارفة؟

لوت شفتيها لأسفل ورفعت كتفيها لأعلى وقالت ببراءة:

- وأنا هعرف منين يا فندم، كل واحد من حقه يختار الحاجة اللي بيحبها.
- قصدك كل واحد من حقه يختار الحاجة اللي هيعرف يدفع تمنها، هاتيلنا المحشي يا بنتي علشان أنا ميت من الجوع.
- حاضر يا فندم، لحظة واحدة.

قالتها وهرولت إلى المطبخ، أطلقت كل الضحكات التي كانت تكتمها خلال الدقائق السابقة، سمعت صوتًا آتيًا من الخارج يقول:

- سمعتك على فكرة!

فوضعت يدها على فمها ووأدت ضحكتها التالية بداخله، ثم بدأت بوضع الطعام في صمت، انتهت من ترتيب المائدة ووقفت على مقربة من زوجها وقالت:

- لو حضرتك احتجت أي حاجة أنا موجودة.
- بصراحة عندي طلب كده، بس مش عارف هينفع ولا لأ.
- لو أقدر عليه هعمله أكيد يا فندم.

قال بطفولية:

- بصراحة أنا مش بحب آكل لوحدي، ممكن تقعدي تاكلي معايا؟

تصنعت الحرج وهي تومئ برأسها، جلست على يمينه بهدوء وبدأت تتناول الطعام بخفة، نظر إليها فاروق ممتنًا وقال:

- مبدئيًا أنا حبيت الفكرة جدًا، بس ممكن تقوليلي إيه سبب التغيير المفاجئ ده؟

- تغيير إيه يا فندم؟!

صفق فاروق بيده مرتين، ثم قال بمرح:

- ارجع لأصلك يا مارد!

ابتسمت نهى وقالت بصدق:

- لما اتجوزنا يا فاروق أنا كنت ناوية أعمل كل اللي أقدر عليه علشان أخليك أسعد إنسان في الدنيا، كنت بتمنى أشوفك بتضحك طول الوقت، وكنت بسعى لكده بكل قوتي، كمان كنت بتمنى ربنا يرزقني بطفل منك.

تنهدت تنهيدة خفيفة وتابعت:

- لما الحَمل اتأخر بدأت أقلق، وغصب عني نفسيتي اتأثرت بسبب الموضوع ده وكنت بعيط كل شوية، كمان الناس كانوا كل ما يشوفوني يسألوني فيه بيبي جايٍ في السكة ولا لأ، ولما أقولهم لأ يبصولي بنظرة شفقة، أحيانًا كمان كنت بعرف إن واحدة قريبتي أو صاحبتي حامل ومخبية عليَّ، الموضوع ده كان بيتعبني جدًا، كل ده خلاني مش بفكر طول الوقت إلا في الخلفة، ضيعت أول سنة من جوازنا في النكد، تعبتك معايا كتير وأنت كنت بتصبر وتستحمل وتعمل معايا اللي مفيش حد بيعمله مع مراته.

نظرت إليه بتحدٍ وقالت:

- بس خلاص يا فاروق، كفاية الوقت اللي ضاع، أنا فكرت كتير الفترة اللي فاتت وقررت أستمتع بحياتي معاك ومش هسمح إن لحظة تانية تضيع مني بعد كده، والحمل بيجي وقت ما بيجي، علشان وقتها لما تلاقيني مشغولة بالبيبي تفتكر رصيدي عندك من المواقف الحلوة.

أمسكت يديه مبتسمة وقالت بحب:

- كمان يا فاروق أنت متستاهلش مني اللي كنت بعمله ده أبدًا، أنت تستاهل كل حاجة حلوة في الدنيا.

قبض على كفها بيده الأخرى وقال بأمل:

- يااه يا نهى، متعرفيش أنا كنت مستني اللحظة دي قد إيه، الحمد لله إنك رجعتي من تاني.

نظرت إليه نادمة وقالت بصدق:

- بإذن الله الفترة الجاية هعوضك عن كل اللي فات.
- وأنا مستني.

قالها بحماس، ثم تابع تناول طعامه معها وفي قلب كل منهما الكثير من الحب والأمل.



في الفترة الأخيرة شكت لزوجها عدة مرات من أنها تعاني من بعض الاضطرابات في معدتها، شعور بالخمول والإرهاق ينتابها، إحساس بالغثيان ورغبة في التقيؤ مستمرة، طلب زوجها منها أكثر من مرة أن تذهب معه للطبيب ليطمئن عليها فكانت ترفض متعللة بأنها لا تحب زيارة الأطباء، ولكنها لما لاحظت استمرار تلك الأعراض استسلمت ووافقت

أخيرًا على الذهاب معه، قال زوجها للطبيب بأنها تعاني من بعض آلام المعدة، ومن الممكن أن يرجع ذلك إلى تناولهما أطعمة من خارج المنزل في الكثير من الأحيان، إذ ربما تناولت زوجته شيئًا فاسدًا فسبب لها هذا الألم، نظر إليه الطبيب متفهمًا وأخبره بأنه سيقوم بإجراء بعض الفحوصات، بعد دقائق قليلة عاد إليه وقد أنار وجهه مستبشرًا، وقال متهللًا:

- مبروك، المدام حامل.

شهقت بخوف تلك التي كانت خلف الستار تعدل من هندامها، بينما نظر كريم للطبيب بذهول وقال بصدمة:

- حامل ازاي! دي بتاخد مانع للحمل!

شبك الطبيب أصابعه، وضع كفيه على الطاولة، وقال باتزان:

- إرادة ربنا فوق كل شيء.

عادت فاطمة وقد حمل وجهها كل ألوان القلق والتوتر، جلست في مقابل زوجها ونكست رأسها، نظر إليها كريم نظرة أخافتها وسأل:

- أنتِ مش كنتِ بتاخدي الحبوب بانتظام؟
- تقريبًا.

نظر إليها بغضب تأجج بصدره وصرخ:

- يعني إيه تقريبًا، بقولك كنتِ بتاخديها بانتظام ولا لأ؟

انكمشت في مقعدها وقالت بتلعثم:

- كنت بنساها في بعض الأحيان، بس مش كتير.

أبصرت للمرة الأولى الشرر بعينه، فاجتاحتها رعشة شديدة، بينما قال كريم بتوعد:

- بتنسيها؟ ااااه طيب أنا هوريكِ ازاي تبقي تنسيها بعد كده.

نظر إليه الطبيب بضيق وقال بجدية:

- من فضلك الحالة النفسية الجيدة مهمة جدًا للمرأة الحامل، يا ريت حضرتك تراعي النقطة دي وتتقبل الأمر الواقع.

كان سيصب غضبه الهادر على الطبيب ولكنه تراجع في آخر لحظة، نهض من مكانه وفتح باب الغرفة وخرج، حوّلت فاطمة نظرها بين الباب المفتوح وبين الطبيب وهي لا تدري ما يجب عليها فعله، ابتسم الطبيب ليطمئنها وطلب منها أن تذهب في أسرع وقت لأحد أطباء النساء والتوليد لتتابع حملها، أومأت إليه بتفهم ثم هبطت الدرج بسرعة وسارت حتى وصلت إلى عربة زوجها، وجدته يكور كفه ويضرب به على نافذة السيارة عدة مرات، أمسكت بالمقبض وفتحت باب العربة وهمت أن تجلس قبل أن تجده يصرخ بها ويقول وهو يشير بسبابته:

- متقعديش جنبي، ارجعي ورا.

شعرت بالحرج، أغلقت الباب مرة أخرى، عادت للخلف وجلست في هدوء، أطبق عليهما الصمت طوال الطريق إلا من بعض السباب الذي ألقاه زوجها على مسامع بعض الذين كانوا يعترضون طريقه أثناء القيادة، كان قلبها ينبض خوفًا وفزعًا، هذه هي المرة الأولى التي تراه فيها على هذا الحال، ويبدو أنها لن تكون الأخيرة.

دخلا المنزل معًا، أغلق زوجها الباب، نظر في عينيها وقال بحزم:

- الطفل ده لازم ينزل في أسرع وقت.

شهقت بصدمة وصرخت:

- طفل إيه اللي ينزل يا كريم!

تابع وكأنه لم يسمعها:

- وأي فلوس هتحتاجيها هتلاقيها عندك.

كانت نظراته مرعبة، شعرت بضعف وخوف رهيب، قالت مستعطفة إياه:

- كريم يا حبيبي، ممكن تهدى شوية وبعدين نكمل كلام؟

قال وهو يجز على أسنانه:

- مش كريم اللي يتحط قدام الأمر الواقع يا فاطمة.

- الحمل حصل غصب عني يا كريم.

- الحمل حصل بمزاجك، وكنتِ مبتاخديش الحبوب بردو بمزاجك.

قالها بتأكيد، فقالت مدافعة عن نفسها:

- أنا مش إنسانة كذابة يا كريم!

ضحك ساخرًا وقال:

- نكتة الموسم دي ولا إيه! ده أنا شوفت منك كمية كذب على أهلك عمري ما شوفتها في حياتي، ولا نسيتي خروجاتنا وسفرنا من وراهم!

قالت بانهيار:

- أنا عملت كل ده علشان بحبك.

زفر بملل وقال منهيًا الحديث:

- خلاصة الكلام: اللي قولته هيتنفذ يا فاطمة!

ألقى بكلمته ثم ذهب لغرفة نومه وصفق الباب خلفه بعنف، دارت فاطمة بعينيها كالتائهة وقد ظللت ملامحها سحائب الهموم، ثم ألقت بجسدها المنهك على الأريكة وبدأت تبكي!



فتحت الباب بفرحة بعدما سمعت طرقاته المميزة، وقف أمامها مبتسمًا وقد حمل بين يديه باقة تحتضن ثلاث وردات وقطعة من الشيكولاتة وبعض البالونات، قدمها إليها فتناولتها ببهجة طفولية وبدأت تشم رائحة الأزهار وهي مغمضة العينين، شكرته بحب وأفسحت له المجال ليدخل، نزع حذاءه وجلس على أحد المقاعد، قال بسرور:

- قبضت أخيرًا.

غمزت إليه وقالت وهي تحرك رأسها:

- عرفت من الهدية.

كانت قد تعودت منه أن يحضر لها هدية بسيطة في كل شهر بمناسبة الحصول على راتبه، رغم أن الهدية لم تكلفه الكثير من المال إلا أنه يكن لها بالغ الأثر الطيب على نفسها، أسرعت بوضع الطعام لأنها تعلم مدى جوعه، وبعدها جلسا سويًا لتقسيم الراتب، أخرج إسلام مبلغًا لإيجار الشقة والكهرباء والمياه والإنترنت وضعه جانبًا، ثم أمسك بيد سلمى ووضع فيها مبلغًا آخر وقال بحنان:

- ودي فلوس الدكتورة بتاعتك.

بدأ يعد ما تبقى وأخرج منه مبلغًا صغيرًا وهمس:

- ودي فلوس الصدقة.

- صدقة!

قالتها سلمى بذهول ممزوج بالفرحة، فأردف إسلام:

- من ساعة ما عرفت إنك حامل قررت إني بإذن اللّٰه هخرج خمسة في المية من مرتبي كل شهر للصدقة، أنا عارف إن مرتبي مش كبير، بس النبي عليه الصلاة والسلام قال: «ما نقص مال من صدقة» وأنا متأكد إن ربنا هيباركلنا في الباقي.

أمسك بالمبلغ الأخير وقسمه على أربعة، ثم وضع كل جزء في مظروف وأغلقه، وضعهم في يد سلمى وقال:

- ودي كده فلوس كل أسبوع، أول ظرف هنفتحه بعد بكره بإذن اللّٰه، وشيلي الباقي للأسابيع الجاية.

تناولت سلمى الأظرف منه بصمت، فنظر لها إسلام وسأل:

- بتفكري في إيه؟
- أنا مستغربة!
- من إيه؟

تذكرت ما حدث قبل أيام وقد دمعت عيناها وتمتمت:

- من كام يوم عرفت إن صاحبتي في المدرسة وقع على بنتها شوربة مغلية، البنت لسه عندها سنتين وللأسف أصابتها حروق صعبة جدًا، صاحبتي جات المدرسة النهارده بعد غياب خمسة أيام ووريتني صور البنت.

سقطت دمعة حارة من عينها وتابعت:

- أنا اتقهرت بمعنى الكلمة يا إسلام لما شوفت الصور، تخيلت لوهلة إن الطفل اللي في بطني ده هو اللي حصل فيه كده، فمقدرتش أستحمل مجرد الفكرة، علشان كده قررت أتبرع

لها بمرتبي كله الشهر ده، وهكلم بابا كمان جايز يقدر يساعد لأنها محتاجة مبلغ مش قليل لعلاج البنت.

صمتت لالتقاط أنفاسها وتابعت:

- كمان قررت إني هعمل نسبة من مرتبي للصدقة كل شهر بإذن الله؛ لأني حاسة بندم رهيب على كل السنين اللي ضاعت مني بدون ما أطلع عشرة جنيه حتى للصدقة، مع إني كنت بجيب شيكولاتة ومشروبات ساقعة وشيبسي بعشرات الجنيهات، ربنا يعفو عني.

وأخيرًا كفكفت دموعها، ابتسمت إليه وقالت:

- اللي أنا مستغرباله هو إننا قررنا نفس القرار في نفس الوقت، أنت فعلًا نصفي الثاني.

- الحمد لله، ده من فضل ربنا يا سلمى، المهم دلوقتي إني عرفت فلوس الصدقة الشهر ده هتروح فين.

قالها وغمز، ثم تابع باهتمام:

- وابقي طمنيني على البنت، ربنا يتم شفاها على خير.

صمتت هنيهة ثم سألت بصدق:

- هو أنت بجد مش معترض على موضوع إني أتبرع بمرتبي كله ده؟

قال بتعجب:

- وهعترض ليه! بالعكس.

- علشان يعني لو البيت احتاج حاجة ولا كده.

قالتها بحرج، فابتسم إسلام ليرفع عنها حرجها وقال:

- أنا قولتهالك قبل كده وهقولهالك تاني، مرتبك ملكك ولكي كامل حرية التصرف فيه، أنتِ مسئولة مني سواء بتشتغلي أو لأ، فأنا كده كده عامل حسابي أمشي البيت على قد مرتبي، وكنت معرفك من الأول مستوايا المادي علشان كده وأنتِ وافقتي، فأنتِ مش مطلوب منك غير إنك تصبري معايا لحد ما ربنا يرزقنا بالخير الواسع.

لمعت عيناها بفخر وقالت:

- أنت إنسان خلوق وابن أصول يا إسلام، ربنا يكثر من أمثالك.



انقشع الليل وطفقت الشمس تضيء الكون بأنوارها، فتحت فاطمة أبواب عينيها بهدوء، تأوهت حينما شعرت بألم في عنقها وظهرها من أثر النوم جالسة على الأريكة، نظرت في ساعة الحائط وفزعت عندما أدركت اقتراب موعد عمل زوجها، هرولت إلى المطبخ وأعدت فطورًا سريعًا ثم ذهبت لتوقظ زوجها الذي أدركت للتو بأنه غير موجود، تناولت هاتفها واتصلت عليه فلم يرد، ألقت الهاتف غاضبة ثم جلست تفكر فيما حدث بالأمس، كانت تتمنى أن يرزقها الله بطفل منه لا تنكر ذلك، ولكنها لم تتوقع أن تتحقق أمنتيها بهذه السرعة، لا تريد خسارة كريم مهما كان السبب، فهي لن تسمح لصديقاتها بالشماتة فيها، ولن تسمح لبنات عائلتها الحقودات بالضحك عليها من خلف ظهرها، ماذا عساها أن تفعل! في لحظة ما قالت لنفسها بأن الطفل يمكن تعويضه، أما كريم فلا، ووقفت على حافة الفراش وألقت بنفسها أرضًا بعنف في محاولة منها للإجهاض، تأوهت وتألمت، ولكنها أسندت بيديها على الكومود بإصرار ووقفت، صعدت على الفراش وكررت نفس العملية، كانت هذه المرة مؤلمة أكثر من التي سبقتها، وللمرة الثانية أسندت بيديها على الكومود ووقفت

وصعدت إلى فراشها، وقفت على حافة الفراش، وضعت يدها على موضع حملها معتذرة، دمعت عيناها ولم تتحمل فجلست مكانها وبدأت تنتحب، شعرت بقلبها وكأنه يحترق ويعتصر ألمًا، ظلت تبكي قرابة النصف ساعة ثم تمالكت نفسها وكفكفت دمعها، وقررت ألا تتنازل عن جنينها الذي يحمل اسم كريم مهما حدث، أما عن كريم فستحاول معه بشتى الطرق حتى يتقبل وجود ذلك الجنين.

في الساعات التالية أعدت غداءً مميزًا وانتظرت زوجها فلم يأت، اتصلت عليه عدة مرات فلم يرد، وفي نهاية المطاف أغلق هاتفه بالكلية، وقفت في الشرفة وظلت تنتظره حتى أرخى الليل سدوله، فعادت بيأس إلى الداخل وأسندت ظهرها المنهك على الفراش، استمرت في الانتظار حتى سمعت صوت مفتاحه يتحرك في الرتاج فقفزت من مكانها وهرولت إليه، قالت بلوم:

- كنت فين ده كله يا كريم؟ أنا قلقت عليك جدًا.

نظر إليها بجدية وسأل متجاهلًا كلماتها:

- فكرتي في اللي قولتلك عليه؟

أومأت برأسها بتردد، فسأل:

- وقرارك؟

- أنا حاولت أنزله بس مقدرتش أكمل.

- روحي لدكتور يساعدك تنزليه.

صمتت للحظات ثم استجمعت شجاعتها، نظرت في عينيه وقالت بإصرار:

- لأ، أنا قررت إني مش هقتل البيبي يا كريم.

صفق بيديه عدة مرات ثم قال بنبرة أخافتها:

- برافو برافو، اتعلمتي تقولي لأ كمان، ولمين؟ لكريم البحيري.

- يا كريم أنا...

قاطعها بإشارة من يده، نظر إليها بجمود وقال ببرود:

- عامة زي ما تحبي، بس أنا مش مسئول عن أي حاجة ليها علاقة بالطفل ده، وافتكري إن أنتِ اللي اختارتي.

- مش مسئول يعني إيه يا كريم؟! هو أنا حملت فيه لوحدي!

- حملتي فيه بإرادتك ومن غير ما تاخدي رأيي، يبقى تتحملي مسئولية قرارك وحدك.

- أنا مكنتش أعرف إني هحمل علشان آخد رأيك!

- أنا سمعتك بنفسي قبل كده وأنت بتقولي لصاحبتك إنك هتدبسيني في عيل علشان معرفش أَهرب منك.

ضحك ساخرًا وقال:

- غبية! ده أنا كده ههرب منك أكثر.

قالت مدافعة عن نفسها:

- أنا كنت بهزر يا كريم، والله العظيم كنت بهزر.

- مش مصدقك، ومش هصدقك مهما قولتي.

قالها وانصرف إلى غرفة نومه، سارت فاطمة خلفه، ولما وضعت قدمها الأولى بداخل الحجرة وكادت تتحدث، قال كريم محذرًا:

- مش عاوز كلمة كمان منك في الموضوع ده، إلا لو غيرتي رأيك.

تنهدت بيأس وقالت باستسلام:

- طيب مش هتتغدى؟ أنا مش راضية آكل من بدري ومستنياك.

- اتغديت برا.

قالها ببرود وألقى بجسده على الفراش، أمسك بهاتفه وبدأ يتصفح الإنترنت، نظرت إليه فاطمة طويلًا، شعرت بالقهر وقد تملك الذل من نفسها، دمعت عيناها فانسحبت من أمامه حتى لا يرى دموعها، جلست على الأريكة المقابلة لطاولة الطعام التي امتلأت بكل ما لذ وطاب، وطال بكاؤها.



- الأخير-

أصبحت تُفضل دومًا الجلوس في الظلام، فهذه الظلمة لن تكون أشد من التي تخيم على قلبها، جلست على فراشها وقد أسندت ظهرها للحائط، ضمت ركبتيها إلى صدرها مُطوّقة إياهما بذراعيها، عادت بذاكرتها إلى الوراء وقد أخذت صورٌ من الماضي تنساب أمام عينيها، تذكرت عندما أخبرها زوجها بأنه غير مسئول عن أي شيء يتعلق بذلك الطفل، ولما طلبت منه بعدها أن يذهب معها للطبيب أو حتى يعطيها بعض المال لتذهب بصحبة والدتها صرخ فيها بعنف واتهمها بالغباء، حينها استعانت ببعض النقود التي كانت تحتفظ بها وذهبت إلى الطبيب الذي أمرها بالراحة التامة جسديًا ونفسيًا، تذكرت معاملة زوجها الجافة طوال الفترة الماضية وأوامره الصارمة ومطالبه التي لا تنتهي، شعرت أنها أشبه بخادمة لا بزوجة، تذكرت تلك المرة التي أمسكت فيها بهاتفه ووجدته يتحدث مع طالباته بكلمات غير لائقة، كلمات تشبه كثيرًا تلك التي كان يلقيها على مسامعها في بداية تعارفهما، ولما ثارت وغضبت وصرخت في وجهه أخبرها بكل برود بأن هذا طبعه ولن يغيره، ساءت حالتها النفسية كثيرًا، والبدنية أيضًا، شحب وجهها وتربعت تحت عينيها الهالات السوداء، زاد وزنها بشكل ملحوظ وضعفت حركتها، أصبحت كئيبة وصامتة تعاني وحدها، تكذب على أمها كثيرًا وتخبرها بأنها في أفضل حال؛ فوالدتها مريضة ولن تتحمل أي أخبار سيئة، الشيء الوحيد الذي يهون عليها تلك الحياة، الشيء الوحيد الذي يرسم على

وجهها الابتسامة كل يوم هو تلك الحركة الخفيفة لطفلتها التي تشعر بها بداخلها، تأتي إليها وكأنها شعاع أمل يمسح على قلبها، نهضت من مكانها بابتسامة منكسرة وفتحت الخزانة، أخرجت منها قطعة وحيدة من الملابس قد اشترتها لصغيرتها واحتضنتها، تمنت لو كان بإمكانها شراء المزيد، ولكن نقودها قاربت على النفاد، سمعت صوت مفتاح زوجها يتحرك في الرتاج، أصبحت تكره ذلك الصوت، أعادت قطعة الملابس للخزانة وعادت لتجلس على الفراش، دخل زوجها الغرفة وأضاء المصباح وقال بضجر:

- إيه الكآبة اللي أنتِ قاعدة فيها دي!

نظرت إليه ولم ترد، فسأل:

- جهزتي الطقم اللي هروح بيه الفرح؟

نهضت من مكانها، فتحت الخزانة وأخرجت منها ملابسه، وضعتها على الفراش وجلست إلى جوارها، تناول كريم القميص وبدأ يرتديه، قالت فاطمة بملل:

- أنا مخنوقة جدًا، ينفع آجي معاك الفرح؟

رماها بنظرة مستهزئة، وقال وهو يشير بسبابته من الأعلى للأسفل أكثر من مرة:

- بمنظرك ده!

ابتلعت إهانته وقالت تتصنع عدم الفهم:

- أكيد مش هروح بلبس البيت يعني!

أمسكها من ذراعها ووقف بها أمام المرآة، وقال بحدة:

- شوفي وشك وجسمك بقوا عاملين ازاي! مستحيل أخلي الناس يشوفوكِ ماشية جنبي وأنتِ بالشكل ده.

التفتت إليه وقد احتقن وجهها من الغضب سائلة بحدة:

- ويا ترى مين اللي هتبقى ماشية جنبك النهارده يا دكتور كريم؟

بدأ يصفف شعره وهو يقول ببرود:

- دي حاجة متخصكيش.

لم تعد تحتمل، ثارت وصرخت وبدأت تقذفه بكل القهر الذي تحمله في قلبها طوال الفترة الماضية، تسارعت أنفاسها وأخذت تنتحب بشدة وهي تشكو منه إليه، انهمرت دموعها وأغرقت ملابسها، ظلت تبكي وتصرخ حتى جف دمعها وضعف صوتها، جلست أرضًا وحاولت التقاط أنفاسها الهاربة، نظر إليها كريم وتمتم:

- كل ده بسببك يا فاطمة، أنتِ اللي وصلتينا للحال ده.

قالها ولم يزد، ارتدى معطفه، وضع بعضًا من عطره، وهم بالخروج قبل أن تمسك بيده وتصيح فيه بغضب:

- أنا السبب أنا السبب، طول الوقت أنا السبب، خلاص أنا هسيبلك البيت كله وأريحك مني طالما تعباك أوي كده.

ذلك التهديد الذي رددته عشرات بل ربما مئات المرات، ولم تجرؤ لمرة واحدة على التنفيذ، سحب يده من بين كفيها ولم يُعقّب، خرج من البيت في هدوء، وبعد ساعة خرجت غاضبة من غرفتها بخطوات وئيدة مهزومة تجر حقيبة ملابسها خلفها، أخذت تتأمل كل ركن في البيت وقلبها يحترق، وأخيرًا رحلت بعدما استوطن اليأس فؤادها.



صلاة الفجر لو نعرف قيمتها في يوم نصلي جماعة ننسى النوم

وما نفرطش فيها في يوم مدام عايشيين

نقوم من بدري نتصاحب على القرآن نصلي ركعتين بإيمان

قيمتها كبيرة في الميزان في يوم الديين

الله يهديكم صلوا وصوموا وقيموا لياليكم

ده اللي هينفع ويعود ليكم الله يهديكم

الله يكفيكم شر بلاء الدنيا عليكم

على أعمال الخير يجازيكم ويبارك فيكم(1)

أمسك بهاتفه وأطفأ المنبه ثم سار بنعاس نحو دورة المياه، توضأ وصلى ركعتين قيام ليل أتبعهما بركعة وتر ثم جلس يقرأ القرآن حتى سمع أذان الفجر، أغلق مصحفه وذهب إلى زوجته ليوقظها، أمسك بذراعها وبدأ يحركه ففتحت عينيها بهدوء، همس مبتسمًا:

- أنا نازل المسجد يا حبيبتي، قومي يلا علشان تصلي.

وضعت يدها على رأسها وقالت بإعياء:

- دماغي وجعاني أوي يا إسلام.

وضع يده على جبهتها يتحسسها فشعر وكأن تحت يده ألسنة من اللهب، قال بخوف:

- حرارتك مرتفعة جامد يا سلمى.

نظرت إليه بضعف وهي تمسك برأسها، ربت على كفها بحنان ثم هرول باتجاه المطبخ، سمع إقامة الصلاة فعاد إليها قائلًا:

---

(١) إنشاد: عمرو الديب.

- خمس دقايق بس هروح أصلي وأجيلك علطول بإذن اللّه.

أومأت برأسها وأغمضت عينيها بتعب، أدى إسلام صلاته وعاد مسرعًا، دخل إلى المطبخ وأحضر صحنًا مملوءًا بالماء البارد وقطعة من القماش وعاد إليها، بدأ يضع القماشة المُبتّلة بالماء على جبهتها وأماكن أخرى متفرقة من جسدها حتى سكنت ونامت، ظل جالسًا إلى جوارها يدعو اللّه أن يشفيها ويردد بعض آيات القرآن حتى اقترب شروق الشمس، فبدأ يهزها بهدوء وهو يهمس:

- حبيبتي حاولي تقومي تصلي، الشمس قربت تطلع.

فتحت عينيها بضعف وهمست:

- حاضر.

ساعدها على النهوض وأسندها حتى وصلت لدورة المياه، توضأت وعاد بها إلى الغرفة، وضع سجادة الصلاة أرضًا وانتظرها حتى أدت صلاتها ثم أخذها إلى فراشها مرة أخرى، وضع يده على رأسها ليطمئن فوجد حرارتها ما زالت مرتفعة، تناول الصحن واستبدل المياه التي تحويه وأحضر قماشة أخرى وبدأ يكرر ما فعله سابقًا حتى تهدأ حرارتها، فسكنت ونامت ونام هو الآخر.

في السابعة صباحًا رن منبه هاتفها فأطفأته بهدوء وبدأت توقظ إسلام ليذهب إلى عمله، سألها عن حالها فقالت:

- أحسن الحمد للّه.

وضع يده على جبهتها فوجد حرارتها انخفضت بعض الشيء، ولكنها لم تهدأ تمامًا فسأل:

- هتروحي المدرسة النهارده؟

أومأت برأسها نفيًا وهمست:

- مش قادرة خالص للأسف.

قال بطفولية:

- خلاص هقعد معاكِ.

ربتت على كفه وقالت مبتسمة:

- روح شغلك يا إسلام ومتقلقش عليَّ، أنا هبقى كويسة بإذن اللّٰه.

- أخاف تتعبي وأنتِ لوحدك.

- ممكن أتصل بماما تيجي تقعد معايا.

- أنتِ أمانة عندي يا سلمى، مينفعش ابقى معاكِ طول ما أنتِ سليَمة وأول ما تتعبي أقولهم تعالوا خدوا بالكم من بنتكم!

صمت هنيهة ثم تابع:

- بستغرب جدًا الزوج اللي أول ما مراته تتعب يخليها تروح عند أهلها، وأول ما تخف ياخدها تاني! حقيقي بلاقي ناس كتير بيعملوا الحوار ده ومش لاقي تفسير منطقي لكده!

- ممكن يكون مش هيعرف يعتني بيها كويس وقت مرضها.

- جايز، بس أعتقد بردو وجوده جنبها في الوقت ده هيفرق معاها نفسيًا كتير.

ثم غمز إليها وقال:

- صح ولا إيه؟

أومأت برأسها وقد غمرها الحب وهمست:

- صح الصح كمان.

ثم قالت بقلق:

- بس أنا خايفة تحصل مشكلة معاك بسبب الغياب.

- متقلقيش، أنا عندي إجازات لسه.

قالت ضاحكة:

- يا بني اسمع كلامي، كده هيتضايقوا ويرفدوك ونقعد في الشارع.

- قصدك هيرقوك.

قالت بشك:

- أنا مش عاوزاك تتعشم في موضوع الترقية ده يا إسلام علشان ميحصلش زي المرتين اللي فاتوا.

رفع رأسه عاليًا وقال بثقة:

- المرة دي الموضوع مختلف، المدير بنفسه هو اللي مأكدلي إني هترقى، وكلها أيام وتشوف بنفسك.

- يا رب يا إسلام، يا رب.



مضى شهرٌ كامل ولم ترَ وجهه مرة واحدة! شعرت بالحنين إليه، رغم قسوته وغلظته في كثير من الأحيان إلا أنها ما زالت تحبه وتود العيش بقربه، كان والده وزوجته يتصلان بها من وقت لآخر ليطمئنّا عليها، لم تخبرهما أن نقودها نفدت وأنها لن تستطيع الذهاب للطبيب هذا الشهر، أخبرتهما أنها تعيش في أفضل حال بصحبة والدتها ولا تحتاج لأي شيء، لم تكن والدتها تعرف أي شيء بأمر خلافها مع كريم، فقد أخبرتها فاطمة

بأنه مشغول بعمله كثيرًا هذه الأيام ولن يستطيع الاعتناء بها، وهي تخاف أن تسوء حالتها وهي وحدها بالمنزل، لذلك طلبت منها أن تأتي إليها حتى ينهي الأعمال الهامة التي بين يديه وصدقتها والدتها، كانت تهبط من المنزل يوميًا وتخبر أمها بأنها ذاهبة لتناول الغداء معه في أحد المطاعم وتظل تتجول في الشوارع قرابة الأربع ساعات، ثم تعود منهكة وتنتظرها حتى تنام وتذهب خلسة إلى الثلاجة لتسكن أنين معدتها التي تزأر بالجوع، أرادت البوح، أرادت أن تختبئ في حضنها وتصرخ وتقص عليها كل شيء، ولكنها كانت تتراجع في كل مرة خوفًا على قلبها الحنون، فتلك العجوز تتمنى دائمًا أن تراها سعيدة، لذلك كانت تساعدها على الخروج مع كريم في كل مرة من دون علم أخويها، وصلت إلى شهرها السادس من الحمل، زحفت أعراض الحمل وطغت عليها بضراوة، كل شهر يمر عليها يزداد ضعفها وحزنها أيضًا، طلب منها الطبيب مرارًا بعض التحاليل والأدوية فلم تهتم، أبت نفسها أن تطلب المال من كريم، وأبت أكثر أن تطلب من والدتها التي تعلم يقينًا أن زوجها يُغرقها بالأموال، كانت تتعمد الدخول إلى الطبيب وحدها وتترك والدتها بالخارج متعللة بأي شيء حتى لا يُكشف أمرها، ظنت أن التحاليل والأدوية ليس لها أهمية كبيرة؛ فالنساء الفقيرات يحملن ويلدن دون أية أدوية أو تحاليل، جلست تعبث بهاتفها وتشاهد صورها المتفرقة مع كريم، تذكرت كم كانت سعيدة معه وأتى ذلك الجنين ليفسد عليها فرحتها، أحست به يتحرك بداخلها وكأنه يلومها، فاعتذرت إليه وعاودت مشاهدة الصور حتى أتاها اتصال من والد زوجها، اطمئن عليها وأخبرها أن كريم سقط من على الدرج منذ يومين وكُسرت ساقه، شهقت بخوف وسألته عن حاله فأجاب:

- أنا عاوزك تيجي تشوفيه بنفسك.

- آجي! بعد ما سابني الفترة دي كلها يا عمو!

- أنا عارف إنه غلطان ويستاهل كسر رقبته، وإني مهما قولتله بردو مش بيسمع الكلام، بس جربي أنتِ المرة دي يا بنتي، ودي أول وآخر مرة هطلب منك الطلب ده.

كانت تحترمه، وشعرت بالخوف على كريم أيضًا، فقررت وضع الخلافات جانبًا والذهاب إليه لتطمئن على حاله وليحدث بعدها ما يحدث.

طرقت الباب بتوتر، ففتح حماها متهللاً، حياها بشدة، أتت زوجته وضمتها إليها بفرحة، أمسكت بيدها وهمت بالصعود معها، فجذبها زوجها من يدها الأخرى ونظر إليها نظرةً ذات معنى، فتراجعت وأفسحت المجال لفاطمة لتصعد وحدها، بدأت تصعد درجات السلم وفي كل خطوة تزداد ضربات قلبها، وقفت أمام باب شقتها وأخذت نفسًا عميقًا، عادت للوراء ثلاث خطوات وكادت تتراجع، ولكنها حسمت أمرها في النهاية وأدارت المفتاح بداخل القفل وولجت، كان المنزل هادئًا ومعتمًا إلا من بصيص نور قد تسرب من إحدى الغرف، كل النوافذ مغلقة وكأنها جُفون مُسدلة، اقتربت من الغرفة المضاءة فوجدتها تعبق برائحة مكتومة، شعرت بنبضاتها متسارعة، أغمضت عينيها وتنفست أكثر من مرة ثم دخلت الغرفة ووقفت على بابها، رأته جالسًا على الفراش واضعًا الحاسوب أمامه وإلى جواره وقفت عصا طويلة يبدو أنه يحتاجها للاتكاء عليها، نظر إليها طويلاً، فتوترت وقالت بتلعثم:

- ازيك يا كريم؟

- كنت عارف إنك هتيجي.

قالها مبتسمًا، فهمست:

- كان لازم أشوفك وأطمن عليك.

- أنا بخير.

- الحمد للّٰه.

قالتها وصمتت وبدأت تعبث بحقيبتها، ثم التفتت إليه وسألت:

- الدكتور قالك هتفك الجبس امتى؟

- بعد شهر أو شهر ونصف كده.

أومأت برأسها بتفهم وأردفت:

- هبقى آجى أتطمن عليك قبلها بردو.

نظرت إليه بأعين دامعة ثم دارت على أعقابها لتنصرف، مشت خطوتين قبل أن تسمعه يقول:

- استني يا فاطمة.

عادت إلى حيث كانت، نظرت إليه باستفهام، فسأل:

- كنتِ عاملة إيه الفترة اللي فاتت؟

تردد قليلًا، ثم سأل:

- والبيبي؟

ضحكت ساخرة وقالت:

- البيبي! تقريبًا دي أول مرة تسأل عنه!

تجاهل سخريتها الواضحة وسأل:

- عرفتي ولد ولا بنت؟

- عرفت.

- طلع إيه؟

- بنت.

- وهي كويسة؟

- مش عارفة!

- يعني إيه مش عارفة؟

- متشغلش بالك، مش هتفرق كتير.

أشار لطرف الفراش وقال:

- اقعدي.

تطلعت إليه بكبرياء ولم تتحرك خطوة، فكرر:

- اقعدي يا فاطمة.

استجابت لمطلبه وجلست، تنازل عن بعض غروره وقال:

- بقالي سنين عايش لوحدي وكنت خلاص اتعودت على كده، بس لما جربت أعيش معاكِ وبعدها جربت الوحدة تاني حسيت إن الموضوع صعب، حسيت إن وجودك كان عامل فرق كبير في حياتي حتى واحنا زعلانين من بعض.

- ما هو أنا...

قاطعها بإشارة من يده وتابع:

- أنا أكثر حاجتين بكرههم في حياتي يا فاطمة هم الكذب وأن حد يقولي لأ.

ركز نظراته في عينيها وقال بهدوء:

- وأنتِ جمعتي بين الاتنين في موضوع الحمل ده، علشان كده قررت أعاقبك.

ضربت بقبضتها على الفراش، وزعقت وعينيها تشعان غضبًا:

- قولتلك مكدبتش.

- أيًا كان، اللي حصل حصل، وأنا معنديش طاقة أتكلم في اللي فات.

- أُمال عايز إيه دلوقتي؟

سألت متعجبة، فأجاب:

- البنت دلوقتي بقت أمر واقع في حياتنا، وأنا قررت أتقبله، وهبقى مسئول عن أي مصاريف أو طلبات خاصة بيها، ولكن...

قالها وصمت ليجذب انتباهها، ثم استأنف:

- مش عاوز أي شيء يتغير في حياتي، أنتِ هتكوني مسئولة عنها مسئولية كاملة في أول سنتين، لأني مش هستحمل زن ولا عياط ولا الكلام ده، وطبعًا تاخدي بالك مني ومن البيت زي الأول.

قالت باستنكار:

- وأنا إيه اللي هيخليني أوافق على الكلام ده؟

- علشان احنا اتفقنا إن مفيش أطفال إلا بعد ثلاث سنين، ولو افترضنا إنك كنتِ بتنسي الحبوب غصب عنك زي ما بتقولي يبقى بردو دي غلطتك ولازم تتحملي عواقبها.

نهضت من مكانها وقالت بغضب:

- أنا ماشية يا كريم.

- فكري براحتك وردي عليَّ، وأنا متأكد إنك هتوافقي في النهاية.

ألقى بجملته الأخيرة ولم يزد، فانسحبت من أمامه وقد أُسرِيَ الغضب كالنار في خلاياها، أسرعت نحو الباب، فتحته وخرجت، صفقته خلفها بعنف ثم هبطت الدرج بعصبية واضحة، ورجعت من حيث أتت.



سار حائر الخطى متذبذب الفؤاد، حتى إذا ما وصل إلى الأريكة ارتمى عليها بجسده الذي ينخره الوهن كما ينخر الدود في جثامين الموتى، عاد برأسه إلى ظهر الأريكة، عقد ذراعيه أمام صدره، وبدأ يسترجع تفاصيل الكارثة التي حدثت منذ ساعات قليلة، ضغط على جبهته بإبهامه وسبابته محاولًا تخفيف ألم الصداع الذي يكاد يفتك برأسه، كان يشعر بالانهيار الكامل، ازدحمت رأسه بالأفكار وامتلأت بالهموم، زفر بقوة وكأنه يريد إخراج كل ما هو عالق بصدره من هموم، ونظر لساعة يده متأففًا، بعد نصف ساعة وصلت زوجته لباب الشقة بشق الأنفس، أدخلت المفتاح بالرتاج وصدرها ينهج صعودًا وهبوطًا، أدارته بداخل القفل وولجت، نظرت أمامها فوجدته جالسًا على الأريكة، اتسعت عيناها بفرحة حقيقية وقالت بعدم تصديق:

- إسلام أنت جيت؟

نظر لها باقتضاب وسأل:

- اتأخرتي كده ليه يا سلمى؟

التهبت عيناها بالحماس وقالت بعدما جلست بجواره:

- قعدت مع زميلاتي شوية بعد ما خلصنا حصصنا علشان كنا بنجهز لحفلة الطلاب المتفوقين.

- الأكل بتاع النهارده جاهز؟

قالها بوجه باهت خالٍ من أي تعبير، فزمّت ما بين حاجبيها بتعجب وقالت:

- مالك يا إسلام؟ فيه حاجة مضايقاك؟

- ردي على سؤالي بعد إذنك.

قالت بتردد:

- لسه.

- طيب بسرعة علشان جعان.

تناولت حقيبتها ونهضت، وقبل أن تسير نظرت إليه بفضول وسألت:

- هو أنت اشمعنى جيت بدري النهارده؟

زفر بغضب وقال بعدم تحمل:

- الأكل يا سلمى الأكل، بقولك جعان!

عجيبٌ أمره، ماذا أصابه، ولماذا يتحدث بتلك الحِدة على غير عادته، لوت شفتيها بتعجب ثم بدلت ملابسها مسرعة ودخلت إلى مطبخها لتحضر الطعام، بعد نصف ساعة وجدته يقف على باب المطبخ ويقول:

- أنا نازل أصلي العصر، يا ريت أرجع ألاقي الأكل محطوط.

وقبل أن تنبس ببنت شفة كان قد تركها وغادر، شعرت أنه ربما يعاني من أمر ما فأرادت أن تُدخل السرور على قلبه، صلت وقامت بإخراج بعض الصحون التي لم تستخدمها منذ مدة، غسلتها ووضعتها على الطاولة ثم بدأت تضع فوقها ما أعدته من طعام وتزينه بطريقة مبهجة، عاد إسلام من الخارج، وقف أمام الطاولة ونادى:

- فين باقي الأكل يا سلمى؟

أجابته من المطبخ:

- لسه بعمل أهو.

وصل إليها بسرعة البرق وقال وقد اتقدت النار بعينه وانتفخت أوداجه:

- يعني أنتِ لسه مخلصتيش الأكل وعماله تزيني وتتدلعي بالشكل ده!

اقتربت منه وقالت بضيق:

- فيه إيه يا إسلام! أنا كنت حابة أفرحك!

قال بعصبية:

- وأنا هفرح يعني لما تتأخري ساعة ولا اتنين علشان تزينيلي الطبق!

زفرت بحنق وعادت إلى ما كانت تفعله متمتمة بملل:

- أنا هروح أخلص اللي ورايا علشان مليش مزاج أتخانق دلوقتي يا إسلام.

اقترب منها وقد تطاير الشرر من عينه، أمسك بمعصمها بقوة وزعق:

- أنتِ ازاي تتكلمي معايا بالطريقة دي! وازاي تمشي وأنا بكلمك!

تألمت فأفلتت يدها بعصبية ثم صرخت صرخة اهتزت لها الأركان، نظر إسلام بعينين متسعتين ليدها التي اصطدمت بالإناء الموضوع على النار والذي اكتظ بالزيت المغلي، فتطايرت منه كمية ليست بالقليلة على يدها، وقف مشدوهًا للحظات ثم أمسك بيدها ووضعها تحت الصنبور، كانت سلمى تصرخ وتتألم وقد هبطت عبراتها كالشلال، بعد عدة دقائق

أخرج يدها من أسفل الصنبور ووضع لها مرهمًا للحروق ثم أحضر لها ملابسها على عجل، ساعدها في ارتدائها وهبط بها إلى المشفى.

طوال الطريق كانت صامتة، تسيل دموعها خطوطًا خطوطًا على خديها دون توقف. عز عليها أن تتعرض لهذه المهانة وتصاب بهذا الأذى وهي في شهورها الأخيرة من الحمل، أي أنها في حالة من الضعف الجسدي والنفسي أكثر من أي وقت مضى، نظر إليها ذلك الجالس إلى جوارها في السيارة، خُيل إليه أنه يستمع إلى أنّاتها الضعيفة تصدر من أعماق نفسها فاعتصر قلبه وأخذ يلوم نفسه بشدة على ما حدث.

وصلا إلى منزلهما، نظر إليها متعذرًا، فنظرت إليه بقهر وانسحبت من أمامه، بدلت ملابسها وتكومت في أحد أركان غرفتها تنظر إلى يدها الملفوفة بتلك الشاشة البيضاء وفي عينيها نظرة ألم، اقترب إسلام منها، أمسك بوجهها ورفعه إليه، تمعن في عينيها وهمس:

- أنا آسف.

ضحكت ساخرة وسكتت، تنفس إسلام بقوة وقال:

- أنا كنت...

قاطعته بحِدة:

- إسلام، أنا مش متقبلة منك أي كلام دلوقتي.

تركها بحرج وانسحب من أمامها، جلس على الأريكة بالخارج، طأطأ رأسه وضغط عليها بكفيه بقوة فلم يعد يحتمل الآلام التي ألمت بها، سمع النداء لصلاة العشاء، كان يحتاج بشدة لتلك الصلاة ليرتاح بها، أدى صلاته وجلس مكانه شاردًا بعدما علم أن الإمام سيلقي عليهم خطبة، قال الشيخ:

- إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بعثه الله رحمةً للعالمين هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمّة، فجزاه الله خير ما جزى نبيًا من أنبيائه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى صحابته وآل بيته، وعلى من أحبهم إلى يوم الدين، درسنا اليوم يا إخواني بعنوان (لا تغضب) والدرس ده في غاية الأهمية، بإذن الله هحاول مطولش عليكم بس ركزوا معايا، والأطفال الحلوين اللي معانا كمان يركزوا وبإذن الله هيستفادوا.

نظر إليه إسلام بذهول، شعر أن الله أرسله ليلقي هذه المحاضرة في هذا التوقيت وعن هذا الموضوع خصيصًا من أجله، نظر إليه بانتباه وأنصت إليه تمام الإنصات، قال الشيخ:

- هبدأ الدرس النهارده بموقفين حدثوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بخصوص موضوع الغضب ده.

الأول: عن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه قال: كنت جالسًا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبّان، وأحدهما قد احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد.

والثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: لا تغضب، فردّد، قال: لا تغضب. رواه البخاري.

نظر إليهم الشيخ وقال:

- واخدين بالكم؟ موصاهوش بأي حاجة تانية، ولكن قاله لا تغضب، طيب ليه منغضبش؟

صمت للحظات لجذب انتباههم ثم تابع:

- ببساطة لأن الغضب ده من أقبح الأخلاق السيئة، لأنه بيخرج الإنسان من طبيعته الإنسانية إلى البهيمية، وبيساعده على ارتكاب تصرفات سيئة جدًا زي السب واللعن والشتم والضرب والاعتداء والإتلاف والطلاق، بل ربما والعياذ بالله يلفظ الإنسان بألفاظ توجب الردة، وكمان الغضب له أثاره السيئة جدًا على الفرد والمجتمع لأنه بيفرق بين الأحباب ويشتت أسر كانت مطمئنة.

خفتت نبرة صوته قليلًا وقال بهدوء:

- لو ركزتوا في المواقف اللي بنغضب فيها وحللتوها كويس هتلاقوا معظمها مواقف بسيطة وكانت ممكن تتحل بسهولة لولا أننا ضعفنا وسمحنا للشيطان يستغلنا ويخرب علينا حياتنا، الشيطان عارف كويس أوي يدخل لكل واحد مننا منين ويوقعه ازاي، علشان كده النبي عليه الصلاة والسلام أخبرنا ببعض الوصايا والنصائح اللي المفروض نقوم بيها وقت الغضب، هحاول أذكرها بإيجاز.

أولًا: التعوذ بالله من الشيطان الرجيم أول ما نحس بالغضب

ثانيًا: نغير الحالة اللي احنا عليها، يعني لو واقفين نقعد، لو قاعدين نضطجع، كده الإنسان هيهدى أكثر ويبعد عن أي انتقام كان ممكن يعمله وقت غضبه.

ثالثًا: نسكت عن الكلام، وبدل ما نقول أي حاجة نقعد نستغفر ونذكر ربنا.

رابعًا: نتوضأ، وممكن نصلي كمان ركعتين وندعي ربنا يهدي قلوبنا.

ولازم ناخد بالنا من حاجة، وهي إن الغضب بيكون مذموم لو غضب الإنسان انتقامًا لنفسه، أما إذا غضب غيرة للّه لانتهاك محارمه أو دفعًا للأذى عن نفسه وغيره في ذات اللّه، فهذا غضب محمود شرعًا وفاعله يُثاب على ذلك.

فقد قالت عائشة رضي اللّه عنها: ما انتقم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة اللّه فينتقم للّه بها.

أسأل اللّه تعالى أن تدوم السكينة في قلوبكم، والابتسامة على وجوهكم، والسعادة في بيوتكم، والصحة في أبدانكم، والتوفيق في حياتكم، والأمان في دروبكم، والنور في وجوهكم، وأن يغفر لكم ولوالديكم ولكل عزيز لديكم، آمين يا رب العالمين، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أحبكم في اللّه، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

فهم إسلام سبب ما حدث مع سلمى بعدما سمع الدرس، إنه الشيطان ولا شيء غير الشيطان، ذلك المخلوق الخبيث الذي استطاع أن يستغل ضعفه وغضبه وانتصر عليه وفرق بينه وبين زوجته، قرر إسلام أن يسحقه في الجولة القادمة بعدما تعلم كيف يتمالك نفسه وقت غضبه، عاد لمنزله وسار حتى وصل لغرفة نومه، كانت سلمى تضع رأسها على الوسادة وعيناها مفتوحتان تحدق في الظلام، حاول إسلام اختزال

الحرب الضروس التي تطحن قلبه وتعصف بفكره في ابتسامة مرهقة باهتة، وسأل:

- عاملة إيه دلوقتي يا سلمى؟ لسه حاسة بألم؟

قالت بصوت متحشرج وهي تخفي عبرة بعينها:

- يعني شوية، الحمد لله.

نظر إليها وقال بندم:

- أنا عارف إن الشيطان عرف يضحك عليَّ وأنتِ اللي دفعتي الثمن، بس حاولي تسامحيني، أنتِ عارفة إني مكنتش أقصد، وإن ده مش طبعي.

سكت لبرهة ثم استأنف:

- وعارفة كمان مكانتك عندي عاملة ازاي.

نظرت إليه دامعة العين قريحة القلب وقالت بصوت واهن:

- أنا لحد دلوقتي مش مستوعبة ولا مصدقة اللي حصل، مش متخيلة إن أكثر شخص ببقى متطمنة وأنا جنبه يعمل معايا كده علشان موقف أقل ما يُقال عنه إنه تافه.

- الموقف بشكل عام مش كبير فعلًا، بس الشيطان بيعرف كويس أوي يستغلنا ويوقعنا، هو انتصر عليَّ المرادي، بس بإذن الله دي هتكون آخر مرة.

سمعت كلماته وسكتت، ليس لديها طاقة للحديث، أغمضت عينيها باستسلام ونامت على شقها الأيمن، نظر إليها إسلام طويلًا ثم اتجه لمكانه ورأسه يدور كطواحين الهواء، وضع رأسه على وسادته وطال سُهاده.

في الصباح استيقظت سلمى وتناولت هاتفها من على الكومود لتغلق المنبه، فانتبهت إلى صحنٍ صغيرٍ موضوع بجوارها يبتلع ثلاث شطائر، حملت الصحن وخرجت من الغرفة، تمشت في الرواق حتى وصلت إلى الصالة فوجدت إسلام يجلس أمام الحاسوب، عندما أحس بها نظر إليها مبتسمًا وقال:

- أنا عارف إنك مش هتقدري تعملي أكل اليومين دول، أنا هتولى الموضوع ده متقلقيش.

ما زال الحزن يطير بجناحيه داخل عينيها، همست بنبرة منخفضة:

- شكرًا.

- هتروحي المدرسة النهارده؟

- لازم أروح علشان تجهيزات الحفلة.

قالتها وعادت إلى غرفتها، ارتدت ملابسها بعدما تأوهت عدة مرات بسبب احتكاك يدها بالملابس، تناولت حقيبتها ودفترها وخرجت إلى الصالة، ما زال جالسًا أمام الحاسوب ولم يستعد للذهاب لعمله! أمره عجيب! لم تسأله رغم فضولها، حيته وغادرت البيت، ولما أنهت يومها الدراسي عادت وصعدت الدرج بشق الأنفس، ثم ولجت إلى شقتها فوجدته أمامها ممسكًا بحاسوبه، أعد لهما وجبة خفيفة للغداء وقضى باقي اليوم على الأريكة أمام الحاسوب، حتى بدأ جفنه يُسدِل الستار على عينيه من شدة التعب، فأذعن لسلطان النوم وأغمض عينيه في استسلام.

اليوم التالي كان نسخة مطابقة من اليوم الذي سبقه، شعرت سلمى ببعض القلق، ولكنها ما زالت تتألم مما حدث ولا تسمح له بالتحدث معها إلا بكلمات قليلة مقتضبة، فكرت أكثر من مرة أن تسأله وسارت إليه بالفعل عدة مرات، ولكنها كانت تتراجع في النهاية وتعود أدراجها إلى

غرفتها، وفي نهاية اليوم الرابع وأثناء جلوس إسلام أمام حاسوبه سمع رنين هاتفه ورآه ينير باسم فاروق فأجاب فرحًا:

- ازيك يا غالي، فينك من زمان؟
- موجود، بس مشغول شوية كده، المهم كنت عاوز أشوفك قبل ما أسافر.

رفع إسلام حاجبه بتعجب وقال:

- هتسافر فين؟

ضرب فاروق جبهته بكفه وقال ضاحكًا:

- آخ! ده أنا شكلي نسيت أقولك، الشركة بتاعتنا يا سيدي هتفتح فرع جديد ليها في الإسكندرية وطبعًا محتاجين مهندسين كل التخصصات، فاتكلمت مع نهى وقررنا ننقل هناك لأن المرتب هيكون أعلى، رغم إن الشغل هيكون أكثر شوية لأن عدد المهندسين اللي هناك أقل، بس مش مشكلة بقى ربنا يقوينا.

قال إسلام بلوم:

- طيب مقولتليش ليه يا بني علشان آجي معاك، ما أنت عارف إني مش مرتاح في شركتي.
- كنت بفكر أقولك والله، بس أنا عارف إن مراتك بتشتغل فقولت أكيد مش هينفع.
- لأ عادي، هي قالتلي إنها حابة تاخد إجازة سنة ولا اثنين بعد الولادة علشان تاخد بالها من البنت، وبعدها بإذن الله هتقرر إذا كانت هتكمل شغل ولا لأ.
- ما شاء الله، عرفتوا إن الجنين بنت؟

ابتسم إسلام وقال:

- أيوة الحمد لله، المهم بس سيبني النهارده أتكلم مع سلمى في الموضوع ونستخير، وبإذن الله بكره أكلمك تاني وأقولك قرارنا.

حياه وأغلق الخط، سمعته سلمى وهو يحمد الله كثيرًا بعدما أنهى المكالمة، خرجت إليه فرأت وجهه مختلفًا تمامًا عن الأيام الماضية، وكأن سحابة الهم كانت تسكنه والآن تخلصت من حِملها وأمطرت، دعاها للجلوس بجانبه فاستجابت وسألت:

- هو أنت سيبت الشغل؟

- اشمعنى؟

- حسيت كده من كلامك، وكمان علشان مش بلاقيك بتنزل زي الأول.

ابتسم إسلام وقال:

- عامة هم اللي طردوني، مش أنا اللي مشيت.

شهقت سلمى بفزع وسألت:

- طردوك! طيب ليه؟

- يوم ما اتخانقنا كان نفس يوم الترقية بتاعتي بس أنتِ نسيتي، ساعتها كنت رايح بمنتهى الحماس ومتلهف أعرف هترقى لإيه، ومرتبي هيزيد قد إيه، بس اتفاجئت إن الترقية راحت لواحد لسه شغال من أسبوعين!

نظر إليها بضيق وتابع:

- دخلت على المدير وكنت متعصب جدًا، مقدرتش أستحمل وطلعت كل اللي جوايا، قولتله إني شوفت كمية ظلم في الشركة محدش يستحملها، ده غير إنهم بيستغلونا وبيكلفونا بمشاريع فوق طاقتنا ومع ذلك مستحملين ومكملين، وكمان بيكذبوا علينا طول الوقت ويعشمونا وبعدها يخلفوا وعودهم، المهم المدير اتضايق من صراحتي وكلمني باحتقار شديد، فشدينا مع بعض في الكلام وطردني.

تنهد واستأنف:

- يومها كنت راجع دمي محروق بطريقة رهيبة وشايل هموم الدنيا كلها فوق دماغي، اللي هو أنتِ قربتي تولدي ولسه مش معانا فلوس الولادة كاملة، وكمان مجيبناش اللبس للبنت، ده غير مصاريف البيت، كنت مضغوط بشكل مش طبيعي، وبصراحة كنت جعان جدًا كمان، وأنتِ عارفة إني لما ببقى جعان مش بقدر أصبر، فكل ده مع بعضه خلاني مش مستحمل نصف كلمة، وللأسف أنتِ بغلطة غير مقصودة منك ساعدتي في اللي حصل ده.

سألت باستنكار:

- وهو أنا غلطت في إيه؟!

ابتسم إليها وتمتم:

- غلطتي لما أسأتي تقدير الموقف، يعني أنتِ لقياني جعان ومتعصب، وده مش العادي بتاعي، يبقى كان المفروض تحاولي تمتصي غضبي في الوقت ده وتحطيلي أي حاجة أكلها

وخلاص، ولما أهدى تبدئي تلوميني على أسلوبي الحاد وتسألي عن السبب براحتك.

عقدت ذراعيها ولوت شفتيها وصمتت، رفع إسلام رأسها إليه وقال بحنان:

- أنا مش بلومك على اللي عملتيه، الغلط الأكبر كان مني أنا، أنا بس بحاول أحلل الموقف وأخرج كل الأخطاء اللي حصلت علشان ناخد بالنا ومنكررهاش تاني.

تنهدت، غالبت ابتسامة باهتة لترسمها على وجهها فخانتها، قالت هامسة:

- حصل خير يا إسلام.

- فكي التكشيرة بقى.

قالها بمرح، فابتسمت وقالت:

- ربنا يباركلنا في بعض ويبعد عنّا الشيطان.

تلقف يدها بين يديه وضمها إلى صدره ضمة جمع فيها بين الندم والشوق ما جمع، ثم زفر زفرة نفخ فيها من الهم والخوف ما نفخ، حدثها بهمس:

- بدون مبالغة، أنتِ أحلى حاجة موجودة في حياتي بعد أمي، ولما بشوفك زعلانة مش ببقى قادر أعيش يومي بشكل طبيعي، وأنا الفترة دي حقيقي مضغوط جامد، فحاولي تسامحيني وتكوني واقفة جنبي زي ما اتعودت منك دايمًا.

- بإذن اللّه دايمًا هتلاقيني أكثر واحدة واقفة في ظهرك وبتسندك وقت ضعفك، المهم فهمني موضوع الشغل الجديد ده.

بدأ يقص عليها ما قاله فاروق، فقالت بتردد:

- إسكندرية! طيب بالنسبة لشغلي فمفيش مشكلة على الأقل أول سنة بعد الولادة، إنما ازاي هنسافر دلوقتي وأنا على وش ولادة؟ وهعمل إيه في إجازتي اللي لسه مبدأتش؟ وازاي هقعد لوحدي هناك وممكن الطلق ييجي في أي وقت! وكمان هولد فين ومع مين!

ربت إسلام على يديها وقال:

- لو الشغل ده هو الخير ليَّ تأكدي إن ربنا هييسرلنا كل الأمور دي، بس بشكل عام متقلقيش من ناحية الولادة، أنا عارف إنك حابة تولدي مع الدكتورة بتاعتك وفي وسط أهلك، فممكن أسافر أنا مبدئيًا وأشوف الشغل كويس ولا لأ، وممكن أخدك معايا وقبل الولادة علطول تنزلي تقعدي مع والدتك، بس أنا بصراحة مش عاوز أسيبك أبدًا في الفترة دي، فندعي ربنا ييسرلنا الأمر.
- طيب بُص، هو أنا قلقانة شوية بس مش مشكلة، يلا نصلي استخارة وبعدها قول لصاحبك يقدملك في الشركة، وأيًا كان اللي هيحصل بعدها فأنا متأكدة أنه الخير لينا.

أومأ بعينيه مبتسمًا ثم عاونها ونهضا لأداء صلاة الاستخارة.



مُضطرةٌ هي، رُغمًا عنها وافقت على عرضه وعادت إلى المنزل مرة أخرى، تحتاج بشدة إلى المال لتطمئن على طفلتها، وخصوصًا لأنها بدأت تشعر في الفترة الأخيرة ببعض الآلام التي أثارت القلق في نفسها، قامت بعمل التحاليل والأشعة المطلوبة منها وذهبت إلى الطبيب، أخبرها أن

الطفلة وزنها ضعيف وحالتها الصحية ليست على ما يرام، أعطاها بعض التعليمات وطلب منها أن تتصل به بمجرد أن تشعر بأي ألم حتى لو كان بسيطًا، لأن الأمر ربما يكون خطيرًا، أشار إليها بسبابته محذرًا بشدة من التهاون في هذا الأمر، فأومأت برأسها متفهمة وعادت إلى بيتها متألمة، قصّت على كريم كل ما حدث والندم يلوكها بين فكيه، فلولا تهاونها في السابق ربما كانت صغيرتها بحال أفضل الآن، تعاطف معها كريم هذه المرة وبدأ يُحسن معاملته معها وخصوصًا بعدما وجد منها اهتمامًا به أثناء مرضه رغم تعبها.

مرت الأيام، وصلت إلى منتصف شهرها السابع، بدأت تشعر ببعض الآلام غير المحتملة، استشارت طبيبها فأمرها ببعض التعليمات، نفذتها ولكن لا فائدة، فالآلام تزداد بشكل مبالغ فيه، اصطحبت كريم لأول مرة وذهبت للطبيب دون سابق موعد، فحصها وأخبرهما بخوف أن الانتظار أكثر من ذلك فيه خطورة على الطفلة، نظرت فاطمة لزوجها بصدمة بينما سأل كريم الطبيب عن الحل، فطلب منه حضورهما في الغد لإجراء عملية الولادة، نظرت فاطمة إلى الطبيب مشدوهة وقد اتسعت عيناها بفزع، فحاول أن يطمئنها وأخبرها أن كل شيء سيكون على ما يرام، عادت إلى المنزل وظلت تبكي هذه الليلة كما لم تبك من قبل، اتصلت بهند وأخبرتها بما حدث، وطلبت منها أن تشتري في الغد بعض الملابس الخاصة بحديثي الولادة وتأتي إليها قبل ذهابها للطبيب، وافقت هند على الفور وأخذت تطمئنها، أغلقت فاطمة الخط وتابعت بكاءها حتى تعبت واستسلمت لخدر النوم الذي بدأ يسري في أوصالها.

بعد ساعات ارتدت ملابس العملية مستسلمة ودخلت إلى غرفة العمليات، مرت الدقائق على من كانوا بالخارج وكأنها ساعات، وفي لحظة ما فُتِح باب غرفة العمليات وخرج منه طبيب الأطفال وهو يحمل

الصغيرة، اقترب كريم منه بلهفة تعجب هو نفسه منها، حمل طفلته بين يديه وأخذ ينظر إليها مبتسمًا، كانت قليلة الوزن ولكنها جميلة كوالدتها، فشعرها خُلق بلون الذهب وبشرتها بيضاء مشربة بحمرة، وملامحها رقيقة كملامح أمها، طبع كريم قبلة على رأسها وأحس حينها بشيء داخله لم يفهمه، وكأن الله قذف حبها في قلبه بمجرد رؤيتها، سأل الطبيب عن حالتها، فأجاب بأسف:

- هتحتاج تدخل الحضّانة دلوقتي ضروري، وإن شاء الله خير.
- طيب وفاطمة؟
- بخير الحمد لله، هتخرج بعد ما تفوق من البنج.

اقتربت والدة فاطمة وهي تستند على هند لترى الصغيرة، حملتها لأقل من دقيقة وبعدها أخذها الطبيب وسار بها وهم يتابعونه بنظراتهم حتى اختفى من أمامهم.

بعد يومين وقفت فاطمة مستندة إلى زوجها تنظر إلى طفلتها العارية إلا من الحفاض، والموضوعة في ذلك الصندوق الزجاجي صغير الحجم، كانت دموعها تجري ساخنة متلاحقة على وجهها، تمنت لو استطاعت أن تضمها بداخل حضنها ولا تتركها أبدًا، فرؤيتها على تلك الهيئة تدمي قلبها، كان كريم ينظر للطفلة وقد ظهر الأسى على وجهه، تمنى بصدق أن تتحسن حالتها وتعود معهما إلى المنزل، مر يوم تلو الآخر والحال كما هو، تأتي فاطمة وزوجها للاطمئنان على الصغيرة وينتظران إلى جوارها لساعات، ثم يعودان وحدهما بعدما هتك الحزن قميص قلوبهما لمشاهدتها على تلك الحالة، في اليوم السابع وحينما وصلا إلى المشفى أخبر كريم زوجته بأنه سيذهب لدفع حسابات المشفى وبعدها يلحق بها، فأومأت برأسها، وصعدت وحدها إلى الصغيرة، دخلت الغرفة بلهفة واقتربت من الصندوق الخاص بابنتها فلم تجدها، هل من المعقول أنها

قد تعافت؟ خطرت الفكرة على رأسها فلمعت عيناها بأمل وهرولت تبحث عن الطبيب لتسأله، ولما وصلت إليه نظرت إليه مستبشرة وقالت:

- البنت خفت صح؟

طأطأ الطبيب رأسه وهمس:

- البقاء لله يا مدام فاطمة.

صرخت فاطمة بعينين متسعتين:

- يعني إيه! البنت فين يا دكتور؟

زم شفتيه في أسى وتمتم:

- ربنا يصبر قلبك.

ظلت أصداء كلماته تطن في رأسها ثم سقطت غائبة عن الوعي.



ذهب إسلام لعمل المقابلة الشخصية بالشركة التي يعمل بها فاروق بعدما قدم كافة أوراقه إليهم قبلها بأيام، كان مدير الشركة رجلًا وقورًا متواضعًا ذا ابتسامة عذبة، بدأ يسأل إسلام بعض الأسئلة، ولما رآه يجيب بلباقة وثقة وعلم من فاروق إتقانه وتفانيه في عمله وافق على تعيينه، ولكنه أخبره أنه لن ينقله لفرع الإسكندرية إلا بعدما يقضي الثلاثة أشهر الأولى معهم في الفرع الأساسي لتدريبه على العمل، كاد إسلام يرقص فرحًا بعدما سمع ذلك الخبر، لقد دبر الله له أمره من حيث لا يحتسب، فبعد انتهاء الوقت المحدد سيستطيع وبكل سهولة أن يصطحب زوجته وابنته معه إلى الإسكندرية، بدأ العمل من اليوم التالي، ولما قضى شهره الأول بالشركة وحصل على الراتب ذهب إلى سلمى وفي عينيه فرحة

كالأطفال، وضع المال بين يديها وأخبرها أنه سيذهب معها لشراء كل ما تحتاجه للمولودة.

بعد أربعة عشر يومًا وأثناء وجوده في الشركة اتصلت به سلمى وهي تبكي، فسألها بقلق عن السبب، فأجابت:

- حاسة بألم عمال بيجي ويروح، أنا خايفة أوي يا إسلام.
- ولادة يعني ولا إيه؟
- مش عارفة!
- طيب كلمي الدكتورة.
- كلمتها قالولي معاها حالة ولادة.
- طيب تابعي معاهم وأول ما ترد عليكِ بلغيني قالتلك إيه، ولو احتجتِ تروحي لها هستأذن وأجيلك علطول بإذن الله.
- حاضر.

أغلقت الخط وبدأت تدعو الله أن ييسر لها أمر وضعها، بينما حاول إسلام جاهدًا إنهاء الأعمال التي بين يديه تحسبًا لأي ظروف، بعد ساعة اتصلت سلمى به مرة أخرى وقالت بتوتر:

- الدكتورة قالتلي احتمال كبير تكون ولادة، وعاوزاني أروح أكشف علشان تتأكد.
- طيب البسي وجهزي شنطتك، وأنا جاي علطول بإذن الله.
- هو احنا هنروح لوحدنا؟
- أيوة، ولو اتأكدنا إنها ولادة هنتصل بأهلك وأهلي ونقولهم ييجوا المستشفى.

أغلقا الخط، ذهبت سلمى لارتداء ملابسها، وذهب إسلام لمديره وأبلغه بالأمر فأعطاه باقي اليوم إجازة ودعا لهما بالتيسير، هرول إسلام إلى موقف السيارات وقفز مسرعًا في إحدى العربات، ظل بداخلها قرابة النصف ساعة ثم هبط منها ليسير بعض الخطوات ويركب غيرها، فسمع رنين هاتفه، أجاب زوجته، فقالت بخوف:

- إسلام الألم عمال يزيد وأنا مرعوبة، اتأخرت كده ليه؟ أرجوك تعالى بسرعة.

أجابها بحنان أثناء عبوره الطريق:

- خلاص يا حبيبتي والله جاي أهو، معلش حاولي تستحملي وأنا...

يا أستاذ حاسب!

يا أستاذ خد بالك!

يا أستاااذ!

هذا آخر ما سمعته سلمى قبل إغلاق الخط، نظرت في هاتفها بعدم استيعاب وقد ظهر على وجهها الفزع، اتصلت بإسلام مرة أخرى فوجدت الخط مغلقًا، اتصلت مرة ثالثة، ورابعة، وخامسة، اصطبغ وجهها خوفًا وبدأت ترتجف وهي تكرر الاتصال بجنون لمدة تتعدى النصف ساعة، شعرت بألم شديد وكان قلبها يُعتصر كأن آلاف الإبر رُشقت فيه، بدأت تبكي بانهيار وتتوسل إلى الله أن يحفظ لها زوجها وتراه أمام عينها سليمًا ومعافى، شعرت ببعض الآلام الجسدية التي تعاونت مع الآلام النفسية وسحقاها سحقًا، اتصلت بزوجها للمرة الأخيرة فوجدت الخط مغلقًا كما هو، فاتصلت بوالدتها وقصت عليها ما حدث، هرولت أمها وأختها ووالدها إليها وأخذوها إلى المشفى تبعتهم هند ووالدتها، دخلت

سلمى إلى الطبيبة فأخبرتها بعد فحصها بأنها ستضع طفلتها خلال الساعات القليلة القادمة بإذن الله، فخرجت من عندها متوترة، وبدأت تقص على الجميع ما حدث وهي تبكي تارة بسبب آلامها الجسدية وتارة بسبب خوفها على إسلام، قال والد سلمى بأنه سيذهب لتتبع الطريق الذي عاد منه إسلام ويسأل عن وجود أي حادث هناك، ولما وصل إلى هناك علم باصطدام شاب بسيارة أجرة ونقله إلى المشفى، ولما سأل عن مواصفات الشاب وجدها تنطبق على إسلام، فاتصل عليهم وأخبرهم بما حدث وبعدها ذهب إلى المشفى ليتأكد من الأمر.



شعر بشلل تام في كل أطرافه، لا يستطيع تحريك جسده قيد أنملة، عينه لا يقوى على فتحها، تصل إلى أذنيه همهمات غير مفهومة، أصوات كثيرة تختلط ببعضها البعض لا يتبين منها أي شيء، ظل على تلك الحالة لعدة ثوان وبعدها بدأ يفتح عينيه شيئًا فشيئًا ويُحرك أطرافه بهدوء، الظلام يحيط به من كل اتجاه، ولكن الأصوات بدأت تتضح في أذنيه، شعر بملمس التراب أسفل يديه، أحس بأحدهم وهو يحاول تحريكه، سمع آخِر يقول بأنه مات، فأخبره بأنه ما زال على قيد الحياة، ولكن صوته أحتبس في حنجرته، حرك قدمه اليسرى متألمًا فلمست قدم أحد الرجال، نظر الرجل إليه فلمح عينه النصف مفتوحة، بدأ يُبعد الواقفين حوله وهو يقول بسعادة:

- الراجل طلع عايش، وسعوله كده يا رجالة علشان يعرف يتنفس.

ابتعد الرجال شيئًا فشيئًا فظهر الضوء من جديد، اقترب منه رجلان ليساعداه على الوقوف، أشار لهما أن يتركوه ولكنهما أصرا على حمله،

فبدأ يجز على أسنانه وخرجت منه ندة ألم، أدخله الرجلان بداخل إحدى السيارات واصطحبه غيرهما إلى المشفى.

كان جسده مُطعَّمًا بالخدوش إثر اصطدامه بإحدى سيارات الأجرة التي دفعته بقوة فتطاير جسده وسقط بعنف على الأرض، شكى للطبيب من بعض الآلام في يده وساقه اليسرى، ولما فحصه الطبيب نظر إليه وقال بهدوء:

- هنحتاج بس نجبس إيدك ورجلك الشمال علشان فيهم بعض الكسور البسيطة، وبإذن الله بعد شهر هترجع أحسن من الأول.

ضحك أحد الواقفين وقال ببساطة:

- يا ضاكتور ده ربنا بيحبه، احنا كنا فاكرينه مات، دي العربية طيرته بتاع مترين ولا ثلاثة، سبحان الله، له في ذلك حكم.

ابتسم الطبيب وهو يجهز أدواته، وابتسم إسلام من أسلوب الرجل البسيط وقال وهو ينظر له ولصاحبه:

- أنا حقيقي مش عارف أشكركم ازاي على تعبكم معايا ده.

قال أحدهم:

- متشكرناش يا بني، ده أنت زي أولادنا.

- طيب لو مفيهاش إزعاج، أنا كنت محتاج تليفون علشان أكلم أهلي ضروري، لأني مش عارف موبايلي راح فين.

ضحك الرجل الآخر وقال:

- موبايلك اتكسر ستين حتة، أنا شوفته بنفسي وهو بيطير من إيدك لما العربية خبطتك، يلا فداك ربنا يعوض عليك.

ثم أخرج هاتفه من جيبه وناوله لإسلام، ابتسم إسلام إليه بامتنان، اتصل بسلمى فسمعها تلقي تحية الإسلام بحزن، فقال ضاحكًا:

- هاه ولدتي ولا لسه؟

شهقت بذهول وهمست:

- إسلام؟

ثم سألت بسرعة:

- أنت فين يا إسلام؟ أنت كويس؟ حصلَّك إيه طمني؟

استمر في الضحك وهو يقول:

- حيلك حيلك، أنا بخير الحمد لله.

- طيب أنت فين؟ وإيه اللي حصل؟

- مفيش، كان فيه عربية معدية وحبت تسلم عليَّ وتمرجحني شوية.

- إسلام أنت بتهزر! أنا قلبي هيقف من الخوف، أرجوك طمنّي عليك.

- يا ستي والله كويس، شوية وهتلاقيني عندك بإذن الله، المهم أنتِ إيه الأخبار؟

- طلعت ولادة فعلًا، والطلق شغال أهو بس لسه قدامي شوية، دعواتك.

- ربنا يقويكِ ويعينك، هقفل دلوقتي وشوية وهجيلك المستشفى بإذن الله.

قبل أن يغلق الخط قالت بسرعة:

- مامتك هنا ونفسها تسمع صوتك يا إسلام.

ابتسم وبدأ يحدث والدته بلطف، يداعبها ويطمئنها، ثم أعطى الهاتف للرجل وشكره، وبدأ الطبيب يتابع عمله من جديد.

بدأت آلام الطلق تشتد على سلمى، وهي تأبي دخول غرفة العمليات قبل أن ترى زوجها، ظلت تتمشى في الرواق الطويل الذي يفصل غرفة العمليات عن باقي الغرف وهي تدعو وتذكر الله، وفي لحظة ما رأت القمر ينظر إليها وعلى وجهه ابتسامة من أعذب ما رأت، كان يسير بعرجة خفيفة وهو يستند على عصا مناسبة لطوله بعدما لُفت الجبيرة حول ساقة ويده اليسرى، وإلى جواره يسير والدها ساندًا له، تناست سلمى آلامها وهرولت إليه، اقتربت منه وظهرت الدموع من أسفل نقابها، فقال إسلام مازحًا:

- يا ستي ما قولنا كويس وزي الفل، خلاص بقى مش هنقعد نشتري في مناديل كل شوية.

ضحكت سلمى لأول مرة منذ ساعات وقالت بصدق:

- الحمد لله إني شوفتك قدامي تاني يا إسلام.

انسحب والدها من جوارهم وعاد إلى زوجته وابنته، بينما قبض إسلام على يد سلمى وقال بعينين تشعان ود:

- الحمد لله إن الموضوع طلع بسيط وقدرت أحضر معاكِ الولادة، الحمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

حاولت رسم ابتسامة على شفتيها بعدما تأوهت بصوت مكتوم وهي تكز على أسنانها، لاحظ إسلام حالتها فسأل بشفقة:

- كده الطلق وصل لفين؟

- على الآخر خلاص.

بعدما بدقائق بسيطة اصطحبتها الطبيبة إلى غرفة العمليات وبدأت عملها.

كانت تصرخ منادية بقوة: يا رب، يا رب، كانت تكررها كثيرًا بصوت متألم، سمعها كل من كان بخارج الغرفة، حتى أن أمها انهارت باكية بسبب سماع تلك الصرخات، مرت الدقائق صعبة على الجميع، وخصوصًا على تلك التي خارت قواها تمامًا وهي تحاول دفع جنينها، وفي لحظة ما شعرت أن الطبيبة تمسك به، كانت الرؤية مشوشة من فرط تعبها، ولكنها لمحته فابتسمت وبدأت تحمد الله عدة مرات، ثم أغمضت عينيها في استسلام، جاءت طبيبة الأطفال وفحصت الطفل وعلمت أنه بصحة جيدة، نظفته الممرضة وتناولت ملابسه باسمة وألبسته إياها، ثم خرجت من غرفة العمليات وهي تحمله، هرول الجميع إليها بما فيهم إسلام الذي لم تمنعه العصا من سباقهم، أعطت الممرضة الطفل لوالدة سلمى وهي تقول بفرحة:

- ما شاء الله ولد زي القمر.

ضحك إسلام وردد متعجبًا:

- ولد! ما شاء الله اللهم بارك.

سأل الممرضة عن سلمى فأجابته بأنها ستخرج إليهم بعد دقائق، فابتسم باطمئنان وتناول الصغير بيمناه، أخذ ينظر إليه طويلًا، أَسِر كليًا في جماله وبراءته، شعر وكأن له جناحين يرفرف بهما من الفرحة، اقترب من أذنه اليمنى وبدأ يؤذن بها، ثم همس للصغير ضاحكًا:

- أمك جابتلك اللبس كله لونه بامبي، معلش هتضطر تستحملنا كام شهر لحد ما نجيبلك لبس جديد يليق بيك يا...

صمت للحظات تذكر فيها أحدهم ثم قال بحماس:

- يا محمد، هسميك محمد.

ضمه إليه ليُسمعه نبضات قلبه ويشعره بحنانه وهمس:

- المرة اللي فاتت ملحقتش أساعد محمد، لكن المرة دي بإذن الله أنا هقف معاك وهكون جنبك طول الوقت لحد ما تتعلم ازاي تعيش حياتك كلها... في الحلال.

تمت بحمد الله



شكر خاص

إلى أمي الحبيبة: فاطمة طه.

زوجي العزيز: عبد الرحمن أسامة.

أختي الغالية: زينب طه.

أختي التي لم تلدها أمي: ندى محمود.

صديقتي الجميلة: فاطمة الألفي.

أشكركم من كل قلبي على تشجيعكم، دعمكم الدائم لي، آرائكم وملاحظاتكم التي ساعدتني كثيرًا حتى خرجت الرواية بهذا الشكل، أسأل الله أن يديم وجودكم في حياتي، ويجعل كل ما فعلتموه من أجلي في ميزان حسناتكم.

رقية طه

